

لأرويس في

علم أصوات العربيين

لمجان كانينو

نقله الى العربية
وذي له بمعجم صوتي فرنسي - عربي

صالح المرادي

الأستاذ بدار المعلمين العليا
بتونس

الجامعة التونسية

نشر بآيت مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية

1966

لأروسي في

على أضواءنا العربية

تصريح

يعد كتاب "جان كانتينو" (Jean Cantineau) "دروس في صوتيات العربية" (Cours de phonétique arabe) الصادر بباريس سنة 1960 بالإضافة الى كتاب "هنري افلاش" (Henri Fleisch) " كتاب فقه اللغة العربي" (Tratlé de Philologie arabe) الذي صدر ببيروت سنة 1961 من بين المراجع الترنسية الاساسية التي لا غنى لطلبة علم الاصوات العربي وللباحثين في ميدان معالجة المشاكل الصوتية الخاصة بالعربية معالجة عصرية تعتمد الطرق والمناهج الحديثة التي وضعها علماء الاصوات المعاصرون من الرجوع اليها .

ومعلوم ان اللغة العربية فقيرة الآن فقرا ظاهرا فيما يتعلق بهذا النوع من المعرفة اذ قلما رأينا فيها كتابا صفت للتعرض لعلم الاصوات عامة وعلم اصوات العربية خاصة بالبسط العصري والتحليل الحديث (1)

ولذا فقد رأينا بعد ان اضطلعنا بمهمة تدريس علم الاصوات بالجامعة التونسية عدة سنوات ان ننقل كتاب « كانتينو » المذكور الى اللغة العربية مساهمة منا بسيطة في اثراء هذه اللغة وسعيا في مدد الطلبة والباحثين العرب بوسيلة من وسائل البحث الصوتي الضرورية وفي نشر هذه الطريقة العصرية في معالجة المسائل الصوتية على عموم قراء العربية الذين انعدمت أو قلت معرفتهم باللغات الاجنبية عامة وبالفرنسية خاصة .

* * *

ان الصعوبات التي قامت في طريقنا اثناء عملنا هذا جمة كاداء أهمها .
قلة الالفاظ الاصطلاحية العربية الموافقة للمفاهيم الصوتية الجديدة. ولقد

(1) ليس نعرف فعلا من هذه الكتب الا ما صنغه الدكتور ابراهيم أنيس وهو كتابان احدهما في اللهجات العربية القديمة وثانيهما في الاصوات اللغوية ولم نعر على هذا الكتاب الثاني في تونس مع الاسف .

سعيانا الى التغلب على ذلك بأن استقرينا أهم النصوص النحوية العربية القديمة. نذكر منها بالخصوص نصوص سيويوه ونصوص شرح ابن يعيش والزمخشري المتعلقة بمخارج الحروف والادغام والامالة والابدال والاعتلال وبأن اجتهدنا اجتهادا في وضع بعض الالفاظ معتمدين في ذلك عادة على طريقة "التوليد" اى توسيع معاني الكلمات الموجودة بعد في اللغة. ويجد القارىء في آخر هذا الكتاب معجما يدل على تفصيل الطرق التي استعملناها لتقيام بترجمة الالفاظ الاصطلاحية .

وصعوبة ثانية كأداء كادت ان تثينا عن عزمنا تتمثل في عدم أهلية الخط العربي لرسم مختلف انواع الحركات بمختلف اجراسها ومتنوع رنائها وبخاصة حركات اللهجات العربية الداريجة التي لا وجود لها في الفصحى وبعد لاي وتردد اضطررنا على مفض الى كتابة الامثلة الداريجة الواردة في هذا الكتاب مرتين مرة بالخط العربي بصفة تقريبية ومرة بين قوسين بالخط اللاتيني باستعمال الرموز الصوتية المتفق عليها في الابدجية الصوتية العالمية نحو : مَا يَقْبُضُشْ : (mā Yegbödṣ)

وعلى هذا فلا يكون استعمال هذا الكتاب تام الفائدة الا اذا اجهد القارىء العربي نفسه فتعلم الرموز الصوتية العالمية المثبتة في أول الكتاب وفهم ما ترمز اليه من أنواع النطق الخاصة. وهو لعمري أمر غير مستحيل على الدارس الجاد .

* * *

ونحن اذ نقدم ثمرة مجهودنا هذا الى جمهوره القراء نعترف سلفا بإمكانية وجود كثير من النقص والخلل فيه ونرحب بكل نقد يوجهونه الينا عسانا نستطيع تحسين ما أغفلنا .

وان نحن اسهمنا بقسط متواضع في اثراء المعلومات الصوتية عند "الناطقين بالضاد" وفي المشاركة في تيار تعريب المعرفة في مختلف الميادين فقد وصلنا الى الغاية التي اليها سعيانا .

صالح القرمادي - تونس 1965

صورة كتابة الحروف العربية
بالحروف اللاتينية

I - العربية الفصحى

(أ) الحروف

g.....	غ	r.....	ر	ʔ.....	أءؤ
f.....	ف	z.....	ز	b.....	ب
q.....	ق	s.....	س	t.....	ت
k.....	ك	š.....	ش	ṭ.....	ث
l.....	ل	ṣ.....	ص	ǧ.....	ج
m.....	م	d.....	ض	h.....	ح
n.....	ن	t.....	ط	ħ.....	خ
h.....	ه	ḍ.....	ظ	d.....	د
w.....	و	c.....	ع	ḍ.....	ذ
y.....	ي				

ويرسم الحرف المشدد في العربية بواسطة حرفين لاتينيين وأما التنوين فيشار اليه بكتابة n فوق السطر نحو "مثلا" تكتب : (matalaⁿ)

(ب) الحركات :

u.....	ُ	i.....	ِ	a.....	َ
ū.....	ُو	ī.....	ِي	ā.....	َا

2 - العربية الدارجة

أ) الحروف :

نضيف الى النظام السابق العلامات الاساسية الآتية عند الاقتضاء :

b أي باء رخوة **d** أي دال مفخمة **c** الشين (ch) الالمانية
v أي جيم (j) فرنسية **g** أي فاف (g) الفرنسية في نحو " Ich "
r أي راء مفخمة **v** أي "تش" (tch) أي لام مفخمة
المتولد عن الكاف (k) η أي نون (n) اقصى حنكية

(وبصفة عامة فان المطة تحت الحرف معناها انه ينطق رخوا والنقطة تحته معناها انه ينطق مفخما) .

ب) الحركات :

ة أي بين ال (a) وال (è) في الفرنسية
a أي بين ال (a) وال (o) في الفرنسية
e أي ال (é) في الفرنسية
ة أي ال (eu) في الفرنسية
u أي ال (ou) في الفرنسية
ü أي ال (u) في الفرنسية

(وبصفة عامة فان النقطة تحت الحركة معناها ان تلك الحركة تنطق منغلقة وعلامة "السيدِّي" (cédille) أي (ç) تدل على ان الحركة منفتحة. والمطة فوق الحركة معناها أن تلك الحركة طويلة) .

واما الغنة الخيشومية فقد اشرنا اليها بواسطة علامة (~) مخطوطة فوق الحركة .

مقدمة

عرض تاريخي

لقد كان قدماء النحاة العرب (1) اول علماء الاصوات في لغتهم. فنحن نجد في كتاب سيوبه ترتيبا صحيحا للحروف حسب مخارجها وملاحظات هامة حول صفات الحروف وبحشا غزير المادة في ادغام الحروف ومعلومات صحيحة تتعلق بمدى الحركات و باعتلال جروسها و اشارات الى مختلف الالسن الدراجة وخصائصها الصوتية .

وقد كانت هذه الدراسات الصوتية عند النحاة العرب دراسات وصفية صرفا مثلها في ذلك مثل الدراسات الصوتية التي قام بها نحاتنا في القرن السابع عشر. فقد اغفلوا فيها تطور اللغة التاريخي واكتفوا بالقول بأن بعض كفيات النطق صحيحة مستحسنة وان بعضها الآخر قبيح مستهجن بدون تعمق في الموضوع ولا سبر لاغواره. وليس معنى هذا ان دراساتهم الصوتية هذه لا قيمة لها بل هي دراسات نفيسة ولو رجع اليها الباحثون العصريون اكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا فيها .

وقد ابتدأت البحوث الصوتية المتعلقة بميدان اللغة العربية في اوربا في منتصف القرن الماضي بدراسة البحوث الصوتية التي قام بها النحاة العرب ومقارنتها بما امكن استخلاصه من عناصر من كيفية النطق التقليدي بالعربية الفصحى ومن مختلف كفيات النطق بالالسن الدراجة.

ولقد كانت دراسات المستشرقين الالمانيين "فليسن" (Wallin) سنة 1855 و"بروكه" (Brücke) سنة 1860 و"ليسيوس" (Lepsius) سنة 1861 دراسات من هذا القبيل. ثم صدر الفصل الذي كتبه "فولارس" (I)

انظر قائمة المصادر والمراجع في آخر هذا الكتاب .

(Vollers) سنة 1892 بعنوان "نظام الاصوات العربية" (The System of Arabic sounds) فجمع فيه ما ورد في كتب النحاة العرب من معلومات صوتية. ثم اصدر كتابه المسمى "لغة الشعب ولغة الكتابة في الجزيرة العربية قديما" (Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien) سنة 1906 فكان دراسة لطائفة من الامور الصوتية الهامة المتعلقة بالالسن الدراجة التي كانت شائعة في الجزيرة العربية. وبعد سنين قلائل أي في سنة 1911 صدر كتاب "شاده" (Schaade) المسمى "علم الاصوات عند سيويوه" (Sibawaihi's Lautlehre) فكان تلخيصا في بضع صفحات لاهم ما جاء في كتاب إمام النحو العربي من معلومات صوتية.

وفي نفس تلك الحقبة من الزمن تقدمت البحوث في الالسن العربية الدارجة تقدما افاد منه علم الاصوات عدة معطيات جديدة فقد احتوي كتاب "اشتمة" (Stumme) الخاص بلهجة تونس (1896) وكتابه المتعلق بلهجة طرابلس الغرب (1898) وكتاب و. مارسسي (W. Marçais) في لهجة تلمسان (1902) وكتابه في لهجة اولاد ابراهيم بمدينة صيدا (1908) وكتاب ماتسون (Mattsson) الخاص بلهجة بيروت (1911) وكتاب م. كوهين (M. Cohen) المتعلق بلهجة يهود مدينة الجزائر (1912) احتوت جميع هذه التاليف على فصول في الصوتيات ضافية غزيرة الشواهد بل ان كتاب ماتسون مقصور في الحقيقة على دراسة الصوتيات فقط.

ولم تعطل الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) سير هذه الحركة الدراسية المتعلقة بصوتيات الالسن الدارجة. ففي سنة 1915 نشرغ. برغشتريسر (G. Bergsträsser) "لاطلس اللغوي الخاص بسوريا وفلسطين." (Sprachaltas von Syrien und Palastina) وهو كتاب جمع فيه مؤلفه عدة خرائط خاصة بالصوتيات وفي سنة 1917 ظهر كتيب "فيشر" (Fischer) الخاص "بصوتيات العربية بالمغرب الأقصى" (Zur lautlehre des Marokkanisch-Arabischen) . وفي سنة 1919 صدر كتاب سيادة الأسقف فيغالي (Mgr. Feghali) الخاص "بلهجة كفر عبيدة" (Le parler de kfar Abida) . وقد اورد فيه صاحبه فصلا

صوتيا هاما. وفي سنة 1924 ظهر كتاب غ. برغشتريسر (G. Bergstrasser) الخاص "بلسان مدينة دمشق الدارج". (Zum Arabischen Dialekt von Damascus) وقد ضم هذا الكتاب مقدمة كادت تكون كلها متعلقة بالصوتيات.

وقد خصص صاحب هذا الكتاب لصوتيات اللهجات الشرقية قسما من اقسام تأليفه الآتية : "اللسان العربي الدارج بتدمر" : (Le dialecte Arabe de Palmyre) (1934) و"دراسات في بعض لهجات البدو الرحل العرب في الشرق" (Etudes sur quelques parlers de nomades arabes d'Orient) الجزء الاول (1936) والجزء الثاني (1937) و"لهجات حوران العربية" (Les parlers Arabes du Hōrān) (تحت الطبع) ويحتوي هذا الكتاب على اطلس لغوي فيه عدد من الخرائط الصوتية. وفي نفس ذلك الوقت اخذت دراسة صوتيات العربية الفصحى تسترعى انتباه العلماء من جديد. فتصد صنف "غَارْدَنِيَر" (Gairdner) كتاب "صوتيات العربية" (The phonetics of Arabic) (1925) وطبق فيه بعض طرق علم الاصوات التجريبي على دراسة صوتيات العربية المصرية. ونشر نفس هذا المؤلف بعد ذلك اي سنة 1935 فصلا بعنوان "نظرية علماء الاصوات العرب في الحروف والحركات" اعاد فيه الكلام فيما كان "فولرْس" (Vollers) قد درسه بعد من افكار صوتية.

وفي نفس تلك الفترة أي سنة 1934 اصدر م. بَرَاْفَمَان (M. Bravmann) كتابا اسماه "مواد وبحوث في نظريات العرب الصوتية" (Materialien und Untersuchungen zu den phonetischen Lehren der Araber) واورد فيه معلومات جديدة استقاها من كتب التجويد. وفي نفس ذلك الوقت ايضا نشر و. بَرْتَزِل (O. Pretzl) في مجلة "الاسلاميات" (IV 3-1) (1933-1934) (Islamica, IV, 1-3) سلسلة من الفصول عنوانها "علم التجويد" (Die Wissenschaft der Koranlesung) واحتوت هذه الفصول هي الاخرى على عدد كبير من المعطيات الصوتية المستخرجة من كتب التجويد.

الطرق والنتائج ادارة البحوث المقبلة

يستطيع الباحث ان يبوب علم الاصوات العربي الى الابواب التالية. :

1 - تطور النظام الصوتي السامي (وهو تطور معروف بفضل استعمال طريقة المقارنة) ومآله الى النظام الصوتي العربي القديم.

ان الخطوط الكبرى المتعلقة بهذه المسائل قد اصبحت اليوم معروفة لدينا معرفة تامة إلى حد ما. ويمكن للباحث في هذا المضمار الاسترسال في استعمال كتاب بروكلمان (Brockelmann) "المختصر في مقارنة انحاء اللغات السامية" (Grundriss der vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen) على قِدمه وكتابه "المختصر في علم اللغات السامية" وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية و. مارسي (W. Marçais) وم. كوهين (M. Cohen) سنة 1910 بعنوان (Précis de linguistique sémitique) فصار ما يمكن اكتشافه من امور جديدة في هذا الاتجاه نزرًا قليلًا.

2 - وصف نظام العربية القديمة الصوتي (اي العربية الفصحى والاسن العربية الدارجة القديمة). والطريقة الصالحة الوحيدة في هذا الميدان هي طريقة استقراء كتب النحاة العرب وكتب التجويد. وقد قام الباحثون بعد باكبر قسم من هذا العمل ولم يبق الا مواصلة دراسة تلك النصوص القديمة وتفسيرها والتعليق عليها .

3 - تطور نظام العربية القديمة الصوتي ومآله الى الانظمة الصوتية التابعة لمختلف الالسن العربية الدارجة.

ان ما نعلمه في هذا الباب اقل بكثير مما نعلمه في البابين السابقين ومرد ذلك :

أ) الى ان الأنظمة الصوتية الخاصة بالالسن الدارجة لم توصف كلها الى حد الان.

ب) الى اننا نجهل في كثير من الاحيان اسباب ذلك التطور الصوتي ومختلف كينيات وقوعه وانتشاره .

4 - وصف الانظمة الصوتية التابعة لمختلف الالسن الدارجة

لقد وصف الباحثون بعددٍ عدا من اللهجات العربية فصارت خصائصها الصوتية معروفة لدينا معرفة جيدة نوعا ما. على ان الطرق الحديثة التي تجددت بها دراسة الالسن الدارجة في ميدان اللغات الرومانيّة- (romanes) واللغات الجرمانية واللغات الصقلية لم يعمم تطبيقها بعد على دراسة الالسن الدارجة في ميدان اللغة العربية حتى انه يمكننا القول بانه ليس ثمة الى حد الآن علم اصوات تجريبي خاص بميدان العربية. ولئن قيم ببعض الاعمال في هذا الحقل فانها لم تنشر الى الآن. اللهم الا عمل غاردنير (Gairdner) المذكور وهو عمل سطحي بعض الشيء. ولهذا السبب فان مجال البحوث في هذا الميدان مجال واسع جدا. ومن جهة اخرى فان وصف الالسن الدارجة لم يتعلق عادة الا بالسن دارجة منعزلة . ويمكن القول بان هذا الوصف لم يتجاوز ذلك الى "مساحات لغوية" حتى اننا ما زلنا ننتظر من سيقوم بدراسة "الجغرافيا اللغوية" الخاصة بالالسن العربية الدارجة اذ لم يصنف فيها شيء يذكر عدا "الاطلس اللغوي" الذي صنفه برغشتريسر (Bergstrasser) واذن فقد لزم القيام ببحوث واسعة النطاق في الجغرافيا اللغوية لما لها من عظيم الاهمية .

واخيرا فان علم وظائف الاصوات - وهو فرع جديد في علم اللغات نشأ منذ عهد قريب - لم تطبق طرقة قط على ميدان اللغة العربية.

وهكذا فقد ظهر لنا ان المادة متوفرة لقيام باعمال هامة غزيرة في ميدان دراسة صوتيات الالسن العربية الدارجة .

تخطيط الكتاب

تشمّل هذه "الدروس" على :

1 - معلومات عامة : اي بعض الاشارات الخاطفة بشأن جهاز التصويت وكيفية تكوين اصوات الكلام البشري. وعلى الراغب في زيادة التفصيل في هذه المسائل ان يرجع الى الدروس الخاصة "بعموميات علم الاصوات"

2 - دراسة في نظام الحروف

3 - دراسة في نظام الحركات

4 - دراسة في المقطع وفي نبرة الكلمات ونبرة الجمل وفي الايقاع

وستتناول الدراسة في هذه الفصول الثلاثة وكل فقرة منها من وجهات نظر اربع نعرض لها على التسوالي وهي وجهة النظر الصوتية ووجهة النظر الوظيفية ووجهة النظر الوصفية ووجهة النظر التطورية وتنتهي هذه "الدروس" بقائمة منطقية من المصادر والمراجع.

عموميات

بعض التحديدات

علم الاصوات هو دراسة اصوات الكلام المنطوق، وينقسم هذا العلم الى علم الاصوات : "فُونِيَتِيك" (Phonétique) في حد ذاته وهو العلم الذي ينظر في الاصوات في حد ذاتها ويدرس صفاتها من حيث اخراجها بل وحتى من حيث سماعها الى علم وظائف الاصوات ؛ "فُونُولُوجِيَا" ؛ (Phonologie) وهو علم يدرس الاصوات من حيث وظائفها في الاستعمال اللغوي .

ويبدو أن النحاة العرب لم يكن لديهم مصطلح يوافق كلمة "فُونِيَتِيك" (Phonétique) فلم يعتبروا دراسة اصوات اللغة قسما من اقسام النحو الكبرى كما نفعل نحن. على ان ثمة عندهم فصلا رابعا واخيرا في النحو سماه الزمخشري "المشترك" اي "ما يشترك فيه الاسم والفعل والحرف". وفي هذا الفصل دراسة لأكثر المسائل الصوتية التي اهتموا بها الى جانب مسائل اخرى.

جهاز التصويت

على من يتبغي وصفا كاملا لجهاز التصويت ان يرجع الى دروسي في "عموميات علم الاصوات" وسنكتفي هنا بالتذكير فقط بان جهاز التصويت يشتمل على :

1 - الرئتين.

2 - قصبة الرئة وطرفها الاعلى المسمى بالفرنسية "لَارِينَكْس" (Larynx) وفي هذا الطرف الاعلى زوجان من الطيات الجلدية هي الاوتار الصوتية ويسمى الفراغ الموجود بين الاوتار الصوتية وجدار الحلق الخلفي "رأس القصبة" (Glotte) كما أن ثمة طبقا صغيرا اسمه "طبق رأس القصبة" (Epiglotte) وظيفته غلق رأس القصبة عند ابتلاع الطعام .

- 3 - ادنى الحلق (Pharynx) وهو ما بين اصل اللسان وجدار البلعوم.
 4 - الخياشيم ويمكن غلقها او فتحها حسب مكان " غشاء الحنك "
 (Le voile du Palais) وهو جلدة في اقصى الفم تتدلى في طرفها الاسفل
 زائدة لحمية صغيرة تسمى " اللهاة " او " الطلأ طيلة " .

5 - الفم، وأهم اجزائه هي الحنك واللسان والاسنان. وينغلق الفم بواسطة الشفتين ، وتتغير صورة داخل الفم وحجمه حسب اتساع ما بين الفكين وحسب مكان اللسان وهيئته ومكان الشفتين وهيئتهما. ومن شأن اللهاة وطرف اللسان والشفتين ان تنز نزيلا. وقد كان العرب يعرفون اكثر هذه الاعضاء ويطلقون عليها اسماء ذات دقة كافية .

فقد عرفوا "الرئة" (Poumon) (جمعها رِئُون وراثت) و"قصة الرئة" (Trachée artère) و"الحلق" او "الحنجرة" (Larynx) واما لفظ "الحلقوم" فيبدو انهم أطلقوه في آن واحد على الحلق (Larynx) والقصة (Trachée) وقد يستعمل احيانا لفظ "حلق" نفسه لهذه الدلالة المزدوجة.

واما الاوتار الصوتية فلا يبدو ان العرب قد عرفوها . وقد عرف العرب ايضا "طبقت رأس القصبة" (Epiglote) و"فرقوا بين "أقصى الحلق" و"أوسط الحلق" و"أدنى الحلق" ويبدو ان عبارة "أدنى الحلق" تدل على ما يسمى بالفرنسية (Le pharynx). وهو عضو يبدو ان العرب لم يخصصوا له اسما معينا. وينبغي ايضا ملاحظة عبارة "غار الحلق" وهي عبارة تدل في ما يبدو على جهاز التصويت في مجموعته.

واما غشاء الحنك (Le voile du palais) فليس له اسم خاص عندهم في حين ان اللهاة (Lnette) كانت معروفة بهذا الاسم الخاص. وقد اطلق العرب على ما يعرف بالفرنسية بـ (Fosses nasales) اسما بسيطا هو الانف او بصفة ادق داخل الانف او ايضا المنخر. واما لفظ خيشوم ففي معناه اختلاف وقد سمي العرب ما يعرف بالفرنسية بـ (Cavité buccale) "داخل الفم" كما سموه الـ (Palais) "حنكا" وهو لفظ يدل احيانا على اللذن ايضا. ويفرق العرب بين "الحنك الادنى" ويسمى نِطْعًا او الغار الاعلى وبين "الحنك الاعلى" .

كما يفرقون بين اجزاء اللسان فيميزون بين "عَكْدَة" اللسان او "عَكْرَتَه" اى اصله وبين "اقصى اللسان" و "وسط اللسان" و "ظهر اللسان" و "حافة اللسان" و "طرف اللسان". ويسمى طرف اللسان اذا كان يابسا (كعند النطق بحروف الصغير) "اسكّلة" واذا كان رخوا وتحرك بسهولة (كعند النطق بحروف التكرير والانحراف) "ذَلَقًا أو ذَوَلَقًا".

وتنقسم الاسنان عندهم الى "ثنايا" و "رَبَاعِيَات" و "أَنْيَاب" و "أضراس" وتسمى الانياب فيما يظهر "ضواحك" ايضا .

كفية احداث اصوات الكلام البشري (1)

تقوم الرئتان اثناء عملية التصويت بدور المنفاخ ويكوّن الهواء الصاعد منهما ذلك التيار الغازي الذي يحدث ارتجاج الاوتار الصوتية، ذلك ان عضلات الحلق قد تمدد الاوتار الصوتية تمديدا مناسباً حتى اذا ما مر بها ذلك التيار الهوائي نزت له الاوتار نزيواً هو كتريز اللسان المتحرك الموجود في بعض الانابيب المدوية، ويقوم الحلق وداخل الفم وداخل الانف في هذه العملية بدور "المدوي" (Résonateur) بالنسبة الى الصوت المحدث هكذا. أي ان الحلق وداخل الفم والانف يدعمان هذا الصوت ويحوران صفته وذلك ما يحدث عند النطق بالحركات وبالحروف المنجهرورة. اما اذا ارتخت الاوتار الصوتية ولم تنز ذلك التريز فان الصوت يصبح مجرد نفس يحوره داخل الفم تحويراً ما يختلف مداه واهميته، وذلك ما يحدث عند النطق بالحروف المهموسة. فهناك اذا في عملية التصويت عنصران لازمان وكافيان لاحداث الاصوات أو لإحداث أي ذوي آخر وهما :

1 - اخراج النفس من الرئتين

2 - تفصيل النطق في الفم. ومن المفروغ منه ان المدوي القموي يمكن ان تتغير هيئته وحجمه حسب ارادة الناطق. وهناك عنصران آخران قد يضافان الى العنصرين الاولين اولا يضافان اليهما وهما :

(I) للزيادة في تفصيل هذه المسألة انظر « دروس عموميات علم الاصوات » •

1 - نزيـز الاوتار الصوتية

2 - الغنة الخيشومية (التي تحدث اذا تَنَزَّلَ غشاء الحنك وتندم اذا ارتفع)

فماذا كانت معلومات النحاة العرب في ما يتعلق بهذه العملية المتشعبة جدا الخاصة باحداث الصوت وبالتصويت ؟ لقد عرف هؤلاء النحاة ” النفس “ ودرسوا دراسة تفصيلية النطق القموي بجميع صفاته كما وصفوه وصفا دقيقا جدا. ولم يغب عنهم دور ” المدوي الخيشومي “ في احداث بعض الاصوات. وعلى العكس من ذلك فانه يبدو ان الاوتار الصوتية ودورها الاساسي في احداث الاصوات قد ظلا مجهولين لديهم جهلا تاما .

ترتيب اصوات الكلام البشري

ان الترتيب الاساسي الواجب في نظام الاصوات البسيطة المكونة للكلام البشري هو ترتيبها حروفا وحركات، ويمكن تحديد الحروف والحركات تحديدا وجيزا هكذا :

1 - خاصية الحرف هي ان يقوم حاجز في جهاز التصويت ثم ان يجتاز النفس ذلك الحاجز.

2 - خاصية الحركة هي بالعكس ان لا يقوم حاجز في جهاز التصويت فيجري النفس حرا طليقا .

واما النحاة العرب فقد اطلقوا اسم ” حرف “ ج. ” حروف “ (وهو اسم يطلق في الاصل على عناصر الابدئية) على كل صوت بسيط من الكلام سواء أكان حرفا (Consonne) في المعنى الحقيقي للكلمة اليوم ام حركة طويلة كحروف المد واللين . ويمكن في نظام الكتابة العربية أن تغفل الحركات القصيرة واذا ما اثبتت كان ذلك بواسطة علامات صغيرة مساعدة تكتب فوق الحروف أو تحتها وتدعى ” حركات “ وهو جمع حركة، فلفظ ” حركة “ لا يقابل لفظ ” حرف “ بل لفظ ” سكون “ اي انعدام الحركة.

وهكذا فبالرغم من وجود اسم للحركة وهو لفظ "مُصَوِّتة" واسم للحرف وهو لفظ "صامتة" فإنه يمكننا القول بأن نظام الكتابة العربية هذا قد طمس بعض الشيء عند النحاة العرب معالم المقابلة الأساسية بين الحروف والحركات طمسا جعلهم لا يعيدون هذه المقابلة الأهمية الرئيسية التي تكتسي بها في الحقيقة .

نظام الحروف

I - عموميات

1 - عموميات صوتية

لقد سبق لنا ان قلنا ان ما تختص به الحروف هو قيام حاجز داخل جهاز التصويت ثم اجتياز النفس لذلك الحاجز. فمن الممكن اذن ان نرتب الحروف :

أ) حسب النقطة التي يقوم عندها ذلك الحاجز (اي مخارج الحروف)

ب) حسب درجة أهمية ذلك الحاجز (اي درجات الانفتاح)

ج) حسب مختلف الخاصيات التي تصاحب قيام ذلك الحاجز (أي صفات الحروف).

أ) مخارج الحروف ؛ يجب التمييز بين مخارج الحروف الآتية :

• الحروف الشفوية : أي التي تفرع بانضمام الشفتين الواحدة الى الاخرى مثل الباء (p) والباء والميم والواو.

• الحروف الشفوية الاسنانية : أي التي تفرع بين الشفة السفلى منطبقة على الثنايا العليا مثل الفاء والهاء (v) .

• الحروف التي بين الاسنان : أي التي تفرع بوضع طرف اللسان

بين الاسنان العليا والسفلى منفرجة انفراجا قليلا مثل الذال والطاء في الانقليزية والذال والطاء والظاء في العربية

*الحروف الاسنانية : أي التي تفرع بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها مثل التاء والذال والنون والسين والزاي .

*الحروف الادنى - حنكية : أي التي تفرع بوضع اللسان على أدنى الحنك مثل الكاف والثاف (g) [إذا كانا قبل حركتي ا (الكسرة) أو e (الفتحة الممالة امالة شديدة)] و"تش" و"دج" ونحو الشين والجيم والياء واللام (لان الهواء يجرى فيها على حافتي اللسان) ونحو الراء (وتسمى الراء حرفا مكررا لان طرف اللسان ينز عند النطق بها) .

*الحروف الاقصى - حنكية : أي التي تفرع بضم ظهر اللسان الى الجزء الخلفي من الحنك نحو الكاف ونحو الثاف (g) التي قبل a (الفتحة) و o (الضمة المنفتحة قليلا) و u (الضمة) في الفرنسية. ونحو حرف r في مثل "ng" في الالمانية (وهو غنة في الخيشوم)

*الحروف الهويبة : (نسبة الى الهاء وهي الطلّاطلة) وتسمى بالفرنسية (Vélares) أو (Uvulaires) (نسبة الى (Uvula) وهي الهاء باللاتينية) أي التي تفرع بضم ظهر اللسان الى غشاء الحنك والهاء مثل القاف والحاء والغين .

*الحروف الادنى - حلقية : (Pharyngales) أي التي تفرع بتضيق أدنى الحلق وبتقباض جداره نحو الحاء والعين .

*الحروف الاقصى - حلقية : (Laryngales) أي التي تفرع في اقصى الحلق أو بالاحرى في رأس قصبه الرئة، وهو قادر على الانفتاح أو الانغلاق نحو الهمزة والهاء.

ب) درجات الانفتاح : يمكن ترتيب الحروف حسب أهمية الحاجز القائم في جهاز التصويت - أي حسب درجة انفتاحه - كما يلي :

• الحروف التي الانفتاح فيها معدوم أي التي يكون جهاز التصويت
منغلقا تماما عند النطق بها. وتسمى الحروف الشديدة (Occlusives) نحو
الباء (p) والباء والتاء والذال والكاف والقاف (g) والقاف والهمزة.

• الحروف التي الانفتاح فيها ضعيف جدا اي التي يكون جهاز التصويت
فيها منفتحا انفتاحا قليلا والحاجز القائم فيه حاجز على قدر عظيم من
الاهمية وتسمى هذه الحروف حروفا بين الشدة والرخاوة (Fricatives)
أو حروفا رخوة (Spirantes) نحو الفاء والهاء (v) والتاء والذال
والسين والزاي والشين والجيم والخاء والغين والحاء والعين.

وتسمى الحروف التي هي وسط بين الحروف الشديدة وبين الحروف
الرخوة حروفا شديدة - رخوة (Affriquées) أي أن الجزء الاول منها
شديد والجزء الاخير رخو مع لزومها نفس المخرج. ومن هذه الحروف
"تش" (č) و"دج" (ǰ) و"تس" (tʰ) وهي حروف نجدها في
بعض اللهجات العربية .

• الحروف التي ينغلق الفم عند النطق بها ولكن مع تنزل غشاء
الحنك تنزلا يسمح للنفس بالمرور من الخيشوم. وتسمى هذه الحروف
حروفا خيشومية (Nasales) نحو الميم والنون ونحو النون الخفيفة : [ŋ]

• الحروف التي الانفتاح فيها انفتاح متوسط والتي يترك اللسان فيها
لهواء ممرا كبيرا نوعا ما. وتسمى هذه الحروف حروفا مائعة (Liquides)
مثل الراء واللام .

• الحروف التي الانفتاح فيها كبير أي التي يكون ممرا الهواء فيها
أكبر مما في القليل السابق، وتسمى هذه الحروف انصاف حركات
(Semi-voyelles) مثل الواو والياء .

• الحروف التي الانفتاح فيها اكبر ما يكون أي التي يفتح فيها جهاز

التصويت انفتاحا عاديا فيجرى النفس جريا. وتسمى هذه الحروف حروفا هاوية (Aspirées) نحو الهاء .

ج (صفات الحروف . بعد ان حددنا هكذا "المخارج" و"درجات الانفتاح" يجب ايضا ان نميز بين عدة خصائص في النطق :

* الحروف المضعفة وهي التي يمتدّ النطق بها ايضا هي مداها مدى حرفين بسيطين تقريبا وترسم هذه الحروف عادة في الابدجيدية الاوروبية بحرفين متتابعين "ب ب" (b b) "م م" (m m) الخ ...

* الحروف المجهورة (Sonores) وهي التي تنز الاوتار عند النطق بها، نحو الباء والذال والثاف (g) والهاء (v) والذال والزاي والجيم وحرف "دج" (ğ) والغين والعين والميم والنون واللام والراء والواو والياء .

* الحروف المهموسة (Sourdes) التي لا نزيز للاوتار الصوتية فيها. نحو الباء (p) والتاء والكاف والهمزة والفاء والتاء والسين والشين وحرف "تش" (č) والحاء .

* الحروف المفخمة. وخاصيتها توتر عظيم في مختلف اعضاء جهاز التصويت مع تأخير المخرج شيئا ما نحو الطاء والصاد والطاء في اللغة العربية.

* الحروف المُلَيَّنَة (mouillées) التي يبدو الجزء الثاني منها كأنه ياء مثل حرف "ئي" (gn) في كلمة (cygne) الفرنسية (سِينِي أي التَّم) و"لِي" و"نِي" (ll, ñ) في الاسبانية.

* الحروف الهاوية. وهي التي تبدو كأنها متبوعة بهاء متفاوتة القوة. مثل الباء (p) والتاء والكاف في اللغة الالمانية و"ته" (t^h) و"كه" (k^h) في بعض اللهجات العربية .

* الحروف المتبوعة بزائدة لهوية شفوية أي التي تبدو كأنها متبوعة

بواو خفيفة مثل بو (b^w) وم و (m^w) وفو (f^w) وكو (k^w)
 وفو (g^w) في بعض اللهجات العربية وكو (k^w) وفو (g^w) وفو
 (f^w) وخو (h^w) في اللغة الحبشية .

* الحروف المتبوعة بزائدة انحرافية والتي تبدو متبوعة بلام خفيفة مثل
 ال (س° ل°) (g) في السامية والضاد في العربية .

د) اهم ظواهر تعامل الاصوات : قد تعمل الحروف المتتابة او المتجاورة
 في بعضها بعض فيحدث عن ذلك ظواهر مختلفة تابعة لعلم تعامل الاصوات.
 واهم هذه الظواهر هي الادغام والتباين والقلب .

اما الادغام فهو ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين ما الى التماثل أو الى
 الاتصاف بصفات مشتركة نحو : "دت" ← "ت". واذا كان الادغام جزئيا
 سمي "تقريبا" نحو : "نب" ← "مب". واما التباين فهو عكس الادغام أي
 انه ظاهرة تتمثل في نزعة صوتين مثلين أو ذوي صفات مشتركة الى التباين.
 وذلك اذا كانا متجاورين نحو الراء في كلمة (peregrinum)
 (بريفريستوم) اللاتينية التي تصبح لاما في كلمة (Pélerin) (بيلورين)
 الفرنسية أي "الحاج" واما "القلب" فهي ظاهرة تتمثل في كون صوتين ما
 من الاصوات يتبادلان مكانهما في كلمة ما نحو (scintilla) في اللاتينية
 التي تصبح (stincilla) ثم (Etincelle) في الفرنسية (سَانْتِيلَا ←
 سْتَانْسِيلَا ← إيتانْسَال° : أي شرارة) فالقلب وقع بين السين والتاء .

2 - نظام الحروف في اللغة السامية : ان وجود عدة لغات سامية
 متقاربة جدا مثل اللغة الاكادية (وتتفرع الى الاشورية - البابلية) واللغة
 الكنعانية وتتفرع الى العبرية والفينيقية والمؤابية. واللغة الآرامية. واللغة
 الاوغاريتية (اي لغة رأس شمرا) واللغة العربية ولغة جنوب الجزيرة العربية
 (وتتفرع الى مرقومة وحبشية وعصرية). ان وجود هذه اللغات قلنا يجعل
 من المحتمل وجود لغة اقدم هي السامية تكون مختلف اللغات السامية
 المذكورة مجرد فروع متطورة منها ومتفاوتة في درجة تباين بعضها عن
 بعض .

ونحن اذا قارنا بين الانظمة الحرفية التابعة لمختلف اللغات السامية
أدانا ذلك الى التسليم بان اللغة السامية كانت تشتمل على النظام الحرفي
التالي. فيه 31 حرفا (منها اثنان مشكوك فيهما في الحقيقة. وهما الباء
المفخمة (ب = b) والبدال ذات الزائدة اللامية أي دل $\rightarrow d_2^1$) (1)

p — b (b)	پ — ب (ب)
m	م
w	و
t — d d	ت — د د
n	ن
t — d 2 — 2 d 2	ت — د 2 — 2 د 2
s — z t — d d z/	تس — دز دز
t — d 2 — 2 d 2	ت — د 2 — 2 د 2
r, l, s, y	ر — ل — ش — ي
k — g q	ك — ق
h — ǧ	خ — غ
h — ʿ	ح — ع
ʾ	ء
h	هـ

(I) لم نثبت في هذا الجدول الحروف المضعفة على ان كل حروفه قابلة
للتضعيف .

وأول ما يسترعي الانتباه في هذا الجدول هو وجود 6 مجموعات مثلثة أو ثواليت متركبة من 3 احرف من مخرج واحد. أحدها مهموس وثانيها مجهور وثالثها مفخم محايد من حيث الجهر (1). وتمثل هذه الثواليت خاصة من خصائص نظام الحروف في السامية .

وثاني ما يسترعي الانتباه فيه هو ان اربعة من هذه الثواليت ذات مخرج اسناني. فأول ثلاث من هذه الاربعة متركب من حروف شديدة اسنانية عادية أي من التاء والذال والذال المفخمة. والثالث الثاني منها متركب من حروف شديدة اسنانية يبدو أن مخرجها كان اكثر الى الامام بقليل من حروف الثالث الاول وان شدتها كانت غير كاملة وقد اثبتتها هكذا : (ت₂) و(د₂) و(ج₂). ويمكن أن تصير هذه الحروف حروفا رخوة من بين الاسنان أو حروفا مشأشة أو حروف صفير.

والثالث الثالث منها يحتوي على حروف شديدة اسنانية ذات زائدة رخوة من حروف الصفير وهي "تس" "ودز" و"دز" وقد أصبحت حروف هذا الثالث عادة حروف صفير.

واما الثالث الرابع منها فمتركب من حروف شديدة أسنانية ذات شدة ضعيفة، أي انه من المحتمل أنها كانت شبيهة بحروف الثالث الثاني الا انها متبوعة بزائدة انحرافية هي نوع من اللام الخفيفة وترسم هكذا : "تل₂" و"دل₂" و"دل₂" مع ملاحظة ان العنصر المجهور من هذا الثالث الاخير مشكوك في وجوده .

وآخر ما يسترعي الانتباه في هذا الجدول هو وفرة الحروف الاقصى-حنكية واللهوية والحلقية وهي حروف تمثل ايضا خاصية هامة من خصائص نظام الحروف في اللغات السامية .

3 - نظام الحروف في العربية القديمة

ان العربية تبدو لنا منذ نصوصها الاولى محتوية على نظام ذى 28

(I) أى ان جهره لا قيمة له من حيث علم وظائف الاصوات وذلك لأن هذا الحرف المفخم (وهو مجهور احتمالا) لا يقابل حرفا ثانيا مفخما مهموسا .

حرفا كما ترى ذلك في الجدول أسفله (1)، وإذا قارنا بين هذا النظام ونظام اللغة السامية بانت لنا عدة تطورات هامة :

فقد تهدم الثالوث الشفوي بقلب الباء (p) فاء وباضمحلال الباء المفخمة (b) وهو في الحقيقة حرف مشكوك في وجوده في السامية.

ولئن بقي الثالوث الاسناني الاول سالما فقد اصبح الثالوث الثاني ثالوثا من الحروف الرخوة مخرجها بين الاسنان وانقلب الثالوث الثالث فأصبح يتركب من حروف صفيرية. واما الثالوث الرابع فقد تهدم بانتقال "ت₂ الى "ش" وباضمحلال الـ "د₂" المجهور والمشكوك في وجوده في الحقيقة. فلم يبق اذا الا صوت واحد متبوع بزائدة انحرافية هو حرف الضاد. كما قلب الشين السامي القديم فأصبح سينا واختلط بالسين المنحدرة من الثالوث الاسناني الثالث وعوضت الشين القديمة بشين جديدة انحدرت كما رأينا من "ت₂".

وأخيرا فقد تهدم الثالوث الاقصى حنكي اذ قلب حرف القاف (g) حرفا ادنى حنكيا هو الجيم (ğ) فلم يسلم من التغيير الا نظام الحروف الهوية والادنى - حلقية والاقصى حلقية ونظام الحروف المائعة وانصاف الحركات واليك جدول الحروف العربية .

ب (b) م (m) - و (w) - ف (f) - د (d) - ت (t) -
ط (t) أو (d) - ن (n) - ث (t) - ذ (d) - ظ (d) -
س (s) - ز (z) - ص (s) - ر (r) - ل (l) - ض (d) -
ج (ğ) - ش (š) - ي (y) - ك (k) - ق (q) - خ (h) -
غ (ğ) - ع (c) - ح (h) - ء (o) - ه (h) -

وعدد حروف هذا النظام عند النحاة العرب (2) تسعة وعشرون حرفا اصليا مرتبة حسب مخرجها من الحلق الى الشفتين هكذا : الهمزة والالف (3)

(I) لم تثبت في هذا الجدول أيضا الحروف المضعفة على أن كل حروفه قابلة للتضعيف .

(2) سيبويه - (طبعة ديرانبورغ : Dérenbourg) الجزء الثاني ص 452

والزمخشري - ابن يعيش (طبعة القاهرة) الجزء العاشر ص 125 - 128 .

(3) الألف في نظرنا ليست حرفا .

والهاء والعين والحاء والغين والحاء والقاف والكاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والطاء والصاد والزاي والسين والطاء والذال والطاء والفاء والباء والميم والواو، ويضيف النحاة العرب الى هذه الحروف التسعة والعشرين الاصلية حروفا اخرى باعتبار نطقها الخاص هي :

(1) ستة احرف مستحسنة في نظرهم هي النون الخفيفة وهمزة بين بين والالف الممالة والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي والفاء التخميم.

(2) ثمانية احرف مستهجنة في اعتقادهم يستعملها العرب الذين خالطوا الاعاجم هي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالصاد والجيم التي كالسين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالطاء والطاء التي كالطاء والياء التي كالفاء .

(3) خمسة احرف يضيفونها احيانا هي القاف التي بين القاف والكاف والجيم التي كالزاي والشين التي كالزاي والياء التي كالواو (اي ما يسمى بالإشمام) والواو التي كالياء .

وهكذا فان عدد الحروف عند العرب يرتقى الى مجموع ثمانية واربعين حرفا بل الى 50 حرفا اذا اعتبرنا ان همزة بين بين تنطق بثلاث كيفيات مختلفة.

(1) ويمكن ترتيب الحروف العربية حسب مخارجها كما يلي :

- 3 أحرف شفوية هي الباء والميم والواو.
- حرف واحد شفوي اسناني هو الفاء
- 3 أحرف من بين الاسنان : هي التاء والذال والطاء.
- 7 أحرف اسنانية هي : التاء والذال والطاء (الذال المنفخمة : d) والنون والسين والزاي والصاد .
- 6 أحرف أدنى - حنكية هي الجيم والشين والياء والراء واللام والضاد.
- حرف واحد اقصى - حنكي هو الكاف

- 3 أحرف لهوية هي القاف والخاء والغين .
 - حرفان أدنى - حلقيان هما الحاء والعين .
 - حرفان أقصى - حلقيان هما الهمزة والهاء .
- ونظرية مخارج الحروف عند النحاة العرب (1) نظرية احكموا ضبطها بعناية. فهم يقسمون مخارج الحروف الى 16 (2) مخرجا هي :
- (1) أقصى الحلق وهو مخرج الهمزة والهاء والالف .
 - (2) وسط الحلق وهو مخرج العين والحاء .
 - (3) أدنى الحلق وهو مخرج الغين والخاء .
- وتسمى حروف هذه المجموعات الثلاث "حروفا حلقية" .
- (4) أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وهو مخرج القاف .
 - (5) ما هو أسفل بقليل من مخرج القاف بين اللسان والحنك الأعلى وهو مخرج الكاف. ويسمى هذان الحرفان (أي القاف والكاف) "لهويين"
 - (6) وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى وهو مخرج الجيم والشين والياء وتسمى هذه الحروف "شجرية" أي "حروف منفتح الفم" .
 - (7) أول حافة اللسان والأضراس وهو مخرج الضاد .
 - (8) جميع أول حافة اللسان وأول الحنك الأعلى والأضراس الصغرى والانياب والثنايا وهو مخرج اللام.
 - (9) طرف اللسان والثنايا وهو مخرج النون .
 - (10) نفس المخرج السابق إلا أنه ادخل في ظهر اللسان بقليل وقريب من مخرج اللام وهو مخرج الراء .

(I) سيبويه (طبعة ديرانبورغ) الجزء II ص 452-453 والزنجشري - ابن يعيش (طبعة القاهرة) الجزء العاشر ص 123 - 125 - وص 131 ... الخ ...

(2) ويقسمونها الى 17 مخرجا في بعض كتب التجويد .

وتسمى اللام والنون والراء حروفاً "ذَلْقِيَّة" أو "ذَوَلْقِيَّة" أي حروفاً تفرع بذلوق اللسان وهو طرفه .

(11) طرف اللسان وأصول الثنايا وهو مخرج الباء والذال والطاء.

وتسمى هذه الحروف حروفاً "نِطْعِيَّة" أي أدنى حنكِيَّة .

(12) طرف اللسان وأعلى باطن الثنايا وهو مخرج الزاي والسين والصاد. وتسمى هذه الحروف "حروفاً أَسَلِيَّة" أي حروفاً تفرع بأسلة اللسان وهو طرفه إذا استدق .

(13) طرف اللسان وأطراف الثنايا وهو مخرج الطاء والذال والطاء. وتسمى هذه الحروف "حروفاً لِشَوِيَّة".

(14) الشفة السفلى والثنايا وهو مخرج الفاء .

(15) الشفتان وهو مخرج الباء والميم والواو .

وتسمى الفاء والباء والميم والواو "حروفاً شَفَوِيَّة" أو "شفهية" .

(16) الخيشوم وهو مخرج النون الخفيفة (ذات النطق الخيشومي)

وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جليلة ملحوظة وموافق تقريبا لترتيبنا نحن .

II – ويمكن ترتيب الحروف العربية حسب درجات انفتاحها كما يلي.

– 7 أحرف شديدة هي الباء الشفوية والطاء والذال والطاء. (د)
الاسنانية والكاف الاقصى حنكِيَّة والقاف اللهوية والهمزة الاقصى – حاقِيَّة

– حرف واحد شديد ذو زائدة رخوة هو الجيم.

– 14 حرفا رخوا هي الفاء الشفوية الاسنانية والطاء والذال والطاء التي من بين الاسنان والسين والزاي والصاد الصفيرية والشين المشاشأة والضاد ذات الزائدة الانحرافية والحاء والغين اللهويتان والحاء والعين الادنى حلقيتان والهاء الاقصى حلقِيَّة .

- حرفان خيشوميان هما الميم والنون .
- حرفان مائعان هما الراء المكررة واللام الانحرافية
- نصفاً حركتين هما الواو والياء .

III — ويمكن من جهة اخرى ترتيب الحروف العربية حسب صفاتها

كما يلي :

أ) الحروف المضعفة والحروف التي لا تضعيف فيها وجميع الحروف العربية قابلة للتضعيف .

ب) الحروف المجهورة وهي الباء والميم والواو والذال والذال والطاء د) والنون والزاي والجيم والياء والراء واللام والضاد والقاف) والغين والعين. والحروف المهموسة وهي الفاء والثاء والتاء والطاء والسين والصاد والشين والكاف والقاف والقاف والخاء والحاء والهمزة والهاء. وسيأتي فيما بعد الحديث عن مسألة هل الطاء والقاف حرفان مجهوران ام مهموسان.

ج) الحروف المطبقة وهي الطاء (الذال المفخمة) والطاء والصاد والضاد. وقد يضاف اليها القاف. والحروف غير المطبقة وهي سائر الحروف الاخرى وسياتي فيما بعد الكلام عن الحروف ”المفخمة“.

د) الحروف ذات الزائدة الانحرافية. وليس في العربية من هذه الحروف الا حرف واحد هو الضاد.

ولم يفرق النحاة العرب بين ”درجات الانفتاح“ وبين ”صفات النطق“ بل نراهم يرتبون هذين النوعين من الخصائص في باب واحد هو باب ”صفات الحروف“ . ويذكرون من هذه الصفات تسع عشرة صفة. على الاقل اذ منهم من يذكر اكثر من ذلك العدد. ويقسمونها الى ”صفات ذات مقابل“ و”صفات لا مقابل لها“ فلننظر في هذه الصفات المختلفة حسب الترتيب الذي تذكر فيه عادة (1)

(1) سيويه : II ، الصفحة 453 - 455 والزمخشري ابن يعيش : x
الصفحة 128 - 131 - وانظر ايضا كتب التجويد .

1) الجهر ويقابله الهمس :

وتنقسم الحروف بمقتضاهما الى مجموعتين اثنتين : الحروف المجهورة والحروف المهموسة. وتحديد الجهر والهمس تحديد غامض يمكن التناقش في معناه. وقد قبل الباحثون (انظر مثلاً شاده Schaade ص 13) مدة طويلة الفكرة القائلة بان الحروف المجهورة هي الحروف التي نسميها " Sonores " (سُنُورٌ) وان الحروف المهموسة هي الحروف التي نسميها " Sourdes " (سُورْدٌ) الا ان بعض الباحثين قد قاموا منذ بضع سنوات برد فعل عنيف ضد هذه النظرية انظر غارديير (Gairdner) "علماء الاصوات العرب" ص 243-246 وبرفمان (Bravmann) ص : 21-25) والاعتراضات التي اعترضوا بها على هذه النظرية القائلة باتحاد كلمتي مجهورة و "Sonores" وكلمتي مهموسة و " Sourdes " في المعنى وهي الآتية :

أ) لقد كان علماء الاصوات العرب يجهلون الدور المضبوط الذي تقوم به الاوتار الصوتية. على ان الجواب على هذا الاعتراض يسير اذ انه يمكن التفتن الى المقابلة بين المجهورة والمهموسة (Sonore / Sourde) تفتننا دقيقا جدا بدون معرفة سببها الحقيقي .

ب) لقد قام نقاش في معنى عبارتي "مجهورة" و "مهموسة". ومن الباحثين من يشك في صحة ترجمتهما بكلمتي " Sonore " و " Sourde " ان كلمة مجهورة معناها في الحقيقة : " Eclatante " (إِكْلَاتَانَتْ : أي رَتَان) وان كلمة مهموسة تعني : " Etouffée " (إِيْتُوفِي : أي مخنوق) وان برافمان (Bravmann) ليس على خطأ في اعتباره لفظ مجهور مرادفا لفظ قسوي ولفظ مهموس مرادفا للفظ خفيف او ضعيف. على ان ذلك لا يعني استحالة استعمال العرب لفظ مجهور في معنى ما نسميه : "Sonore" (سُنُورٌ) واستعمالهم لفظ مهموس في معنى ما نسميه : " Sourde " (سُورْدٌ) افليس هذان اللفطان الفرنسيان ذاتهما غير مناسبين في استعمالنا لهما على الكيفية التالية : " Sonore " اي حرف مصحوب بتزيز الاوتار الصوتية و " Sourde " اي حرف غير مصحوب بذلك التزيز ؟

ج) ويبلغ النقاش اعلى درجات الحدة فيما يتعلق بقائمة الحروف

المجهورة والحروف المهموسة على النحو الذي ذكرها عليه سيبويه والزمخشري وابن يعيش. فالحروف المجهورة حسب النحاة هي : الهمزة والالف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والطاء والذال والباء والميم والواو. بينما الحروف المهموسة عندهم هي : الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والتاء والفاء .

وقد لاحظ الباحثون من حين عرف هذا النص وتناقشوا فيه ان الهمزة (وهي حرف مهموس " Sourd " بطبيعته) وان القاف والطاء (وهما حرفان مهموسان " Sourds " حسب القراءة التقليدية التي وصلت الينا) محشورة في تلك القائمة في زمرة الحروف المجهورة. على ان هذا الاعتراض—وان اثر في النفس في الظاهر — ليس له قيمة حقيقية .

فسنرى فيما بعد ان القاف والطاء ربما كانا في الاول حرفين مجهورين " Sonores " في قسم من اقسام العربية القديمة على الاقل. واما الهمزة فمن الممكن ان يكون اتصالها المتواتر بالالف قد جعلهم يعتبرونها خطأً مجهورة. وخالصة القول ان الحجج التي قدمها المعترضون لا تؤدي الى اليقين وان تقسيم الحروف الى مجهورة والى مهموسة يوافق فيما يبدو تقسيمنا اياها الى " Sonores " والى " Sourdes " موافقة تامة. على الاقل عند سيبويه والزمخشري، اذ ليس من الحكمة والتبصر الركون الى نحاة عهد الانحطاط الذين يستشهد بهم برافمان في صفحة 22.

2- وتوافق المقابلة بين "الشدّة" والرخاوة" مقابلتنا بين " Occlusion " (أوكلُوزيُون) و" Spirantisme " (سبِيرَانْتِيْسْم) موافقة كاملة. فالحروف "الشديدة" هي الحروف التي نسميها " Occlusives " بالذات وتسمى ايضا "حروفاً آنية" وقائمة الحروف الشديدة التي نجدها عند سيبويه (11 ، ص 454) وعند ابن يعيش (X ، ص 129) مطابقة لنظريتنا الحديثة تمام المطابقة. فهما يذكران فعلا : الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والياء والتاء. وكذلك لا تحتوي قائمة الحروف الرخوة او " المتواصلة " عندهما الا على الحروف التي نسميها نحن " Spirantes " اي : الحاء والهاء والغين والحاء والشين والسين والضاد والزاي والصاد والطاء والتاء

والذال والفاء. واما الحروف الباقية اي الالف والغين والياء واللام والنون والراء والميم والواو فيعتبرونها بين "الشدّة والرخاوة".

وفعلا فان النون والميم خيشوميان واللام والراء يمتازان بكيفية خاصة في النطق والالف والواو والياء هي "حروف المد" : فلا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب الا في ما يتعلق بحرف العين. وما عدا ذلك فان الترتيب مضابق لترتيب علماء الاصوات العصريين .

3 - الاطباق ويقابله الانفتاح. وتشمل هاتان الصفتان جزءا من مفهومي الـ "التفخيم" و"انعدام التفخيم" عندنا. على ان تحديد النحاة العرب لهما تحديد بعيد عن الوضوح. وانا اکتني في هذا الصدد بالاستشهاد بتحديد سيويه (11 ، ص 455) اذ يقول "فاما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف .. وهذه الحروف الاربعة اذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن الى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان ترفعه الى الحنك فاذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اناسان والحنك الى موضع الحروف واما الدال والزاي ونحوهما فانما ينحصر الصوت اذا وضعت لسانك في مواضعهن فهذه الاربعة لها مواضعان من اللسان وقد بين ذلك بحصر الصوت ولولا الاطباق لصات الطاء دالا (1) والصاد سينا والطاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لان ليس شيء من موضعها غيرها" فالخلاصة هي ان سيويه ومن خلفه من النحاة يعتبرون الحروف المطبقة حروفا "محصورة". ومن الملاحظ ان النحاة العرب لم يثبتوا في قائمة الحروف المطبقة لا حرف القاف ولا بعض الحالات الخاصة في نطق الراء واللام التي تسمى عندنا راء "مفخمة" و"لاما مفخمة" وذلك لان النحاة العرب يعتبرون هذه الحروف حروفا "مفخمة" (2)

4 - الاستعلاء . وليس يخلو الاستعلاء من بعض الاتصال بالاطباق ويعرف الزمخشري (ص 190) وابن يعيش (X ، ص 129) يعرفان الاستعلاء

(1) سنناقش فيما بعد هذا القول الجدير بالملاحظة .

(2) اي ان العرب يفرقون بين المطبقة والمفخمة بينما يجمعها علماء الاصوات

العصريون في لفظ « Emphatiques » (المرعب) .

هكذا: "والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك اطبقت أم لم تطبق" "والحروف المستعلية هي الحروف المطبقة الاربعة ثم القاف والخاء والغين. ويقابل الاستعلاء الأنخفاض أو الاستفال وتسمى الحروف غير المستعلية مستفلة أو منخفضة ويضيف بعض المؤلفين المتأخرين في الزمن الهاء والعين الى الحروف المستعلية.

5 - ولا يمكن التفريق بين التفخيم وبين الاطباق والاستعلاء وان كان التفخيم لا يذكر عادة في قائمة صفات الحروف. ويسمى التفخيم ايضا "تغليظا" أو "تسمينا" ويقابله "الترقيق" (1) ومن الراجح فيما يبدو ان لفظ "التفخيم" يطلق على بعض الحروف التي لها وقع خاص على السمع أي وقع "فخم" أو "غليظ" أو "سمين" على الاذن. وهذه الحروف هي الاربعة المطبقة ثم القاف والخاء والغين ثم الراء واللام في بعض حالاتهما الخاصة. ومن خصائص الحروف المفخمة الاساسية انها تمنع الامالة بجوارها اي انها تمنع جنوح الفتحة الى الكسرة وهذا الجنوح كثير الحدوث في جوار الحروف المرفقة. ولندكر ايضا ان التفخيم لا يطلق على الحروف فقط بل وايضا على الحركات فهناك في العربية "الف التفخيم" وهي فيما يبدو فتحة خلفية (اي هَ) تميل الى الحركة الخلفية نصف المنغلقة (اي O) ويبدو ايضا ان التفخيم قد يدخل على الياء ويسمى ذلك "إشماما".

6 - ويقسم النحاة العرب الحروف الى "مذلقة" و"مصمتة". وعدد المذلقة ستة هي اللام والراء (ونسُميها نحن " Liquides " " ليكييد" أي مائعة) ثم النون والحروف الشفوية الثلاثة اي الباء والفاء والميم .

ولنتعرض الآن بسرعة صفات الحروف التي لا مقابل لها.

7) حروف القلقلّة : وهي الحروف التي لها صوت شديد الوقع لانها جمعت بين الجهر والشدة أي أنها تمثل في خمسة أحرف شديدة ومجهورة

(I) على الراغب في الزيادة من التفاصيل الرجوع الى آراء ماتسون (Mattsson) ص 18 - 32 .

هي القاف (1) والجيم والطاء (1) والذال والباء. وإذا كانت هذه الحروف آخره في الكلمة ووقف عليها كانت القلقلة شديدة جدا وسميت قلقلة كبرى. وإذا كانت وسطا سميت القلقلة بخلاف ذلك أي قلقلة صغرى.

8 (حروف الضمير وهي الحروف الضميرية الثلاثة أي السين والزاي والصاد

9 (حروف اللين : وهي الواو والياء والالف وتسمى أيضا أحيانا "حروف المد" .

10 الهاوي "أي الذي فيه هواء" وهو نعت ينعت به الالف الجرسية أي "الالف الذي يحدث صوتا" للمقابلة بينه وبين الالف إذا كان عماد الهمزة .

11 الانحراف : وهو خاصية اللام لان اللسان ينحرف عند النطق بهذا الحرف ويجري الصوت من جانبي اللسان وذاك ما نعبر عنه نحن بعبارة : " Latérale " (لا تيسرال أي جانبي) .

12 التكرير : وهو خاصية الراء اذ انه يقع فعلا "تكرير" النطق وذلك لان النطق بالراء يتمثل في عدة نرات وارتعشات في طرف اللسان.

13 التفشّي : هو خاصية حرف الشين وذلك لان اللسان يتفشى فعلا على الحنك فيكون في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس .

14 الاستطالة وهي صفة الضاد وربما كان السبب في هذه التسمية وجود تلك الزائدة الانحرافية في الضاد .

15 المهتوت ومعناه "المحصور المكسور" أو "المقول بسرعة وغزارة في الكلام" ويطلق ابن جنبي في "سر الصناعة" هذا النعت على الهاء (كما يذكر ذلك برافمان (Bravmann) ص 41). ويذكر الازهري في

(I) فيما يتعلق بجهر القاف والطاء أنظر صفحة 35 وما بعد هذا .

”تهذيب اللغة“ (ص 41) ان الخليل يطلق لفظ المهتوت على الهمزة (انظر برافمان ص 39) (Bravmann) اما الزمخشري وابن يعيش (ص 128 و 131) فيطلقانه على التاء الا انه من المحتمل ان ذلك ناتج عن غلط من الناسخ وان الصواب هو ان نقرأ ”هاء“ عوض ”تاء“

التشديد : من الملاحظ ان التشديد (1) (وهو اللفظ العربي الموافق لـ (Gémination) جِمِينَاْسِيُونُ : اي تشفيغ) ليس موجودا في قائمة صفات الحروف والراجح ان السبب في ذلك هو ان التشديد لا يغير من طبيعة الحروف الخاصة بل يطيل من مداها فقط.

IV -- الظواهر التابعة لتعامل الاصوات :

لم يعتن النحاة العرب كثيرا بالقلب ولا بالتباين وقد خصصوا بالعكس حيزا عظيما من كتبهم لدراسة الادغام الجزئي او ما يسمى ”تقريبا“ وقد حشروا ذلك في ابواب مختلفة سموها ”بدلا“ او ”ابدالا“ و”قلبا“ أو ”اقلابا“ اي ”احلال حرف محل حرف آخر“ ويلج النحاة العرب بصفة خاصة على ”الادغام الكامل“ ويسمى ادغاما (بتشديد الدال) عند البصريين (2) وادغاما (بتخفيف الدال) عند الكوفيين.

بل ويذكرون عدد الحروف ومخارجها وصفاتها في باب حديثهم عن الادغام ويفرقون بين الادغام الكبير والادغام الصغير. فالادغام الصغير هو ادغام حرفين متصلين اتصالا مباشرا والادغام الكبير هو ادغام حرفين تفصل بينهما حركة. ويقع الادغام في هذه الحالة بسقوط اي حذف الحركة (اي بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة) اولا ثم بادغام احد الحرفين في الآخر.

وفي كلتا الحالتين لا يجوز الادغام الا اذا كان الحرف الثاني متبوعا بحركة. ويفرق النحاة ايضا بالاعتماد على درجة تشابه الحرفين المدغمين

(I) نجتنب استعمال لفظ « شدة » المخصص لـ (Occlusion) (اكلوزيون :

• أي غلق) أنظر أعلاه ص 35

(2) ابن يعيش - × - ص : 121 •

بين ادغام المتماثلين اي ادغام حرفين لهما نفس المخرج ونفس الصفات وبين ادغام المتجانسين اي ادغام حرفين لهما نفس المخرج ولكن ليس لهما نفس الصفات وبين ادغام المتقاربين اي ادغام حرفين مخرجاهما وصفاتهما متقاربة .

4- أنظمة الحروف في مختلف اللسن العربية الدارجة

لقد طرأت على نظام الحروف العربية القديمة كما وصفناه تحويرات وتغييرات مختلفة وذلك في مختلف اللسن العربية الدارجة. ومن هذه التحويرات ما هو قديم معروف عند النحاة العرب ومنسوب عندهم الى بعض اللسن الدارجة التي كانت موجودة في عصرهم ومنها ايضا ما هو بالعكس احدث بكثير .

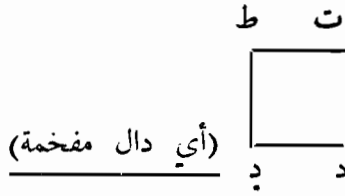
وسندرس هذه التحويرات او التغييرات عند التعرض الى الاصوات صوتا صوتا ونكتفي هنا بذكر بعض الاعتبارات العامة .

ان الامر الذي يسترعي الانتباه اكثر من غيره في نظام حروف العربية الفصحى هو وجود عدد كبير من الاصوات المنعزلة اي عشرة حروف من مجموع ثمانية وعشرين حرفا ومعنى كونها منعزلة هو انها لا تنسب لا الى ازواج ولا الى ثواليث. ذلك ان المرحلة الخاصة بالعربية الفصحى في تاريخ تطور نظام الحروف العربية مرحلة لا تنظيم فيها مرحلة تفتت وتلاش. وبالعكس من ذلك فاننا نرى ان أنظمة حروف اللسن الدارجة التي امكنا النظر فيها قد وصلت الى مرحلة نظمت فيها الاصوات تنظيما جديدا اما بحذف الاصوات المنعزلة أو بدخولها من جديد في مجموعات ثنائية او في ثواليث أو حتى في كتل أوسع .

ولنستعرض الآن بسرعة اهم هذه التغييرات.

(1) نلاحظ ان الثالوث المتركب من حروف رخوة من بين الاسنان قد اضمحل في كثير من الاحيان من لهجات الحضر فصارت حروفه حروفا شديدة وانضمت عادة الى الحروف الشديدة الاسنانية الموجودة من قبل

فكونت معها مربعا من الحروف الشديدة الاسنانية .



2 - لقد كان ثمة في نظام حروف النصحي حرف شديد ذو زائدة رخوة مشأثة وهو الجيم (ǰ) وحرف مشأثاً هو الشين. وكان هذان الحرفان منعزلين وقد دخلت عليهما فيما بعد عدة تنظيمات جديدة.

أ) فقد صار حرف "دَج" جيما تونسية في بعض اللهجات فتج عن ذلك ان تكون زوج ش - ج (تونسية).

ب) وقد تغيرت الكاف في بعض اللهجات فاصبحت تَشْ " (ǧ) فتج عن ذلك ان تكون ثالوثان جديدان هما : تَشْ - ش / دَج

(في حالة بقاء الجيم على نطق : دج) و : تَشْ - ش / ج (تونسية)

(في حالة انتقال الجيم من نطق "دَج" الى النطق التونسي)

3 - وقد اضمحل ايضا حرف الضاد الذي كان حرفا منعزلا وذلك بان ختلط بالطاء فانعدم بذلك وجود حرف ذي زائدة انحرافية من نظام حروف العربية .

4 - لقد فككت احيانا المجموعة الثنائية المترتبة من : ك - ق وذلك في لهجات الحضر :

أ) بأن صارت القاف همزة

ب) بأن صارت الكاف "تَشْ" (ǧ) والقاف كافا

وقد بقيت هذه المجموعة الثنائية في الاكثر كما هي او على هيئة اخرى هي : ك - ف وذلك بان صار القاف قافا أي حرفا مجهورا أقصى حنكيا بسيطا نجده في لهجات البدو الرحل وقد أعيد أحيانا بناء ثالوث من الحروف

الشديدة الاقصى حنكية هكذا: ك - ف وذلك اما بان صارت الجيم "ف" وانزادت
ق

الى اللغة كما في لهجات سكان المدن بمصر واما بان دخل حرف "ف" الى
المجهور في اللغة عن طريق لهجات البدو المجاورين كما في لهجات سكان
المدن في افريقيا الشمالية. واما بان صارت القاف قافا مجهورا مع دخول قاف
أخرى في اللغة عن طريق الأخذ من لهجات سكان المدن المجاورين كما في
لهجات البدو في شمال افريقيا. وعلاوة على هذه العمليات التي أعيد بها بناء
هذه الاصوات على أشكال مختلفة فقد تكونت في عدد لا بأس به من
الاحيان أصوات خاصة نحو الحروف ذات الزائدة الشفوية - اللهوية (أي
المتبوعة بواو خفيفة) مثل "بـ" (b^w) ومـ (m^w) وفـ (f^w)
وكـ (k^w) وثـ (g^w) ونحو الحروف الهاوية (أي المتبوعة
بهاء خفيفة) : "تـ" (t^h) "وـ" (k^h) ونحو الحروف
الشديدة ذات الزائدة الرخوة الصفيرية (أي المتبوعة بسين أو زاي خفيفين مثل
"تـس" (t^s) و"دز" (d^z) ونحو الحروف المليئة (أي المتبوعة
ببـاء خفيفة مثل "تـي" (t^y) و"كـي" (k^y). وبعض هذه الاصوات
لها قيمة تمييزية وبعضها الآخر لا وظيفة صوتية له .

II . الحروف الشفوية

كانت اللغة السامية تحتوي فيما يبدو على الثلاث التالي المتركب من
حروف شديدة شفوية :

پ (اي p) — ب
ب \ (أي بـاء مفخمة)

وكان فيها ايضا الى جانب ذلك الثلاث حرف خيشومي هو الميم ونصف
حركة هي الواو. اما العربية القديمة فقد تهدم فيها نظام تلك الحروف
وذلك بان اضمحلت البـاء المفخمة (المشكوك في وجودها في الحقيقة)
وبان صار الحرف المهموس پ (p) حرفا رخوا شفويا اسنانيا هو

الفاء. فنتج عن ذلك ان احتوت العربية الفصحى على الحروف الشفوية الاربعة الآتية : حرف شديد فموي من بين الشفتين مجهور (1) هو الباء وحرف شديد خيشومي من بين الشفتين مجهور (1) هو الميم ونصف حركة من بين الشفتين مجهورة (1) هي الواو وحرف رخو شفوي اسناني مهموس (2) هو الفاء . وتسمى هذه الحروف عند العرب حروفاً "شفوية" على ان صفة الفاء الشفوية الاسنانية مذكورة عندهم بدقة وخاصة عند سيويه اذ يقول في كتابه (11 ص 453) "ومن باطن الشفة السفلى واذراف الثنايا العليا مخرج الفاء". ولما كان من العسير ان نفرق بين الواو والياء فلن ننظر في الواو هنا الا نظرة عرضية وعلى الراغب في الزيادة من التفصيل ان يرجع الى الفقرة الخاصة بانصاف الحركات من هذا الكتاب.

لا يذكر النحاة العرب من التغيرات المقيدة أو المطلقة (3) الطارئة على الحروف الشفوية الا عددا قليلا :

فيذكر سيويه (11 ص 452) نطقاً مستهجنا لحرف الباء وهو "نطقها كالفاء" اي نطقاً رخواً. ويذكر ابن يعيش (X ص 128) ظاهرة معاكسة اي الفاء التي تنطق كالباء في نحو "فَوْر" تنطق "بَوْر" ويضيف ابن يعيش بان ذلك النطق كثير في لغة الفرس. جاء في شرح السيرافي لكتاب سيويه ان الخلط بين الباء والفاء كثير في لغة الاعاجم وذلك اما بان تغلب الباء على الفاء (اي انه ينزع بالفاء الى الشدة) واما بالعكس بان تغلب الفاء على الباء (اي انه ينزع بالباء الى الرخاوة) ومثل ذلك ما جاء في نصوص التجويد

(1) غير ان هذا الجهر جهر محايد لا مفعول صوتي له اذ لا وجود لحروف مهموسة مقابلة تكون لها وظيفة صوتية .

(2) غير ان هذا الهمس همس محايد لا مفعول صوتي له اذ لا وجود لحرف مجهور مقابل تكون له وظيفة صوتية .

(3) يجب ان نميز باتقان فيما يتعلق بالتغيرات الصوتية الطارئة على الاصوات بين :

أ - التغيرات المطلقة التي تحدث مهما كان موضع الاصوات المعنية ومهما كانت الاصوات المجاورة لها. وبيّن :

ب - التغيرات المقيدة التي تنتج عن جوار أصوات معينة .

التي ذكرها "برافمان" (Bravmann) ص 76 من تحذير من نطق الباء نطقاً رخواً كما كثر ذلك بالمغرب العربي .

ويذكر النحاة بعض الامثلة التي تدل على ان الباء قد تصير ميمًا بصفة مطنقة وذلك نحو ما ذكره الاصمعي من انهم يقولون "بَنَات مَحْر" (اي سحب بيضاء خفيفة تظهر قبل فصل الصيف) عوض "بَنَات بَحْر" وما ذكره ابن العلاء من قولهم "رَأْتِمَا" (اي لا يتحرك) عوض "رَأْتِيَا". وكذلك يذكر ابن الاعرابي قولهم "نُعْم" (جمع نعمة وهو الجرعة) عوض "نُعْب" (انظر الزمخشري ابن يعيش (X ص 33 - 36) وعكس ما سبق موجود كذلك فمثال "بَكَّة" عوض "مَكَّة" في بعض اللهجات دليل على ان الميم قد تصير باء بصفة مطنقة ايضا (انظر هول (Howell) في كتابه "النحو العربي" (Arabic Grammar) (الفقرة : 682 : IV ص 1194)

وكذلك يذكرون مثالا صارت فيه الباء فاء وذلك قولهم "خُذْه بافأنه" عوض "خُذْه بِبِأَنَه" (اي خذ في وقته) ومثالا آخر وقع فيه العكس اي ان الفاء صارت باء وذلك في قولهم "بِسْكِل" (بكسر الباء وضمها) عوض "فِسْكِل" (بكسر الفاء وضمها ومعنى الكلمة "الآخر الذي لا قيمة له" (انظر "هول" النحو العربي الفقرة 696 : أ (A) IV ص 1394) كما انه ثمة مثالا مشكوكا فيه اكثر من الامثلة السابقة يدل على ان الباء تصير تاء في قولهم "ذَعَالَتْ" و "ذَعَالَيْتُ" عوض "ذَعَالِبُ" و "ذَعَالَيْبُ" اي : "ثياب خلقة" (انظر ابن يعيش : X ، صفحة 41 و "هول" : النحو العربي : الفقرة : 689 : IV صفحة 1354) وهو في الضعف كالمثاليين الدالين على ان الباء تسقط بين كسرتين وهما قولهم : "تَعَال" و "أَرَان" عوض "تَعَالِب" و "أَرَانِب" (والمثالان من بيت للشاعر ابي خليل النمير بن توبل اليشكري) (انظر : "هول" : النحو العربي : الفقرة 682 و 685 ، IV ، ص : 1297).

ويبدو ان الميم السامية تتزع الى الانقلاب نونا في نهاية الكلمات العربية. مثال ذلك ان علامات اعراب النكرة في اللغة البابلية هي : "أُم" و "إِم" و "أَم" بينما يقابلها في العربية التنوين اي : "أَنَّ" و "إِنَّ" و "أَنَّ". كما ان اداة الشرط في العبرانية هي : "إِم" وفي العربية "إِنَّ".

وكذلك نلاحظ ان الميم والنون في نهاية الكلام في القرآن واحيانا في الشعر تستعملان لقافية واحدة فتسجع احدهما مع الاخرى .

ولم يسلم من الانقلاب نونا فيما يبدو الا الميمات الآخرة المحفوظة بالقياس الصرفي او اللفظي كالميم في نحو "قَسَم" (من قام) او الميمات التي كانت تقيها زمنا ما حركات آخرة نحو "هَمُّ" واصلها "هَمُّ" أو "هَمُّو" (انظر ك. بروكلمان : "المختصر" : (Précis) ص : 74 وكذلك : "المختصر" : (Grundriss) ص : 136 - 137) .

وسنرى فيما بعد ان قلب الثاء فاء امر قد ثبت صحته ثبوتا وانه كثير في العربية سواء في الماضي او في عصرنا هذا . اما الظاهرة المعاكسة فأقل وقوعا . فلنذكر وجود اللفظين المترادفين الآتين في العربية : "مُغْفُور" و"مُغْشُور" (وهو نوع من الصمغ شبيه بالعسل تقطره بعض الاشجار). واما في الالسن الدارجة العصرية فلنذكر لفظة "تُم" (tum^m) السورية (وتصبح "تم" (tum^m) في لهجات سكان المدن) عوض لفظة : "فُم" (fum^m) (اي: فَم) وهي الصيغة العادية. كما ينبغي ذكر عمليات الادغام في القرآن وهي ادغام الحرف الاخير من اللفظ في الحرف الاول من اللفظ الذي يليه :

* ب + م ← م : نحو: "يُعَدُّ مَن يَشَاءُ" في قراءة: "يُعَدُّبُ من يَشَاءُ" (قرآن السورة : II الآية 284 و III ، 124 و V ، 21 و 44 و XXIX 20) . أدغمت الباء في الميم وسقطت حركة الباء .

* ب + ف ← ف : نحو "إِذْ هَفَمْنَ تَبِعَكَ" عوض اذهب فَمَنْ تبعك " (ق : XVII ، 65) الخ ..

* ف + ب ← ب : نحو "نَخْسِبُهُمْ" عوض "نَخْسِفُ بِهِمْ" (ق : XXXIV ، 9) حسب الكسائي

* م + ب ← ب : نحو "وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرِيْبُهُتَانَا عَظِيْمَا" عوض "وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرِيْمَ بُهْتَانَا عَظِيْمَا" (ق : IV 155) حسب مدرسة ابي العلاء. ونحو ايضا: "لِكِي لَا يَغْلِبَعَدَّ عَلِيْمَ شَيْئًا" عوض "لِكِي لَا يَعْلَمُ

بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا“ (ق: XVI، 72) ادغمت الميم في الباء بعد سقوط حركة الميم. على ان نطق المجموعة (م + ب) في هذه الحالة وفي نحوها من الحالات هو في الحقيقة نطق خاص يسمى ”اخفاء“ وهذا النطق يكون مصحوبا في تلاوة القرآن بصوت من الخيشوم وبنغمة تؤدي مع غلق الفم وتسمى ”غنة“ ومن الممكن ايضا ان الحركة السابقة للمجموعة (م + ب) تنطق كذلك في نفس الوقت بشيء من الخيشومية (انظر في هذه المسألة برافمان (Bravmann) ص 67 واذا كانت الميم متبوعة بحرف شديد اسناني جاز قلبها نونا : فقد تقرأ احيانا صيغة ”امتقع“ (اي تغير لونه من حزن) ”انتقع“. كذلك قد تصير: إِاقْتَطَلَ“ (اي أَجَلَ الأَمْرُ) ”انْتَطَلَ“ وقد يقرأ ”مِمَطَّرُ“ (اي معطف للوقاية من المطر) ”مِسْطَرُ“ .

وتحدث نفس هذه الظاهرة في احيان عارضة اذا كانت الميم متبوعة بحرف من الحروف الحنكية والحروف اللهوية نحو ”بِمَجْرُ“ (اي يعطش) يجوز نطقها ”يَنْجِرُ“ و”أَمْتَع“ (اي الشراب بشدة ونهم) يجوز نطقها ”أَنْتَع“ و”أَمْعَرَت“ (النعجة اي دَرَّتْ بلبين مخلوط بالدم) يجوز نطقها ”أَنْفَرَت“ (انظر تفاصيل المراجع عند بروكلمان : ”المختصر“ (Grundriss) 1 ص: 161-162).

واذا كانت الميم بجوار ميم او نون قلبت الميم بآء تنافرا نحو : ”مَا اسْمُكَ“ تصير ”بِاسْمُكَ“ (ذكره الفارسي عن الاصمعي) ونحو : ”النَّمِيْتُ“ (اسم مكان في الدهنة : (Dahna) يصير ”النَّمِيْتُ“ (انظر ”هول“ : النحو العربي : 17 ، الفقرة 682 ص : 1194)

وقد يحدث نفس هذا التنافر بعد واو نحو ”وَمَدٌ“ (وهو الحرارة الشديدة) ينطق أحيانا ”وَبَدٌ“ (انظر : بروكلمان ”المختصر“ (Grundriss) 1 ص : 232). وقد وقع أحيانا تنافر بين عنصرَي الباء المشددة (ب + ب) والياء المشددة (ب + ب) الموجودين في السامية المشتركة ”فَسَبَّلَةٌ“ يوافقها في العبرية ”شِبْلِيْتُ“ (šiboleṭ) و”قَسْمَدٌ“ يوافقها في العبرية ”قَبُوذٌ“ (qippōd) ونجد في صلب العربية نفسها ”حَمَشَسٌ“ و”مَخْرَمَشَسٌ“ في وقت واحد .

وتسقط الميم في لغة بني كلاب قبل النون وذلك في قولهم
”انْمَخَّة“ مكان منْمَخَّة“ .

واما اللهجات العربية الحديثة فقد تطرا على الحروف فيها طائفات
من الظواهر وهي ظواهر لا وظيفة صوتية لها عادة وهي :

(1) التفتخيم

يطراً على الحروف الشفوية الثلاثة اي الباء والميم والفاء تفتخيم
ثانوي وذلك في لهجات البدو في الشرق او لهجات أهل الحضرة المتأثرين
بلهجات البدو. ويكون العامل في ذلك التفتخيم إما تأثير حركات خلفية
تابعة لطائفة : u (الضمة) و o (الحركة الخلفية نصف المنغائمة)
وإما تأثير حروف مفخمة مجاورة وقد يطرأ ذلك التفتخيم الثانوي على
حرف الواو أيضا الا أن هذا الحرف يكون في الاغلب مفخما بالطبع
انظر : كانتينو (Cantineau) : ”لسان تدمر العربي الدارج“ :
1 : ص : 44 - 48 و ”دراسات في بعض لهجات البدو العرب في
الشرق ، ص 12 - 16 - و 11 : ص 129-130 و ”لهجات حوران
العربية ؛ الاطلس والخرائط رقم : 6-12 و 17-18 و 56) .

ويوجد مثل هذا التفتخيم في لهجات افرقيما الشمالية نحو ”أمك“
(ummok) بتفتخيم الميم المشددة ولكن هذا التفتخيم لم يدرس دراسة
كافية الى حد الآن

2- الجمع بين الشدة والرخاوة

قد تكون الحروف الشفوية اي الباء والميم والفاء متبوعة بواو خاطف
اي ”بحرف رخو عَرَضِي“ يظهر خاصة قبل حركات i و e و a
(اي الكسرة والفتحة الممالة امالة شديدة والفتحة) ذلك ان هذه
الحركات تفتح لها الشفتان انفتاحا أقصى في حين ان الحروف الشفوية
يتطلب النطق بها انغلاق الشفتين انغلاقا جزئيا او تاما. فمن الطبيعي عند

النطق البطيء ان ينزلق "صوت عارض" يدل على الانتقال من هيئة شفوية ما الى هيئة اخرى معاكسة للاولى. ويقع ذلك في لهجات البدو في شمال افريقيا فيذكر و. مارسى (W. Marçais) في كتابه : أولاد ابراهيم بمدينة صيدا "ص 23-24 مثال غِرْبَوَة" (GrobbWa) براء مفخمة وواو خفيفة بعد الباء المشددة (اي غِرْبَان) ومثال "رَبْوِي" (rabbWi) براء مفخمة وواو خفيفة بعد الباء المشددة (اي رَبِّي) ومثال "فُمَوِي" (fummWi) بواو خفيفة بعد الميم المشددة (اي فَمِي).

ونجد مثل ذلك في الشرق في لهجات البدو (او في اللهجات المتأثرة بلهجات البدو) : راجع نفس المرجع المذكور أعلاه.

(3) الارتخاء

ان نطق الباء نطقا رخوا خاصة من خصائص بعض لهجات الحضر بالمغرب الأقصى : فلا تفرع الباء عندهم شديدة بل رخوة مجهورة بين الشفتين والعامل في ذلك في الراجح هو تأثير الطبقة اللغوية السنغالي أي اللغة البربرية. ويقول و. مارسى في كتابه "نصوص عربية من مدينة طانجة" ص : xv ان الباء الشديدة الاصلية لم تبق الا في (1) حالة التشديد فتنتطق "ب" مشددة لا حرفا رخوا مجهورا بين الشفتين مشددا (bb) (2) اذا كانت مسبوقة بميم فتنتطق "مب" لا (mb) اي لا ميمتا متبوعة بياء رخوة (3) اذا كانت مسبوقة بلام "ال" اداة التعريف فيقال "باب" (bāb) ببائين رخوتين ومع التعريف يقال "الْبَاب" (lbāb) (الباء الاولى شديدة عادية والباء الثانية رخوة) (4) في بعض الالفاظ القليلة نحو "أَرْبَعَة" (arbbca) بتفخيم الراء وتشديد الباء الشديدة تشديدا خفيفا و"قُلْب" (qolb) برفع القاف بحركة خلفية نصف مغلقة وبياء شديدة اي "قَلْب" و"كَلْب" (kelb)

وبالعكس من ذلك يذكر أ. فيشر (A. Fischer) في كتابه "في صوتيات العربية بالمغرب الأقصى" ان مشاهداته الشخصية بمدن طانجة

والرباط والدار البيضاء والصويرة بينت له ان الباء الشديدة قد بقيت مستعملة اكثر من ذلك بكثير، ولكن لا ننس ان نطق الباء نطقا رخوا هو "امر مُسْتَهْجَن" بدون اي شك وانه من المحتمل ان طائفة من مُخْبِرِي فيشر قد اخفوا عليه ذلك النطق الرخو.

واما الظواهر الصوتية التعاملية التي تطرا على الحروف الشفوية في الالسن الدارجة فقليلة الاهمية. ونكتفي هنا بذكر ادغام الفاء في الصاد اذا اتصلا على هذا النحو: (صف ← صر) ويقع هذا الادغام في اكثر اللهجات الدارجة نحو "نُص" (nuss ; noss) بضمة عادية على النون او بحركة خلفية نصف منغلقة اي. "0" الفرنسية) التي اصلها "نصف" في العربية.

ونذكر كذلك ابدال باء المضارع ميمما اذا كانت متبوعة بنون المتكلم في صيغة الجمع في اللهجات السورية الفلسطينية نحو : بِنِكْتَب ← "مِنِكْتَب" (bnektob → mnektob) (اي نَكْتَب).

وكذلك ادغام الفاء في التاء في اللهجات الجزائرية في نحو: "شْت" (Šott) "وشْتُو" (šotto) (عوض شَفْتْ وشَفْتُو اي رَأَيْتْ ورَأَيْتُهُ) وكذلك التقريب الذي يقع في الجزائر والمغرب الأقصى حيث تصير "مت" ← "نت" في أداة الملكية "نتاع" عوض "متاع" (اي لبي ومليكي) وقد اصبحت هذه الصيغة اي "نتاع" "ت" (ta) في اللهجة المالطية بادغام النون في التاء. ويجب الرجوع فيما يتعلق بالجزائر الى و. مارسي : "لهجة تلمسان" ص 22-23 و"لهجة صيدا" ص : 23-24 والى م. كوهين (M. Cohen) لهجات يهود مدينة الجزائر ص : 71-76).

III. الحروف الاسنانية

1 - الحروف الشديدة التموية :

لقد رأينا أعلاه انه كان في اللغة السامية ثلوث من الحروف التموية الاسنانية هو : ت — د — د

وقد احتفظت العربية القديمة بهذا الثلوث والنقطة الوحيدة التي ما زال

فيها مجال للتقاش هي نطق الحرف المفخم اي الطاء فهل الطاء حرف مهموس ام هل هو حرف مجهور في العربية ؟ ولما كان معنى كلمة: مجهور بالضبط موضعاً للخلاف وجب ان نطرح ترتيب النحاة العرب الطاء في الحروف المجهورة جانباً. الا ان هناك في كتاب سيويه II (ص : 455) فقرة ترجح فيما يبدو نعت الطاء بكونها مجهورة بالمعنى الحديث اي (Sonore) وذلك قوله : "ولو لا الاطباق لصارت الطاء دالاً". وبالعكس من ذلك ليس هناك خلاف في ان نطق الطاء المأثور في العربية الفصحى هو نطقها مهموسة اي كالتاء المفخمة. كما ليس هناك مجال للخلاف من جهة اخرى في ان هذا الحرف هو حرف مهموس اي كالتاء المفخمة في اكبر قسم من اللهجات العربية الدارجة .

غير انه يبدو ان هناك في لهجات اليمن طاء تنطق كالدال المفخمة وقد شهد بذلك غلازر (Glaser) في فصله : "النطق العربي" (Die Arabische Aussprache) الذي صدر في (Sitzungsberichte des Bohm. Ges. d. Wiss. Phil. Hist. Klasse 1885, p. 94) اي "تقارير جلسات الجمعية العلمية النورية - قسم فقه اللغة والتاريخ سنة 1885 ص : 94" اذ يذكر ان بمدينة صنعاء طاء تنطق كالدال المفخمة وقد طمس معالم شهادة "غلازر" هذه ما جاء به "غويتاين" (Goitein) في : (Jemeniche Geschichten, in ZS VIII, p. 168 - 169) اي : "قصص يمنية" بمجلة الدراسات السامية : VIII سنة 1932 ص : 168-169. ما جاء به من ملاحظات اذ يصرح بانه من العسير ان يميز المرء في لهجات اليمن بين الدال والتاء والطاء وان هذه الاحرف كثيراً ما يختلط بعضها في بعض في الرسم. الا ان أ. روسي (E. Rossi) أثبت من جديد وجود دال مفخمة في لهجات اليمن تمثل الطاء القديمة اثبت ذلك في (1) Appunti di dialettologia del Yemen, in Rso XVII-1937 p. 236

(I) على أن أ. روسي والحق يقال يلاحظ في فصل آخر عنوانه « ملاحظات فيما يتعلق بلهجات اليمن »

Nuove osservazioni sui dialetti del Yemen, in Rso XVIII-1938 p. 461.

ان نطق الطاء كالدال المفخمة يقع خاصة اذا توسطت الطاء حرفين مجهورين . وكذلك الامر في التاء التي تنطق كالدال الا انه أقل وقوعاً من الاول .

أي : "ملاحظات في دراسة لهجات اليمن" بمجلة الدراسات الشرقية :
XVII سنة 1937 ص : 236 .

وينبغي من جهة أخرى ان نتبه الى ما ذكره "كأنبمّايز" (Kampffmayer)
في فصله (Materialien Zum Studium der arabischen Beduinendialekte)
Innerafrica, in M.S.O. II p. 143 - 221, n° 37, 70, 135 etc... أي : "مواد
لدراسة اللهجات العربية البدوية بأفريقيا الداخلية" الذي صدر ضمن "تقارير
معهد اللغات الشرقية" II (ص : 143-221 عدد : 37، 70، 135 الخ). من
ان هناك في اللهجات العربية بالوادي (Wadai) شرقي بحيرة التشاد
(Tchad) طاء تنطق نطقا مجهورا اي كالدال المفخمة تفخيما متفاوت
درجته من مكان الى مكان.

ونحن اذا قارنا بين الفقرة التي في كتاب سيويه وبين هذين
الحديثين المتعلقين باللهجات قادنا ذلك الى افتراض ان الطاء كانت في
الاصل مجهورة اي دالا مفخمة وانها سرعان ما طارت مهموسة اي
تاء مفخمة في جميع اقسام العربية بما فيها نطق العربية الفصحى الماثور
تقليديا.

وربما كان السبب في انتقال الطاء من الجهر الى الهمس كونها مفخمة
وحدوث ذلك التوتر العام في الاعضاء عند النطق بها .

ويبدو ان التغييرات الطارئة على الحروف الشديدة الاسنانية اي التاء
والدال والطاء (الدال المفخمة) لم تكن كثيرة في القديم. فيذكر سيويه
(II ص : 452) والزمخشري - ابن يعيش (X ص : 126-127) نطقا
مستهجنا للطاء التي تنطق كالتاء في نحو قولهم في "طالب" "تالب" ويبدو
ان ذلك كان كثيرا بالخصوص عند سكان شرقي العراق الذين كانت لغتهم
الاصلية اللغة الفارسية .

وقد يقع عكس ذلك اي ان التاء قد تصير طاء في قولهم "أفلط"
مكان "أفلت" وهي الصيغة الأكثر تداولاً. وقد تصير الدال تاء في قولهم
"تربوت" مكان "دربوت" (اي ناقة طيبة مقوادة) وقد تصير الدال

طاء في نحو عبارة مَطَّ الحَرْفَ (اي مَدَّ الحَرْفَ) وكذلك في قولهم "إِبْعَاطُ" في "إِبْعَادُ" (مَصْدَرُ أَبْعَدَ) .

وان التخيير الطارئ على التاء والذي يسترعى الانتباه اكثر من غيره هو انقلاب علامة التانيث في الاسماء والصفات أي "ة" الى "هـ" عند الوقف نحو قولك في "ناقـة" "ناقـه" عند الوقف، ولما كان ابدال التاء هاء مباشرة ولاسباب صوتية محضة من الظواهر المستبعدة نوعا ما والامثلة الدالة على هذا النوع من الابدال قليلة فقد اقترح "بروكلمان" في : "المختصر" "Grundriss" (1 ص : 48) تفسير هذا الحدث بالصورة التالية : ان تسقط التاء عند الوقف في مرحلة أولى نحو : ناقـة ← ناق ثم ان تظهر بعد الحركة النهائية هاء ثانوية شبيهة بهاء السكت التي سننظر فيها فيما بعد، نحو : نَاقَ ← نَاقَه وهو تفسير تحتمل صحته. ومهما تكن الحقيقة فالذي ينبغي الانتباه اليه هو ان ابدال التاء هاء عند الوقف لا يحدث في العربية الا في اواخر الاسماء والصفات المؤنثة المفردة اي في تاء التانيث المربوطة. فلا يحدث ذلك في تاء التانيث المفتوحة التي في الاسماء المؤنثة نحو "بنت" و "أخت" ولا في الاسماء التي التاء فيها ليست علامة على التانيث نحو "عنكبوت" و "وقت" و "موت" ولا في تاء المؤنث السالم نحو : "مسلمات" ولا في تاء المفردة الغائبة في الماضي نحو : "ضربت"

ولكن النحاة القدامى ذكروا اشياء في اللهجات تخالف هذه القواعد. فابدال التاء هاء في الوقف لم يكن موجودا في بعض اللهجات المنتشرة جدا اذ كان المتكلمون بها يقولون مثلا : "وعليه السلام والرحمة" (عوض والرحمة) و "جوز تيهاء كظهر الحجة" (عوض الحجة) ومعناه وسط صحراء كظهر الترس (انظر الزمخشري - ابن يعيش IX ص : 80-81)

وبالعكس من ذلك فقد كان ابدال التاء هاء في بعض اللهجات يمتد الى اصناف اخرى من الكلام وخاصة الى تاء جمع المؤنث السالم. ومثال ذلك قبيلة طيء التي ذكروا عنها العبارات الخاصة الاتية : "كيف البنون"

والبناه°؟ (أي والبنات) و"كيف الاخوة والاخواه"؟ (أي والاخوات) ودفن البناء° (أي البنات) "من المكرماه" (أي المكرمات) (راجع زمخشري، ابن يعيش x ص : 42-45) وكذلك كان الانصار بالمدينة ينطقون "تابوه" عوض "تابوت" (قرآن II : 249) بينما كان أبناء قبيلة قريش بمكة ينطقون : "تابوت" بالتاء اذ التاء النهائية في هذه اللفظة ليست علامة التانيث (نفس المرجع في القرآن) وسرى فيما بعد آثار هذه النزعات في اللهجات الحديثة .

وتطراً على الحروف الشديدة الاسنانية عدة تغييرات مقيدة اخرى. منها التباين وان قل حدوثه في الحقيقة ونذكر منه على كل حال : "فستاط" (أي خيمة او مخيم) عوض فسطاط° التي يدل عليها الجمع "فساطيط" ومنها التقريب وهو بعكس التباين كثير جدا .

فاذا كانت التاء متصلة بحرف من حروف الاطباق اي الضاد والصاد والظاء ابدلت طاء على سبيل التقريب من ذلك اصطبر (واصله اصتبر) واضطرب (واصله اضترب) واطظلم (واصله اظلم) (انظر الزمخشري، ابن يعيش x ص : 46-48) وقد يحدث ذلك التقريب بذاته في لهجة بني تميم في تاء الضمائر الآتية : "ت" و"ت" و"ت" و"ت" و"تم" و"تن" المتصلة بالماضي نحو : "حَصَطُ" اي "اخفيت عين البازي بغطاء" (واصلها حَصَتُّ) و"حَخَطُ" اي غرست الشيء وادخلته (واصلها حَخَتُّ) و"حَفِظْتُ" (واصلها حَفِظْتُ) (انظر نفس المرجع).

وإذا كانت التاء مجاورة لحرف من الحروف المجهورة التالية : الذال والزاي والجيم ابدلت دالا تقريبا. من ذلك اذْكَرَ (واصله اذْكَرَ) وازْدَجَرَ (واصله اَزْجَرَ) واجْدَمَعَ (واصله اجتمع) (انظر زمخشري ابن يعيش الجزء العاشر ص : 48-49) وكذلك تبدل تاء ضمائر الماضي دالا للتقريب بينها وبين لام الفعل اذا كانت زايا وذالا نحو : فزُدُ (واصله فزرتُ).

وتدغم التاء في الدال والطاء والثاء والذال والظاء والسين والزاي والصاد والضاد. ويطراً هذا الادغام خصوصا على تاء صيغة المطاوعة نحو : ادرع

(وأصله ادْتَرَعَ) واطَلَّقَ (وأصله اطْتَلَقَ) واثْمَدَ أي وَرَدَ (وأصله اثْتَمَدَ) واذْكَرَ (وأصله اذْكَرَ التي منها ايضاً اذْكَرَ) واطَّلمَ (وأصله اطَّلمَ التي منها ايضاً اضْطلمَ) واسْمَعَ (وأصله تَسَمَّعَ) واصْبَرَ (وأصله اصْتَبَرَ) وازْمَلَّ (وأصله تَزَمَّلَ) واضْجَعَ (وأصله اضْطَجَعَ)

وكذلك تدغم تاء ضمائر الماضي اي : تُوتَ وتُوتَ وتُومَ وتُوتُنَ في الطاء اذا كانت لام الفعل نحو : حَبَطَهُ (وأصله حَبَطْتُهُ) ويجوز كذلك ان تدغم في الدال اذا كانت لام الفعل ايضاً نحو : عُدُّهُ (وأصله عُدَّتُهُ) .

على ان العكس موجود ايضاً فمن العرب من يقرأ "فَرَّتْ" عوض فَرَطْتُ (قرآن. السورة 39 الآية 57) وحتُّهم عوض حطُّتهم وأرَّتْ عوض أَرَدْتُ وِرَتْ عوض زِدْتُ .

ويجوز ادغام تاء المضارع في تاء صيغتي المطاوعة تَفَعَّلَ وَتَفَاعَلَ بعد سقوط الحركة الفاصلة بينهما ويقع هذا الادغام احياناً بدون ان تدل عليه علامة ما. ومن ذلك ما جاء في القرآن في قوله: تَنْزَلُ (اي تَنْزَلُ) الملائكة والروح (من السورة 97 الآية 4)

وقد يقع ادغام كهذا على حروف اصلية من ذلك وَدَّ (1) عوض وَتَدَّ أو وَتَدَّ أو وَتَدَّ يادغام التاء في الدال. ومنه ايضاً قولهم في جمع "عتود" وهو التيس الصغير "عدان" .

وقد يطرأ مثل ذلك الادغام على الدال نحو قولهم في "سَيِّدَتِي" "سَيِّبِي" بادغام الدال في التاء. وكذلك يمكن تفسير عدد "سَيِّتة" أو "سَيِّتة" بتطور من ذلك القبيل اذ انه يبدو ان اصله في السامية هو سَيِّدَتْ و فيكون إذاً اصله في العربية صيغة قديمة تكون "سَدَتْ" و "سَدَّتة" ويكون قد طرأ عليها ادغام الدال في التاء ثم قلب التاء المشددة تاء مشددة.

(I) وهو ادغام خاص فيما يقولون بلهجة بني تميم .

واخيرا فان ثمة أمثلة لا بأس بعددها تدغم فيها التاء او الدال او الطاء
النهائية متحركة أو ساكنة في حرف من الحروف الآتية : التاء والدال
والطاء والتاء والذال والسين والزاي والصاد والشين والجيم والصاد نحو :

ت د ← د : رَأَعَتْ دَلَامَةً - رَأَعَدْتُ لَامَةً (ابن يعيش ج 10 ص : 146)

ت ط ← ط : بَيَّتَ طَائِفَةً - بَيَّطَافَةً - (قرآن س. 4. آية 83) مع

سقوط حركة التاء

ت ث ← ث : سَكَتَ ثَامِرٌ - سَكَنَامِرٌ. مع سقوط حركة التاء

ت ذ ← ذ : وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا - وَالذَّارِيَاذِرُوءًا (قرآن س. 51. آية 1)

مع سقوط حركة التاء ذكره ابن العلاء وحمزة

ت ظ ← ظ : سَكَتَ ظَالِمٌ - سَكَطَّالِمٌ. مع سقوط حركة التاء

ت س ← س : سَكَتَ سَامِرٌ (1) - سَكَسَامِرٌ. مع سقوط حركة التاء

ت ز ← ز : سَكَتَ زَاجِرٌ - سَكَزَاجِرٌ. مع سقوط حركة التاء

ت ص ← ص : سَكَتَ صَابِرٌ - سَكَصَابِرٌ. مع سقوط حركة التاء

ت ش ← ش : أَصَابَتْ شَرَبًا - أَصَابَشَرَبًا (الزمخشري، ابن يعيش

ج : × ص : 139)

ت ج ← ج : فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا - فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا (قرآن . س. 22

آية 37)

ت ض ← ض : شَدَّتْ ضَفَائِرُهَا - شُدَّتْ ضَفَائِرُهَا (الزمخشري، ابن يعيش

ج : 10 ص : 140)

ت د ← د : حَرَدَ تَاجِرٌ - حَرَّتَاجِرٌ. مع سقوط حركة الدال

د ط ← ط : أَبْعَدَ طَالِبًا - أَبْعَطَالِبًا. (ابن يعيش ج : 10 ص : 146)

(I) لست المسؤول عما في هذا المثال وفي الأمثلة التي تليه من الهزل . وقد

يكون ذلك الهزل غير مقصود . وقد ذكر هذه الأمثلة « هول » (Howell)

(ج : 4 ص 1795) عن الرضى النحوى .

- د ث ■ ← ث : حَرَدَ ثَامِرٌ - حَرَثَ ثَامِرٌ. مع سقوط حركة الدال
- د ذ ■ ← ذ : حَرَدَ ذَالِبٌ - حَرَذَ ذَالِبٌ. مع سقوط حركة الدال
- د ظ ■ ← ظ : حَرَدَ ظَالِمٌ - حَرِظَ ظَالِمٌ. مع سقوط حركة الدال .
- د س ■ ← س : قَدْ سَمِعَ - قَسَمِعَ (قرآن. س : 58 آية 1) ذكره حمزة
- د ز ■ ← ز : حَرَدَ زَاجِرٌ - حَرَزَ زَاجِرٌ. مع سقوط حركة الدال
- د ص ■ ← ص : حَرَدَ صَابِرٌ - حَرَصَّابِرٌ. مع سقوط حركة الدال.
- د ش ■ ← ش : لَمْ يَرِدْ شَيْئًا - لَمْ يَرِ شَيْئًا (الزمخشري، ابن يعيش.
ج : 10 ص 138)
- د ج ■ ← ج : أَحْمَدُ جَابِرٌ - أَحْمَجَابِرٌ (الزمخشري ابن يعيش
ج : 10 ص 138)
- د ض ■ ← ض : زِدْ ضَاحِكًا - زَصَّاحِكًا (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10
ص : 140)
- ط ت ■ ← ت : أُتْبِطُ تَوَامًا - أُتْبِتَوَامًا (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10
ص. 146)
- ط د ■ ← د : فَرَطَ دَارِمٌ - فَرَدَّارِمٌ. مع سقوط حركة الطاء
- ط ث ■ ← ث : فَرَطَ ثَامِرٌ - فَرَثَّامِرٌ مع سقوط حركة الطاء
- ط ذ ■ ← ذ : فَرَطَ ذَالِبٌ - فَرَذَّالِبٌ. مع سقوط حركة الطاء
- ط ظ ■ ← ظ : فَرَطَ ظَالِمٌ - فَرِظَّالِمٌ. مع سقوط حركة الطاء
- ط س ■ ← س : فَرَطَ سَامِرٌ - فَرَسَّامِرٌ. مع سقوط حركة الطاء
- ط ز ■ ← ز : فَرَطَ زَاجِرٌ - فَرَزَّاجِرٌ. مع سقوط حركة الطاء
- ط ص ■ ← ص : فَرَطَ صَابِرٌ - فَرِصَّابِرٌ. مع سقوط حركة الطاء
- ط ش ■ ← ش : لَا تَخَالِطُ شَرًّا - لَا تَخَالِشَرًّا (الزمخشري، ابن يعيش
ج. 10 ص : 138)

ط ج ← ج : اَرَبِطُ جَمَلًا - اَرَبِجَمَلًا (الزمخشري: ابن يعيش ج : 10

ص : 138)

طض ← ض : حُطَّ ضَمَانَكَ - حُضَمَانَكَ (الزمخشري، ابن يعيش ج : 10

ص : 140)

وقد عمّموا في الالسن العربية الدارجة العصرية النطق بتاء التانيث هاء (ة ← ه) فلم يعد ذلك النطق خاصا بالوقف فقط بل تعداه الى داخل الجملة واصبحت هذه الهاء في الوقت الحاضر علامة التانيث العادية في جميع هذه الالسن (ما عدا حالة الاضافة واتصال الاسم بالضمائر المتصلة) وقد ضعفت الهاء في هذه اللاحقة "ه" وكثير ذلك بل وسقطت في كثير من اللهجات وانتهى الامر بعلامة التانيث (ة) الى ان اصبحت مجرد حركة اي فتحة او فتحة مماله امالة خفيفة او فتحة مماله امالة شديدة (a, ä, e)

وبصفة عامة فقد اختص هذا التغيير (أي ابدال التاء هاء او سقوط التاء تماما) بعلامة التانيث التي تلحق الاسم المؤنث المفرد شأنه في ذلك كشأنه في العربية الفصحى.

ولم يمتد هذا التغيير الى أضرِب صرْفية أخرى إلا في بعض اللهجات نحو ابدال تاء جمع المؤنث السالم هاء في لغة بني عُمُور "ömür" وبنِي صُلُوت "Sūt" وهم من أنصاف الرُّحَل بصحراء سوريا ومن ذلك قولهم "خَمْسُ بَقَارَاهُ" (Hams öbgārāh) اي خمس بقرات) و"خَمْسُ احْجَارَاهُ" (Hamsö hğārāh) اي خمس حجرات).

وتبدل تاء جمع المؤنث السالم بياء ساكنة في لغة بني شَمَّر (Sammar) وهم من كبار قبائل شرقي الجزيرة والعراق. (وقد يكون اصلها من قبيلة طي) نحو "خَمْسُ بَقَارَاهُ" (Hams öbgārāh) كما ان تاء الماضي في صيغة الغائبة تسقط عندهم ايضا وتبدل بياء ساكنة او فتحة مماله امالة خفيفة او فتحة مماله امالة شديدة (a , ä, e) وذلك نحو (كَتَبُوِيْ-) (ktöb^wā) (اي هي كتبت) وشَرِبِي (Šerbe) (اي هي شربت) (انظر كانتينو "لهجات البدو... الجزء الاول ص : 20-21 والجزء الثاني ص : 16-17)

وتتغير التاء تغييرا مطلقا غريبا في بعض جهات المغرب العربي اي
بعبارة أدق في لهجات الحضر بالجزائر وبالمغرب الأقصى. ومن المحتمل ان
يكون هذا التغيير ناتجا عن تأثير الطبقة اللغوية السفلى اي اللغة البربرية.

وذلك ان شدة التاء تضعف نوعا ما وترتخي فتتزع التاء الى التاء الملبّنة :
”تَيْ“ (١٧) او الى تاء ذات زائدة رخوة أي ”تْش“ (١٨) أو
”تْش“ (١٩) وقد تصير التاء رخوة تماما فتقلب تاء. ولا تطرأ هذه
التغييرات على التاءات الاصلية في اللغة فقط بل وحتى على التاءات المبدلة
من التاءات وهو ابدال كثير في تلك اللهجات (انظر الحديث في هذا الشأن
ص : 44) ويقع هذا التغيير في الجهات التالية :

1- تبديل التاء ”تَيْ“ (١٧) أو ”تْش“ (١٨) اي قاء مُلَبَّنَةٍ
او ذات زائدة شِبْنِيَّة) في القسم الغربي من دائرة (Arrondissement)
عَنَابَة (بأدوغ) : (Edough) في مقاطعة (Département) قسنطينة.
وكذلك بالقسم الشرقي من دائرة سكيكدة نحو قولهم : ”كَلَيْتَيْ“ (klīṭay)
و”كَلَيْتْ شْ“ (klīṭš) اي ”أَنَا أَكَلْتُ“ وقولهم : ”تَيْبِن“
(tīben) و”تْشِ بِن“ (tšben) أي رَبَّنْ.

2- وتبديل التاء ”تْش“ اي تاء ذات زائدة سينية رخوة بغربي دائرة
سكيكدة بالدائرة البلدية المختلطة (Commune mixte) التابعة للميليا
(El-Milia) وبالدائرة البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف (Commune
de plein exercice) الواقعة جنوبي ذلك مباشرة وبمدينة قسنطينة
وبالدائرة البلدية المختلطة التابعة لظَاهِرْ (Taher) ودَجِيغَلِي وبالقسم
الشمالي من دائرة بلدية فج مزالة (Fedj-Mzala) وبالقسم الشرقي
من دائرة بلدية واد مرسى (Oued Marsa) وبمدينة بَجَايَة بالقسم الشمالي
الغربي من دائرة بلدية تَكِيرُونْتْ (Takirount). وذلك قولهم : ”كَلَيْتْ شْ“
(klīṭš) اي ”أَنَا أَكَلْتُ“ وقولهم ”تْ شْ بِن“ (tšben) اي رَبَّنْ.

وكذلك الامر بالنسبة الى مقاطعة مدينة الجزائر وبمدينة الجزائر نفسها
وضواحيها القريبة (ما عدا لهجات اليهود) وبمدينة شَرِشَل ودليس
(Delys) وهو قولهم ”كَلَيْتْ شْ“ و”تْشِ بِن“ كذلك. وكذلك الحال
أيضا بمدينة تَلْمَسَان من مقاطعة وَهْرَان حيث يقولون : ”كْتْ شْ بْتْ شْ“
(ktšbetš) أي أَنْتَ كَتَبْتَ

3 - وتبدل التاء المسبوقه بحركة طاء رخوة في لهجات قبيلتي الْمَسِيرَدَة (Msirda) والتَّرَازَة (Traras) اي بالجبال الواقعة شمالي مدينة تلمسان نحو قولهم : "بَيْتٌ" (bīt) " أَي "بَيْتٌ" وحوثٌ (Hūt) أي "حَوْتٌ" وليس يقع ذلك اذا كانت التاء غير مسبوقه بحركة نحو قولهم "تَبِينٌ" (tben).

واما بالمغرب الاقصى فيبدو ان إبدال التاء "تْ ش" مطرد بالمراكز المدنية كمدينة فاس وطانجة والرباط وسلا وتطوان... الخ وبخلاف ذلك فان الناطقين بالعربية من سكان الجبال بشمال المغرب الاقصى (اي الجباله) يبدلون التاء المسبوقه بحركة تاء مثل ما يبدلها سكان جبال شمالي مدينة تلمسان .

ومما ينبغي ملاحظته في لهجات الجباله هذه بالذات نزوعهم الى ابدال تاء المضارع دالاً نحو قولهم ادرِ فِدْ (a-derfed) (عوض هي "اِترِ فِدْ" (aterfed) (أي ترفع) وادرِ فِدْ (a-derfed) (عوض انت اِترِ فِدْ (aterfed) اي انت ترفع) وادرِ فِدُو (a-drefdo) (عوض اِترِ فِدُو (atrefdo) أي ترفعون .

ولا يطرأ على الدال عادة التغيير الذي يطرأ على التاء وهو تليينها او اضافة زائده رخوة لها. وشذ عن ذلك امكان ابدال الدال المسبوقه بحركة ذالا (كما ابدلت التاء المسبوقه بحركة تاء) في لهجات سكان الجبال بشمالي المغرب الاقصى. ويطرأ على الحروف الاسنانيه الشديده اي التاء والدال والطاء في اللسن الدارجه العربية العصرية كثير من التغييرات المقيدة كما في العربية الفصحى وأخص تلك التغييرات الابدال والادغام. ونكتفي بذكر الخطوط الكبرى لهذه التغييرات .

* ينزع الدال الى الادغام في الدال والطاء والتاء والذال والطاء بعده وكثيرا ما يدغم ايضا في السين والزاي والصاد والشين والجيم سواء أكانت قبله أو بعده (وكثيرا ما ترد هذه الحروف بعد التاء في صيغ المطاوعة نحو : "سَمَمِي" (ss-amma) (عوض (tsamma) (اي تَسَمَى).

وقد تبدل (تْز) (ʔ) و"تْج" (ʔ) و"تْج" (ʔ) (فتصير "دز" ʔ " و"دج" (ʔ " "دج) (ʔ) وذلك تقريبا. ويدغم الدال في التاء او الطاء بعده وقد يبدل تاء اذا كان قبل حرف مهموس .

ويدغم الطاء في التاء أو الدال بعده و يعيرهما اطباقه. ومن جهة اخرى نلاحظ عدة حالات يحدث فيها الاطباق بصفة مقيدة عادة. وعلى من ينبغي تفاصيل هذا وخاصة فيما يتعلق بالجزائر ان يرجع الى كتابي و. مارسى "تلمسان" ص : 24-30 و "صيدا" ص : 21-22 والى كتاب م. كوهين "يهود الجزائر" ص : 71-78 .

ومما يلاحظ في النهاية ما يحدث عند بني عَنَز (Anäze) وهم عشيرة كثيرة من البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية من ادغام غريب لاحد هذه الحروف. فهؤلاء يدغمون تاء التانيث في ضمير المخاطب المتصل نحو قولهم "نَأْفَكْ" (nāgak) (اى نَأْفَتُكَ) ولا يدغمون في مثل "نَأْفَتِي" (Nāgöi) اى نَأْفَتِي. (انظر كاتينو كتاب "لهجات البدو" الجزء II ص : 18).

2 - النون الخيشومية

كان في اللغة السامية حرف شديد خيشومي هو النون .

وقد احتفظت العربية الفصحى بهذه النون الخيشومية. ومخرجها حسب سيبويه (الكتاب II ص : 453) وحسب الزمخشري-ابن يعيش (شرح المفصل X : ص : 124-125) هو مخرج حروف الصغير أي طرف اللسان ومغازر الثنايا .

وتكاد النون تخلو من التغيرات المطلقة الا ان التغيرات المقيدة التي تطرأ عليها هامة : من ذلك الابدال والادغام. ويطرآن على نون التنوين كما يطرآن على النون العادية .

(1) لا تنطق النون نطقا خالصا (وهو ما يسمى بالاظهار) الا اذا كانت قبل احدى الحروف الستة الآتية : الهمزة والهاء والحاء والعين والمخاء والغين.

(2) واذا كانت النون متبوعة بحرف من الحروف الخمسة عشر الاخرى اى القاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والزاي والسين والطاء والذال والتاء والطاء والدال والتاء والفاء في نفس الكلمة أو في كلمتين متتاليتين

طرأت عليها درجة أولى في الابدال تسمى "اخفاء" وتسمى هذه النون آن ذاك "خفيفة" او "مخفأة" و"خفية" وتصير مجرد غنة في الخيشوم لا علاج على النغم في التطق بها (انظر ابن يعيش X ص : 126) وما الغنة في الحقيقة، والتجويد التقليدي شاهد بذلك، الا نغمة خيشومية ممدودة وترنم يقع باغلاق النغم فيبدو أن النون في هذا الحال كانت تبدل تقريبا في نفس الوقت فيصير مخرجها مخرج الحرف الذي بعدها.

(3) وتقلب النون ميما اذا كانت متبوعة بباء (ويسمى ذلك اقلابا) مثلما يحدث ذلك في كثير من اللغات الاخرى ويصحب هذا القلب شيء من الغنة نحو "من باب" تقرأ "مم باب" (قرآن سورة XII آية 67)

(4) وأخيرا تدغم النون ادغاما تاما في الحروف الخمسة الآتية :
الراء واللام والواو والياء والميم وكذلك في النون طبعاً .

واختلف النحاة (1) في مسألة الاحتفاظ بالغنة في حالة ادغام النون في الراء واللام والواو والياء، فيذهب بعضهم - وهو ما يبدو جاريا به العمل في التجويد - الى ان ادغام النون في اللام والراء ادغام تام اي بغير غنة بخلاف ادغامها في الواو والياء والميم والنون فهو ادغام غير تام اذ يحتفظ فيه بالغنة. أي بعبارة اخرى ان النون اذا ادغمت في الواو والياء نتج عن ذلك واو خيشومية او ياء خيشومية.

وهذه بعض أمثلة هذا الادغام، فقد قرأوا :

- من رب ← مَرَّب (قرآن XXXVI 58)
- اذا تاذن ربكم ← اذا تاذرَبُّكم (باسقاط الحركة) (ق : XIV 7)
- من لبن ← مَلْبَن (ق XLVII 16)
- عن الانفَال ← علاَنفَال (ق VIII، 1) مع اسقاط الحركة
- إن لا ← إلا ...
- من يقول ← مَيَّقُول (بغنة في الياء الاولى)
- لأن يعلم ← لاَيَعْلَم (ق LVII، 23) (قراءة البيضاوي الجزء الثاني ص : 316)

(I) انظر فيما يتعلق بهذه المسألة : سيبويه II ص 464 - 465 وابن يعيش

× ص 143 - 144 و « هُوْل » : النحو العربي : IV ص 783 وما يليها .

• مَنَّ وَاقَيْدٌ ← مَوَّاقِيدٌ (بغنة في الواو الاولى)
 • مِّنْ مَا ← مِمَّا
 • يَاسِيْنَ وَالْقُرْآنِ ← يَاسِيَوِ الْقُرْآنِ (بغنة في الواو الاولى) (ق) :
 (1 ، XXXVI)
 • مِّنْ مُحَمَّدٍ ← مِمُّحَمَّدٍ .

ومما يلاحظ ايضا ان نون التنوين كانت تنطق نطقا ضعيفا اذ كانت تسقط عند الوقف. وقد احتفظت الالسن الدارجة العربية العصرية ايضا بهذه النون الخيشومية احتفاظا كاملا، فلم يطرأ عليها الا بعض التغييرات المقيدة كالاببدال والادغام. فقد ابدلت النون غنة خيشومية مخرجها اقصى الحنك (ويرمز لهذا الحرف ب r) وذلك اذا كان بعدها حرف من حروف اقصى الحنك او غشائه. نحو "يُنْقُلُ" (yongol) (اي ينقل) و"يَنْكَسِي" (yenksa) (اي يابس الكسوة) (وهي من لغة صيدا) .

وقد يحدث ذلك احيانا اذا كان بعد النون طاء او صاد او ظاء نحو "انطُوهُو" (enjōho) (انظر وليام مارسي: "أولاد ابراهيم" ص: 26)
 واذا كانت النون قبل حرف شفوي ولا سيما حرف الباء ابدلت ميمًا فمن ذلك اننا كثيرا ما سمعناهم يقولون "جِمْب" (gǎmb) عوض "جَنْب" (gānb) و"مَمَّ بَعْدُ" (mem ba'cd) عوض "مَنْ بَعْدُ" (men ba'cd) واذا كانت النون متبوعة براء او لام ادغمت فيهما وقد كثر ذلك بالمغرب (انظر و. مارسي نفس المرجع ص 27-28) وبالشرق ايضا (انظر كانتينو "لهجة تدمر العربية" الجزء الاول ص : 53) فمن ذلك قولهم : في "مِنْ لُوْز" (men lōz) "مِلُّوز" (mellōz) وفي "وَيْنُ رَاْح" (wēn rāh) "وَرَاْح" (werrāh) (اي اين ذهب) وفي "ابْنُ العَبَّاس" (Ben el-abbas) "بِلْعَبَّاس" (Bel abbas) (مع اسقاط حركة اداة التعريف).

وقد يقع هذا النوع من الادغام حتى في حالة عدم تلازم النون واللام من ذلك ابدال النون لاما بتأثير لام سابقة في لقب الولي الصالح البغدادي المشهور عبد القادر الجيلاني فقد صار هذا اللقب بالمغرب الاقصى وبغربي الجزائر "الجيلالي" باللام .

ويذكر و. مارسي (نفس المرجع ص : 26-28) أمثلة ممتبسة من لغة سكان صحراء وهران تدغم النون فيها في تاء بعدها نحو "بِتْ" (bett) عوض "بِنْتْ" (bent) و"تْ" (tta) و"تْ" (tti) عوض أنتِ وأنتِ. (eña - enti)

ومن الملاحظ أيضا نزوع نون "مِن" و"بِن" الى الادغام في الحروف الاسنانية والضميرية والغشائية نحو بن قلدور (Ben Qaddūr) تصير "بَقْدُور" (Baqqaddūr) و"بِن سَلِيمَان" (Ben Slē i mān) تصير "بِسَلِيمَان" (Bes Slē i mān) ويبدو ان اللام في "عَلَم" (ğlām) الجزائرية عوض "عَنَم" (ğanam) (أي غنم) قد انتقلت عن النون تبينا لوجود ميم في الكلمة.

وقد يحدث هذا التباين أيضا إذا كان في الجوار الصوتي نون أخرى نحو ما جاء في كثير من اللهجات من قولهم "فنجال" (Fingāl) عوض "فنجان" (Fingān)

3- الحروف الرخوة التي من بين الاسنان

كان في اللغة السامية كما ذكرنا ثلوث من الحروف الاسنانية الشديدة هو:

$$\begin{array}{c} \text{t}_2 \text{---} \text{d}_2 \\ \quad \quad \quad \diagdown \\ \quad \quad \quad \text{d}_2 \end{array}$$

$$\begin{array}{c} \text{د}_2 \text{---} \text{ت}_2 \\ \quad \quad \quad \diagdown \\ \quad \quad \quad \text{ذ}_2 \end{array}$$

ويبدو أن مخارج هذه الحروف كانت أكثر الى الامام من مخارج الحروف الاسنانية التابعة للثالث الاول. كما يبدو أن شدتها لم تكن كاملة ويمثل هذا الثالث في العربية الفصحى ثلوث من الحروف الرخوة من بين الاسنان أي .

$$\begin{array}{c} \text{ث} \text{---} \text{ذ} \\ \quad \quad \quad \diagdown \\ \quad \quad \quad \text{ظ} \end{array}$$

ونظمتها بين الاسنان ثابت أثبتته شهادة النحاة فيذكر سيويوه (ص : 453) أن مخرجها ” ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا “ على أن بعضهم قد شهد بوجود نطق أدخل في الفم بقليل . فقد قال ابن يعيش في شرح المفصل للزمخشري (X ص : 125) - ونص الزمخشري هو عين نص سيويوه - قال إن مخرجها ” ما بين طرف اللسان واصل الثنايا... وهي لثوية لان مبادها من اللثة “

وبما ان المصنفين متفقون على ترتيب هذه الحروف في قائمة الحروف الرخوة فانه يجب التساؤل هل ان ابن يعيش كان يعني أن مخارج هذه الحروف كانت ادخل في الفم ام انه يلصق الى نطقها بشيء من الضمير وهو نطق سيأتي فيه الكلام . ومهما يكن الامر فلا بد من ان نعتني بنطق هذه الحروف في العربية الفصحى نطقا بين الاسنان خالصا (مثل الذال او الثاء في اللغة الانكليزية) كما يجب اجتناب النطق بها نطقا ضميريا (اي كالسين او الزاي او الزاي المنفخمة) وهو نطق تركي الاصل وكذلك يجب تحاشي النطق بها نطقا تجمع فيه الشدة والرخاوة اي ”تس“ و”دز“ و”دب“ وهو نطق خاص بالمطبقات المثقفة في شمال افريقيا. ذلك ان هذا النطق ناتج عن محاولات تقريبية يقوم بها ناس ليس لهم في لهجاتهم حروف رخوة من بين الاسنان.

وينبغي بالخصوص القيام ضد تأويلين فيما يتعلق بنطق الظاء . أولهما هو تصوير الظاء بواسطة الـ (z) من الحروف اللاتينية ذلك ان هذا التصوير يعتمد على نطق مستهجن تركي الاصل فيما يحتمل . وثانيهما النظرية القائلة بان الظاء - على الاقل في الاصل - حرف مهموس مطبق اي تاء مطبقة (انظر بروكلمان ”المختصر“ ا ص : 129) ذلك انه ليس ثمة ما يؤيد هذه النظرية عند النحاة العرب فهذا سيويوه يقول (انظر كتابه : ص : 455) إن ”لولا الاطباق لكانت الظاء ذالا“ وابن يعيش يؤيده في ذلك (انظر شرح المفصل : X ص : 129) فالظاء اذا حرف مجهور مطبق. ومن باب المجازفة في هذا المضممار الاستشهاد بالفقرة الواردة في شرح ابن يعيش (X ص : 128) والتي يذكر فيها ابن يعيش في باب الحروف المستهجنة نطق الظاء كالثاء نحو ”نلم“ عوض ”ظلم“ ذلك انه قد نعت هذا النطق وغيره مما ورد في هذا الباب بكونه نطقا اعجمي الاصل غير عربي نعتا صريحا .

واما نطق الظاء طاء عند بعض بدويي الشرق (وقد ذكر بروكلمان هذا النطق نقلا عن "ولين" (Wallin) (انظر "مجلة الاستشراق الالمانية" (ZDMG) الجزء (XII ص 626) فاني لم اعثر عليه قط ولا سمعته وما هو عندي الا غلطة من اغلاط "ولين" (Wallin)

ولهذه الحروف الرخوة التي مخرجها من بين الاسنان نزعة منذ القدم الى الانتقال حروفا شديدة اسنانية وذلك في بعض لهجات المناطق المتاخمة للجهات الآرامية، من ذلك ما نجده في المرقومات اليونانية في حوران (Aurantide) وفي "تراكونيديت" (Trachonidite) وفي بلاد الانباط (Nabatène) من تصوير التاء في الاسماء العربية بواسطة التاء اليونانية (τ) لا التاء اليونانية (θ) نحو تصوير "حارثة" هكذا (Αρετας) و"مغيث" هكذا (Μογιεος) و(Μοειθου) و"غوث" هكذا (Γαυτος) و(Avθος) : انظر بروكلمان "المختصر" ج 1 ص 131-132) وسنرى بعد هذا تطور هذه النزعة في اللسان الداريجة العربية العصرية .

وفي العربية القديمة امثلة صارت التاء فيها فاء نحو قولهم "جَدَفَ" و"جَدَثَ" ويذكر الفارسي عن يعقوب الجملة التالية : "قَامَ زَيْدٌ فَمَ عَمَرُو" عَوَّصَ "قام زيد ثم عمرو" (انظر هول (Howell) "النحو العربي" 17 ص 1195) وكذلك قولهم "أَثُورٌ" و"أَفُورٌ" (بمعنى المصيبة) و"فُرُورَةٌ" و"فَرُورَةٌ" (انظر ابن دريد : كتاب الاشتقاق ص : 129. 2 وبروكلمان "المختصر" 1 ص 130 - 131) كما ان ثمة ايضا بعض الامثلة انقلبت فيها تاء قديمة سينا في العربية الفصحى . فقد دلت المقارنة مع سائر اللغات السامية ان كلمة "ليس" تمثل كلمة قديمة كانت "لَيْثٌ" وان "سَادِسٌ" و"سُدَسٌ" متولدتان عن شَادَثٌ و"شُدَثٌ" ومما يمكن اضافته في هذا الباب قولهم "مَرَثٌ" و"مَرَسٌ" (أي أَمْتَصَّ اصبعه) وهما من المزدوجات (انظر بروكلمان "المختصر" 1 ص 159 - 235) ويطرأ على الحروف الرخوة التي من بين الاسنان ادغام كثير فيدغم بعضها في بعضها وتدغم في الحروف الآتية : التاء والذال والطاء والسين والزاي والصاد والشين والجيم والضاد سواء اوردت هذه الحروف بعدها مباشرة او بعد الحركة التي بعدها.

أمثلة ادغام الثاء :

- ث ذ ← ذ : نحو ابَعَثَ ذَلِكَ ← ابْعَذَلِكْ (ابن يعيش X 146)
 ظ ← ظ : نحو ابَعَثَ ظَالِمًا ← ابْعِظَالِمًا (ابن يعيش X 146)
 ث ت ← ت : نحو عَبَثَ تَاجِرٌ ← عَبْتَنَاجِرٌ
 ث د ← د : نحو عَبَثَ دَارِمٌ ← عَبْدَارِمٌ
 ط ← ط : نحو عَبَثَ طَارِدٌ ← عَبِطَارِدٌ
 ث س ← س : نحو عَبَثَ سَامِرٌ ← عَبَسَامِرٌ
 ث ز ← ز : نحو عَبَثَ زَاجِرٌ ← عَبَزَاجِرٌ
 ث ص ← ص : نحو عَبَثَ صَابِرٌ ← عَبْصَابِرٌ
 ث ش ← ش : نحو لم يَبْرَثْ شَيْعًا ← لم يَبْرِشْشَعًا (زمخشري ابن يعيش X ص : 139)
 ث ج ← ج : نحو لم يَلْبَثْ جَالِسًا ← لم يَلْبَجَّالِسًا (زمخشري ابن يعيش X ص : 138)
 ث ض ← ض : نحو لم يَلْبَثْ ضَارِبًا ← لم يَلْبَضَّارِبًا (زمخشري ابن يعيش X ص : 140)

أمثلة ادغام الذال

- ذ ث ← ث : نحو نَبَذَ ثَامِرٌ ← نَبْثَامِرٌ
 ذ ظ ← ظ : نحو خُذَّ ظَالِمًا ← خُظَّالِمًا (ابن يعيش X ص : 146)
 ذ ت ← ت : قراءة ابن العلاء وحمزة والكسائي "عُت" في "عُدْتُ"
 (قرآن XL 28 و XLIV-19)
 ونحو قراءة اكثر القراء (ما عدا ابن كثير ويعقوب وحفصا)
 لَتَّخَذْتُ فِي لَتَّخَذْتُ (قرآن XVIII-76)
 ذ د ← د : نحو نَبَذَ دَارِمٌ ← نَبْدَارِمٌ
 ذ ط ← ط : نحو نَبَذَ طَارِدٌ ← نَبِطَارِدٌ
 ذ س ← س : نحو نَبَذَ سَامِرٌ ← نَبَسَامِرٌ
 ذ ز ← ز : نحو نَبَذَ زَاجِرٌ ← نَبَزَاجِرٌ
 ذ ص ← ص : نحو نَبَذَ صَابِرٌ ← نَبْصَابِرٌ

- ذ ش ← ش : نحو لَمْ يَتَّخِذْ شَرِيكًا ← لَمْ يَتَّخِشْ رِيكًا (زمخشري ابن يعيش X ص : 139)
- ذ ج ← ج : نحو قراءة إِجَاؤُكُمْ فِي إِذْ جَاؤُكُمْ (قرآن XXXIII 10) (زمخشري ابن يعيش X ص : 138)
- ذ ض ← ض : نحو اِنْبِيَاءَ ضَارِبِكَ ← اِنْبِيَاءَ رِبِكَ (ابن يعيش، X ص 140)

أمثلة ادغام الظاء

- ظ ث ← ث : أَبْقِظْ ثَابِتًا ← أَبْقِثَابِتًا (مع اسقاط الاطباق ام لا؟ في المسألة مجال للتساؤل) (ابن يعيش، X ص : 146)
- ظ ذ ← ذ : نحو أَحْفَظْ ذَلِكَ ← أَحْفِذْ أَلِكْ (مع اسقاط الاطباق ام لا؟ في المسألة مجال للتساؤل وابن يعيش : X ص : 146)
- ظ ت ← ت : نحو غَلِظَ تَاجِرٌ ← غَلِثَ تَاجِرٌ
- ظ د ← د : نحو غَلِظَ دَالِمٌ ← غَلِثَ دَالِمٌ
- ظ ط ← ط : نحو غَلِظَ طَارِدٌ ← غَلِثَ طَارِدٌ
- ظ س ← س : نحو غَلِظَ سَامِرٌ ← غَلِثَ سَامِرٌ
- ظ ز ← ز : نحو غَلِظَ رَاجِرٌ ← غَلِثَ رَاجِرٌ
- ظ ص ← ص : نحو غَلِظَ صَائِرٌ ← غَلِثَ صَائِرٌ
- ظ ش ← ش : نحو لَمْ يَحْفَظْ شِعْرًا ← لَمْ يَحْفِشْ عُرًا (الزمخشري، ابن يعيش X ص : 139)
- ظ ج ← ج : أَحْفَظْ جَارَكَ ← أَحْفِضْ أَرِكَ (الزمخشري، ابن يعيش، X ص : 138)
- ظ ض ← ض : أَحْفَظْ ضَانِكَ ← أَحْفِضْ أَانِكَ (الزمخشري، ابن يعيش، X ص : 140)

وان ذهب الاطباق من الحرف الاول من بعض هذه الامثلة أمر غريب. اما فيما يتعلق بالالسن العربية الدارجة العصرية فيمكن وضع المبدأ التالي: لقد بقيت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان اى التاء والذال والظاء كما هي عند البدو الرحل او البدو الرحل سابقا واصبحت هذه الحروف حروفا شديدة من نفس المخرج أي تاء ودالا ودالا مطبقة في لهجات الحضرة.

واليك تطبيق هذا المبدأ

1 - في الشرق :

الامر واضح وضوحا خاما بالنسبة الى المدن التي لهجتها لهجة الحضر كالقاهرة والاسكندرية وبيت المقدس ودمشق وحلب وبغداد. ولكنه اقل وضوحا بالنسبة للارياض، فاذا رجعنا الى كتاب برقشترير (Bergstrasser) "الاطلس اللغوي" ونذكرنا في الخريطة الاولى والخريطة الرابعة رأينا أن بعض اللهجات الريفية التي ينطق فيها القاف (لا قافا) - وذلك اذن دليل على انها لهجات حضرية أساسا - قد احتفظت بالحروف التي مخرجها من بين الاسنان مثال ذلك لهجات فلسطين وجنوب لبنان والدروز ومدينة تدمر. وبخلاف ذلك فان العكس لا يبدو صحيحا فلا يبدو ان اية لهجة بدوية قد اسقطت الرخوة من الحروف التي من بين الاسنان .

2 - في شمال افريقيا :

الحالة شبيهة بالحالة بالشرق اي انه يمكن ان توجد الحروف التي من بين الاسنان في بعض اللهجات الحضرية وذلك خلافا للمبدأ الذي وضعناه أعلاه - وان العكس لا يكاد يحدث فيما يبدو - ففي تونس مثلا توجد في لهجات الساحل الحضرية (ومثالها لهجة "تكرونة" وفي لهجة مدينة تونس حروف رخوة من بين الاسنان، واما في الجزائر ففي مقاطعة قسنطينة أصبحت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا شديدة وذلك في جميع منطقة اللهجات الحضرية الشاملة لدائرة بلدية كلو (Collo) وللدوائر البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف الواقعة الى شرقي كلو مباشرة بما في ذلك مدينة سكيكدة. والواقعة الى الجنوب بما في ذلك قسنطينة ولدائرة بلدية الميلى والدوائر البلدية ذات التصرف الفرنسي الصرف الواقعة جنوبي الميلى مباشرة ولدائرتي بلديتي طاهر ودجيجلي ولجزء الشمالي من دائرة بلدية فج مزالة ولتقسم الناطق بالعربية من دائرة بلدية واد مرسى ولشمال القسم الناطق بالعربية من دائرة بلدية تكيتونت ولمدينة بجاية. ولم تصح الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا شديدة بمقاطعة مدينة الجزائر الا في الجزائر العاصمة فقط. وأما في بقية المدن ذات اللهجة الحضرية

مثل شرشل والبليدة وتدليس ومديّة (Médéa) ومليانة وتينس القديمة (Vieux - Ténès) فان السكان قد احتفظوا بالحروف الرخوة التي من بين الاسنان. ومن المحتمل ان يكون احتفاظهم بها ناتجا عن تأثير اللهجات البدوية على هذه المدن على انه ينبغي ان نقول بـ "رجوعهم الى استعمالها" عوض "احتفاظهم بها" لاننا لاحظنا في بعض النقاط وخاصة في شرشل وفي مليانة مثلا بعض التردد وشعرنا بان بعض العناصر من السكان ينطقون احيانا بحروف شديدة : ومن الممكن ان يكون هذا الرجوع الى استعمال الحروف الرخوة التي من بين الاسنان قد وقع منذ عهد غير بعيد جدا. واما بمقاطعة وهران فان الحروف الرخوة التي من بين الاسنان لم تصبح شديدة الا بتلمسان وعند سكان الجبال من مسيردة وترارة (بشمال تلمسان) وفي بعض لهجات اليهود .

واما بالمغرب الاقصى فليس ثمة معلومات منصلة في هذا الشأن الا انه يبدو ان الحروف الرخوة التي من بين الاسنان قد صارت الى الحروف الشديدة في لهجات الحضر سواء أكانت لهجات سكان المدن او سكان الجبال.

وقد اضمحلت هذه الحروف الرخوة التي من بين الاسنان من اللغة المالطية المعاصرة وخلافا لذلك فانها كانت ما تزال موجودة في لغة غرناطة باسبانيا في القرن الخامس عشر (أنظر ق، س كوليس (G. S. Colin) ومقاله "الحروف الثلاثة التي من بين الاسنان في العربية الاسبانية" الصادر في مجلة هسبيريس (Hespéris) الجزء العاشر، 1930 ص : 91-120) ويطرأ على هذه الحروف الشديدة الاسبانية الجديدة (اي التاء والذال والذال المطبقة) المتولدة عن الحروف الرخوة التي من بين الاسنان نفس ما يطرأ على الحروف الشديدة الاسبانية القديمة من تغييرات يطرأ بالخصوص على التاء المتولدة عن التاء نفس التغييرات التي تطرا على التاء القديمة اي انها تصير جامعة بين الشدة والرخاوة بزيادة زائدة سينية أو شينية فتقلب "تْ شْ" أو "تْ شْ" وتلين بزيادة ياء خفيفة فتقلب "تْ شْ" وتسير الى الرخاوة فتقلب تاء (من جديد). وفي هذه الحالة الاخيرة - كما نجد ذلك عند المسيردة - يعود الى هذا الحرف نطقه القديم نحو : حَرَتْ - حَرَتْ - حَرَتْ - حَرَتْ (hrat - hrat - hrat)

وقد نجد أحيانا في اللهجات البدوية التي يحتفظ اهلها عادة بالحروف الرخوة التي من بين الاسنان أمثلة عارضة تنقلب فيها هذه الحروف بدون سبب ظاهر حروفا شديدة. فقد ذكر و. مارسي في كتابه "اولاد ابراهيم" ص 20-21 من بين ما ذكر الامثلة التالية : إلهتْ (elhat) (من لهث) وتَفَالٌ (tēfāl) (من تَفَالٌ وهي جلد يسط تحت الرحي) وِفْنَفُودٌ (genfūd) من قننذ وَمِدْرَى (medra) (من مدارة وهي خشبة ذات اصابع لتذرية الحنطة وما اليها)

ومما تمتاز به لهجات الحضر بشمال افريقيا فيما يتعلق باستعمالهم الحروف التي من بين الاسنان ظاهرة هامة تتمثل في كون الظاء المطبقة (او الضاد المطبقة التي اصبحت عندهم ظاء) : (انظر ما بعد هذا) لا تنقلب دالا مطبقة حسب القاعدة بل تصير الى طاء مطبقة نحو "طَهْرُو" (tahro) (اي ظهره) و"طَلِيلِي" (tēlā) (أي ضلالة وهو الظل) و"بَيْطُ" (byā) (أي ابيض) و"مَرِيطُ" (mrā) (اي مريض) و"وَطْفُرُو" (tofro) (أي ظفره) الخ... وانتشار هذه الظاهرة اقل من انتشار انقلاب الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا اسنانية بل قل انها تكاد لا تطبق في كليتها ابدا ذلك ان تطبيقها تعاكسه نزعة الى الرجوع الى الحروف الاصلية سواء بتأثير العربية الفصحى او بتأثير لهجات البدو المجاورين. ومن العسير ان نعين لهذه الظاهرة سببا حقيقيا : فهو نطق الظاء مهموسة اي شبيهة بنطق بعض العرب في العربية الفصحى كما يذكره النحاة؟ (انظر اعلاه صفحة 50) ام هو نطق مهموس متولد عن الاطباق ؟ ام هو ظاهرة تابعة للغة البربرية (قارن بقلب كلمة "أَدَدُ" (adad) بدالين مطبقتين "أَطَدُ" (aṭad) بطاء ودال مطبقة في شرق القبائل (انظر أ. باسي (A. Basset) دراسات في الجغرافية اللغوية بالقبائل ص 75 والخريطة عدد 15) .

ومما يتبني ذكره ايضا في هذا السياق ابدال الحروف الرخوة التي من بين الاسنان حروفا رخوة شنوية-اسنانية في عدد من لهجات سكان التل البدو في مقاطعة مستغانم نحو قولهم في "ثاني" "فاني" (Tani → fani) وفي "ذَهَبٌ" "فَهَبٌ" (dhāb → vhab) وفي ظلمة "هلمة" (ḡalma → valma) (قارن هذا بما جاء في كتاب و. مارسي ص 20) وقد شوهد وجود مثل هذا بالشرق نحو قول سكان تدمر في تلحج "فَلْحَجٌ"

(fēlg → tēlg) وقد يحدث العكس كما رأينا ذلك اعلاه ص
اي ان الفاء قد تبدل ثاء نحو قولهم في كثير من اللهجات الشرقية : ثم
(tum^m) ويجمع على ثمام (tmam) عوض فم (fum) اي فم .

ولننظر الآن في بعض التغييرات التعاملية التي تطرأ على الحروف الرخوة
التي من بين الاسنان : فإذا كانت الذال المجهورة بجوار حرف مطبق او
لهوي جاز ابدالها ظاء مطبقة ويكثر ذلك بالجزائر نحو قولهم في فخذ
”فَحْظًا“ (fahd → fhād) وفي أخذ ”حُظَى“ (hḍā) وفي ذا
الوقت ”ظُرُوكُ“ (dörwok) (انظر و. مارسى ”أولاد ابراهيم ص 21)
وإذا كانت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان متبوعة بياء ادغمت فيها
وذلك كثير جداً فوليام مارسى يذكر في كتابه ”أولاد ابراهيم“ ص 22
الامثلة التالية من لهجة مدينة صيدا .

حَرَّتْ ← حَرَّتْ (Harattu → ḥ^qrōtt) . لَذَتْه ← لَذَتْه
(qabaḍtuhu → gbōttāh) قَبَضْتُهُ ← قَبَضْتُهُ
وكذلك تدغم الحروف الرخوة التي من بين الاسنان في شين النفي نحو :
مَا يَحْرُشْ ← يَحْرُشْ (māyahṛōšš → māyahṛōš)
مَا نَتَّخِذْشْ ← نَتَّخِشْ (اي لَنْ أَفَاجَا) (mā nthōdš → mā nthōšš)
مَا يَفْبِظْشْ ← يَفْبِشْ (mā yegbōšš → mā yegbōš)
(انظر و. مارسى نفس المرجع) .

وإذا كانت الحروف الرخوة التي من بين الاسنان بجوار حروف الصفير
او الشاشأة ابدلت حروفا شديدة نباينا فوليام مارسى يذكر في كتابه
”أولاد ابراهيم“ ص 23 امثلة من لهجة صيدا يبدل فيها الذال دالاً لتأثير
حرف سابق سواء من حروف الصفير او من حروف الشاشأة نحو قولهم
”سَمِيد“ (smīd) في سَمِيد وجَبِيد (žbed) في جَبِيدَ وشَاد (šādi)
في شَادِي (šādī) (؟) (ومعناه القرد) وتباين ملحوظ ذلك
الذي يطرأ على كلمة ثلاثة في ولاية وهران حيث تصير ثلاثه (ḥlāta)
إلى : ثلاثه (ḥlāta) او ثلاثه (ḥlāta) ونجد في تلمسان :
ثلاثسه (ḥlāt^sa) وثلاثسه (ḥlāsā) عوض ”ثلاثسه“ (ḥlāt^sa)
(انظر و. مارسى ”تلمسان ص : 156) .

4 - حروف الصفير الرخوة

كان في اللغة السامية ثالوث من الحروف الشديدة الاسنانية ذات زائدة سينية رخوة هو :

تْ سْ — دْ زْ
 دْ زْ

وقد صارت هذه الحروف في العربية القديمة الى حروف رخوة ذات صفير وكذلك فعلت في أكثر اللغات السامية فحدث ثالوث جديد هو :

س - ز
 ص

ومما يلاحظ أولاً هو ان السين في العربية لا تمثل الـ "تس" السامية النادرة نسبياً فقط بل وتمثل ايضاً وبالخصوص الشين السامية التي صارت الى السين منذ عهد قديم (انظر فيما سيجيء من حديث حول الشين : نظرية "تبادل حروف الصفير") ومما يلاحظ ثانية هو ان حرف الصفير المطبق اي الصاد حرف مهوس (1) فقد ذكر سيوييه (11 ص 455) ان "لولا الاطباق لكانت الصاد سينا" الا ان العرب قد عرفوا وجود نطق مجهور مطلق لحرف الصاد وكثير من القراء ومنهم ابن العلاء (1) بالخصوص قد قرأوا "الزراط المستقيم" (ق 1 ، 5) بزاي مطبقة مكان الصاد .

ومخرج هذه الحروف هو "طرف اللسان وما فوق الثنايا" (سيوييه 11 453) وهو طرف اللسان والثنايا (الزمخشري ابن يعيش، x، 124-125) فهي اذن حروف رخوة اسنانية او مغارزية (alvéolaires) وقد سماها العرب حروف الصفير بسبب ذلك الصوت الخاص بها.

ولا يطرأ على حروف الصفير الا عدد قليل من التغييرات المطلقة وعروض ذلك نادر جدا فقد ذكر ابن يعيش (x ص : 24) بيتا آخره "وابوك

(I) وليس لهذا الهمس في الحقيقة وظيفة لانعدام مقابل مجهور في اللغة تكون له وظيفة صوتية .

سادي“ عوض “سادس“ ومرد ذلك الى مقتضيات القافية بدون شك، ويذكر بعد ذلك بقليل (ص 36) بعض الابيات ينتهي مصراعان منها بـ : النَّاتُ“ عوض “الناس“ وبـ: “اَكْبَاتُ“ عوض “أَكْبَاسُ“ وذلك لمقتضيات القافية ايضا. فالامر هنا كما ترى هو مجرد تغيير ناتج عن الاجازات الشعرية.

وبخلاف ذلك فان السين والزاي والصاد معرضة لكثير من التغييرات المقيدة. فاذا كانت السين قبل حرف من الحروف الهموية مثل الغين والحاء والقاف او قبل حرف الطاء الاستانني المطبق جاز ابدالها صاد. من ذلك جواز قراءة “واسبع عليكم نعمه“ (ق 19XXXI) هكذا “واصبغ عليكم نعمه“ اي بالصاد عوض السين. وكذلك قالوا “صلخ“ في “سلخ“ و”مس صقر“ في “مس سقر“ (ق 48. LIV) و”صاطع“ في “ساطع“... الخ (انظر الزمخشري، ابن يعيش، X ، ص : 51-52).

ويلاحظ ابن يعيش في شرحه للمنصل ان هذه الاحرف الاربعة مجهورة (وفي هذا خطأ فيما يتعلق بالحاء) مستعاية وان السين مهموس مستغل فوجب ابدال السين صاد لضرب من التقريب. الا ان هذا التقريب لا يحدث في الحالات التي تكون فيها السين مسبوقه باحد هذه الحروف . واذا كانت السين والصاد متبوعتين مباشرة بحرف الدال ابدلتا زايا مطبقة تقريبا نحو قولهم “يزدُلُ“ (او يزِدُلُ) ثوبه من “سدل“ ويزدُقُ“ في “يصدق“ ويبدو ان الاطباق يبقى في الزاي المبدلة من الصاد تقريبا وان “تردق“ تنطق بزاي مطبقة (انظر الزمخشري، ابن يعيش، X ، 52 – 54) وعند بني كلاب تبدل السين زايا (لا صاد) اذا كانت متبوعة بـقاف. فقد كان اهل هذه القبيلة يقرأون مثلا “مس زقر“ عوض “مس سقر“ (ق : LIV ، 48) (انظر الزمخشري، ابن يعيش، X ، 52) ويمكن في هذا السياق ان نقارن المزدوجات (doublets) الآتية : “رقص“ و “رقز“ – “بَسَقُ“ و “بَصَقُ“ و “بَزَقُ“ – “قرز“ و “قرص“ – “لسق“ و “لرزق“ – “زعتق“ و “صعتق“ واذا كانت السين والصاد متبوعتين بزاي ادغمتا فيها نحو قولهم “احبز زردة“ في “احبس زردة“ (اي امسك حلقة من الزرد) وقولهم “افحز زائدا“ في “افحص زائدا“.

وإذا كانت الزاي متبوعة بسين أو صاد ادغمت فيهما نحو قولهم "رُسْ سَلَامَة" في "رُزْ سَلَامَة" (اي جَرِبَهُ وَأَخْبِرَهُ) وقولهم "أَوْجِضْ صَابِرًا" في "أَوْجِزْ صَابِرًا" (انظر الزمخشري ابن يعيش ص : X ، 145 - 146) وفي الالسن الدارجة العربية العصرية ينطق الصاد مجهورا اي زايا مطبقة بجنوب الجزيرة العربية اليمن (انظر لاندبارق (Landberg) "حضر موت" ص : 239) الا انه يبدو ان هذه الظاهرة ليست مطردة اطرادا مطلقا. ويكاد لا يطرأ على حروف الضمير اي تغيير في الالسن الدارجة العصرية. والتغيير الوحيد الذي يكثر حدوثه هو اما ذهاب الاطباق او عكسه. واليك بعض امثلة اكتساب الاطباق :

رَأْسٌ ← رَاصٌ (rās) و سُوْقٌ ← صَوْقٌ (sōg) و سَوْرٌ ← صَوْرٌ
(sōr) و سَاقٌ ← صَاقٌ (sāg) .

وبعض امثلة ذهاب الاطباق :

صَدْرٌ ← سَدْرٌ (sder) و سَهْدٌ (shöd) (من صَهَدَتِ الشَّمْسُ اذا احرقت) ... انظر و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص 15 و م. كوهين "لهجة يهود الجزائر" ص 90-94. وتبدل الصاد زايا في اكثر اللهجات السورية نحو قولهم "زَغِيرٌ" (Zgīr) في "صَغِيرٌ". (وعلى الراغب في النظر في ادغام السين والصاد والزاي في الشين ("س ش" و "ص ش" و "ز ش" ← ش) وادغام السين والصاد والزاي في الجيم ("س ج" و "ص ج" و "ز ج" ← ج) الرجوع الى و. مارسي "أولاد ابراهيم ص 17) نذكر مما جاء في ذلك المرجع على سبيل المثال قولهم "ما نلبش" (mā nelbess) عوض "ما نلبسش" (mā nelbess̄)

١٧ الحروف المائعة

١ - حرف الراء المكررة

كان في السامية حرف تكرير هو الراء، وقد احتفظت اللغة العربية القديمة بهذا الحرف خالصا وهو راء مكررة تنطق بقرع اللسان قرعات مكررة فويق مغارز الثنايا بقليل ولذلك سماها النحاة العرب "حرف

تكرير“ فهذه الراء هي اذن من نوع الراء الايطالية او الاسبانية (1) وقد عرف النحاة العرب القدامى نطقين مختلفين لحرف الراء : نطق الراء ”مفخمة“ ونطقها ”مرقمة“. فالراء المرقمة هي راء عادية واما الراء المفخمة فذات نطق خاص فصوتها اقوى من صوت اختها اذ تنطق كما لو كانت مضاعفة (انظر سيويه II ص 289-293 والزمخشري، ابن يعيش IX ص 61-62) وقد اعتنى هؤلاء النحاة اعتناء كبيرا بضبط الحالات التي تكون فيها الراء مفخمة واليك اهم ما جاء في هذا الباب (2) .

يتولد تفخيم الراء عن الجوار الصوتي فهو اذن ظاهرة مقيدة. وسبب حدوثه الاساسي هو جوار الفتحة او الضمة او الحروف المستعلية اي الطاء والظاء والصاد والضاد والقاف والخاء والغين. واما الاسباب التي تمنع ظهوره والتي تنزع اذن الى ظهور الراء المرقمة فهي بخلاف ذلك جوار الكسرة أو الياء وهي نصف حركة مجانسة للكسرة. ولننظر الآن في تفاصيل هذه الظواهر :

تكون الراء مفخمة اذا كانت متبوعة بالفتحة او بالضمة او بحرف من حروف الاستعلاء وهي الطاء والظاء والصاد والضاد والقاف والخاء والغين على شرط ان تكون هذه الحروف نفسها متبوعة بفتحة او بضمة. وتكون الراء بخلاف ذلك مرقمة اذا كانت متبوعة بكسرة او بالياء نصف الحركة.

واذا كانت الراء متبوعة بحرف مستهل تعلق التفخيم او الترقيق بالحركة السابقة. فكان التفخيم اذا كانت هذه الحركة فتحة او ضمة وكان الترقيق اذا كانت كسرة .

واذا كانت الراء متبوعة بحرف مستعل متبوع هو الآخر بكسرة جاز الترقيق والتفخيم الا ان الترقيق اكثر .

- (1) بينما الراء الفرنسية الباريسية هي بخلاف ذلك من نوع جد مختلف وتنطق بدعك الهواء بين ظهر اللسان وبين اقصى الحنك أو غشائه فهي اذن من جنس الغين لا من جنس الراء المكررة العربية .
- (2) انظر التلخيص الجيد لهذه المسألة الذي قام به : آ . بريتلز (O. Pretzl) بعنوان « علم التجويد » (Die Wissenschaft der Koranlesung) والذي صدر في مجلة اسلاميكا (Islamica) IV (1934) ص 326 .

وبمقتضى هذه القواعد قرأوا بالتفخيم "الرحمن" و"كبر" و"يفكر" و"يروح" و"قرطاس" و"مرصود" و"مرسول" و"مرتصف". وبخلاف ذلك فقد قرأوا بالترقيق "قريب" و"مريم" وترددوا في قراءة "فرق" مثلاً بين تفخيم الراء وترقيقها .

ومما ينبغي ملاحظته ان التفخيم ينتج عما يتبع الراء من حروف اكثر مما ينتج عما يسبقها منها. وقد بسط القارىء المشهور وَرْش نظرية مخالفة شيئاً ما (انظر أ. بريتزل "علم قراءة القرآن" ص 326-328) ومهما يكن من حال فالراء المفخمة والراء المرققة انما هما في العربية القديمة مجرد عوضين تعاملين لصوت واحد فالتمييز بينهما له قيمة من حيث النطق فقط وليس من حيث علم وظائف الاصوات .

ويكاد لا يطرأ على الراء من التغييرات المطلقة شيء ولا يطرأ عليهما من التغييرات المقيدة فيما يبدو الا شيء قليل من الادغام .

ولن نذكر الا ادغام الراء في اللام (ل ← ل) ويعتبر كثير من النحاة هذا الادغام خطأ الا اننا نجده عند بعض القراء فقد كان يعقوب الحضرمي يقرأ "يَغْفَلَكُمْ" عوض "يَغْفِرْ لَكُمْ" (ق XLVI 30) وعن ابي بكر بن مجاهد ان ابن العلاء القارىء المشهور كان يقرأ "فَأَغْفِلْنَا" عوض "فَأَغْفِرْ لَنَا" (ق III، 14) و"سَخَلَكُمْ" عوض "سَخَّرَ لَكُمْ" (ق XXII، 64) مع اسقاط حركة الراء (انظر الزمخشري، ابن يعيش؛ X، ص : 143)

ولا يطرأ على الراء في الالسن الدارجة العربية من التغييرات المطلقة الا تغيير واحد يمكن اعتباره حقيقي الاهمية : وذلك التغيير هو نزعة الراء في بعض لهجات الحضرة الى الانقلاب غينا (1) وقد شاهدت بنفسى هذه الظاهرة عند مسيحيي بغداد كما ذكر بعضهم انها موجودة ايضا في كثير

(I) نجد تطوراً مماثلاً في اللغة الفرنسية فلم ينطق الراء الفرنسي في السابق نطقه اللهوى الذى هو نطقه اليوم . فقد كان فى الماضى ينطق مكرراً كالراء الايطالى والاسبانى ولم يصير راء لهوىة فى مجموع فرنسا تقريباً الا ابتداء من القرن الثامن عشر فقط .

من لهجات الحضر بالمغرب الاقصى وخاصة بمدينة فاس. وقد بقيت المقابلة القديمة بين الراء المفخمة والراء المرفقة في اللهجات العربية العصرية وبقيت هذه المقابلة بالشرق مقابلة صوتية بحث لا خاصة لها من حيث تمييز المعاني. واسباب التفخيم عندهم مما ثلثه لاسبابه في العربية القديمة فاتصال الراء بحروف مفخمة او بحركات خلفية (اي الضمة والضمّة نصف المغلقة (O) والفتحة) يتتبع عنه تفخيم بينما اتصّالها بالحروف المرفقة او بالحركات الامامية (الفتحة الامامية الممالاة امالة متوسطة والفتحة الممالاة إمالة شديدة والكسرة (i, e, a) يتتبع عنه الترقيق (انظر "ماتسون" (Mattsson) "لهجة بيروت العربية العامية" : ص 68-70 " وفغالي" : "كفر عبيدة" ص 69 وكانتينو "لهجة تدمر" ص 54-56 و"لهجات البدو"، ا ص : 21-25)

واما بالمغرب فالامر بخلاف ذلك اي أن تاثيرات قياسية كثيرا ما تخفي اصل التفخيم وأن لمقابلة الرايين قيمة تمييزية بلغت من الوضوح درجة تجعل من الجائز ان نقول ان هنالك صوتين اثنين من نوع الراء. الراء البسيطة والراء المفخمة فقد يختلف اللفظان المتماثلان تماثلا تاما فيما عدا الراء بسبب وجود راء عادية في احدهما وراء مفخمة في الثاني. ومن امثلة ذلك قولهم دار (dār) بالترقيق (ومن المحتمل ان يكون ذلك قياسا على المضارع يدير (idīr) بالترقيق بمعنى "عمل" وقولهم "دار" (dār) بالتفخيم بمعنى "أبدل وجهته" (ويحتمل ان يكون ذلك قياسا على يدور (idōr) بالتفخيم) ومن ذلك قولهم "برد" (brad) بالتفخيم اي : استعمل المبرد (من العربية الفصحى بَرَدَ ؟) وقولهم "بَرْد" (bred) ضد سخن (من العربية القديمة بَرَدَ عوض بَرْدَ ؟) ... وفيما يتعلق بالراء المفخمة بافريقيّا الشمالية : انظر و. مارسى "اولاد ابراهيم ص 25-26 و"كوهين" "لهجة يهود الجزائر" ص 53-54 و أ. فيشر "صوتيات العربية المغربية ص 8. تعليق عدد 2.

ولا يطرأ على الراء في الالسن الدارجة العربية العصرية من التغييرات المتقدمة الا شيء قليل ونكتفي بذكر بعض عمليات التباين التي تبادل بمقتضاها الراء نونا بجوار راء اخرى او حرف خيشومي من ذلك "كرسار" (corsar)

تصير "قَرَّصَان" (qarṣān) في "ألف ليلة وليلة" ولهجة المغرب العربي) ومنه "جِنْرَال" (général) تصير "جِنْنَار" (gennēnār) في العربية المصرية وكذلك امريكان (amérikan) تصير : "مَلَكَان" : (malakān).

واما فيما يتعلق بكلمة "رَجُل" التي اصبحت "إِجْر" (eġer) (عند بعضهم) فانظر ما بعد هذا ص 84 . ومن الادغام نذكر ادغام الراء في اللام في قولهم نَدِيلُكَ (ndīllek) عوض "نَدِيرُكَ" (endir lek) (اي اعملُ لك) وكذلك "دَالَّة" (dāllāh) عوض "دَارَلَه" (dār lāh) اي عَمَلْ له (انظر و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 27)

2 - اللام الانحرافية

كان في اللغة السامية حرف مائع انحرافي هو اللام.

واحتفظت اللغة العربية القديمة بهذا الحرف خالصا. ومخرجه هو جميع حافة اللسان بينه وبين ما يليه من مقدم الحنك الاعلى فويق الضواحك والانياب والثنايا. ولهذا الحرف نطق خاص يسمى "الانحراف" ذلك ان اللسان ينحرف عند النطق به بان يعتمد طرف اللسان على المخرج المذكور اعلاه فيجري الهواء من جانبيه: ولذلك سماه علماء الاصوات الاروبييون حرفا "جانبيا": (Latérale)

ولا يطرأ على اللام في العربية القديمة من التغيرات المطلقة الا شيء قليل من ذلك ظهور حرف الميم عوض اللام في اداة التعريف في لهجة قبيلة طي وفي لهجات اليمن وكان النَّمِير بن تولب يذكر الحديث التالي عن النبيء "لَيْسَ مِنْ أَمِيرٍ أَمْصِيَامٌ فِي أَمْسَقَرٍ" (الزمخشري ابن يعيش : X ، ص : 33) الا انه لم يقم الدليل بعد على ان هذه الميم مبدلة من اللام واكبر الظن ان هذه الميم هي عنصر آخر من عناصر اسم الاشارة (بروكلمان : المختصر" : 1 ، ص : 137). وبخلاف ذلك فكما ان النحاة العرب كانوا يميزون بين الراء المفخمة والراء المرقمة

فقد كانوا يفرقون أيضا بين اللام "المُعْلَظَة" واللام "المُرَقَّعة" (1) وقد اتفقوا كلهم على ان اللام المضعفة في اسم "الله" تنطق مغلظة وجوبا اذا كانت مسبوقة بضمة او بفتحة ومرققة وجوبا اذا كانت مسبوقة بكسرة. وهكذا فيجب قراءة "رَحْمَة اللهِ" و"حَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ" بتغليظ لام "الله". و"بِسْمِ اللهِ" بترقيقها. وعلاوة على ذلك فقد جاء في كتب التجويد وخاصة في كتاب التيسير للداني وكتاب الكافي للاندلسي بعض القواعد فيما يتعلق بتغليظ اللام وبتريقها في سائر كلام العرب واليك اهم هذه القواعد نقلا عن أ. بريتنزل (O. Pretzl) .

(1) اذا كانت اللام مسبوقة مباشرة باحدى الحروف المطبقة الاربعة وهي الصاد والطاء والضاد والظاء وكانت متبوعة بفتحة او بضمة لزم التغليظ. فيجب اذن قراءة "فَصَلِّ" و"نَطَلْبُ" و"أَضَلَّنَا" و"أَظَلَّم" بتغليظ اللام.

(2) واذا كان بين الصاد والطاء فقط (اي باستثناء الضاد والطاء) وبين اللام فتحة وكانت اللام متبوعة بفتحة (باستثناء الضمة) جاز التغليظ نحو: "صَلَاة" و"طَلَبُ" تُقرآن بتغليظ اللام .

(3) واذا كانت اللام مسبوقة او متبوعة بكسرة بطل التغليظ ويبدو ان ثمة نطقا وسطا بين التغليظ والترقيق ويكون ذلك النطق اذا توفرت الشروط المذكورة اعلاه (في باب ثانيا) وكانت اللام مضعفة او متبوعة بضمة نحو "صَلَّى" و"طَلَّقَ" (بلام وسط بين التغليظ والترقيق) ومن هنا نرى ان تغليظ اللام لا يتولد الا عن وجود الحروف المطبقة فقط وعلى شرط الا تعاكسه الحركات المجاورة. وهو كتغليظ الراء ذو أهمية صوتية صرفة ولا وظيفة تمييزية له بين المعاني . وتطراً على اللام التغييرات التالية :

اذا كانت اللام بجوار لام اخرى جاز ابدالها نونا تباينا فقد ذكر

(I) انظر فيما يتعلق بهذه المسألة أ. فيشر (A. Fischer) : « في نطق اسم الله » : مجلة اسلاميكا (Islamica) (1924) I ص : 544 - 547 . وكذلك « مجلة الجمعية الملوكية الآسيوية » (JRAS) : 1931 ، ص 847 وكذلك أ. بريتنزل (O. Pretzl) « علم قراءة القرآن » ، مجلة اسلاميكا : ٧١ (1934) ص 326 و 330 - 328 .

النحاة "لَعَنَّ" عوض "لَعَلَّ و" لاِبْنِ فَعَلَتْ كَذَا" عوض "لا بَلْ فَعَلَتْ كَذَا". الا ان الادغام اكثر في اللام من التباين بكثير. فمن المشاع ان لام اداة التعريف تدغم في 13 حرفا اولاً في الكلمة منها عشرة احرف اسنانية هي التاء والذال والطاء والنون والتاء والذال والطاء والسين والزاي والصاد ومنها حرف التكرير المائع وهو الراء وحرف الانحراف وهو الضاد وحرف مشاشا هو الشين. ويجوز ادغام اللام اذا وقعت طرفاً في اول حرف من حروف الكلمة الموائية اذا كان هذا الحرف احد الاحرف الثلاثة عشر المذكورة. ويقع ذلك بالخصوص في لام "بَلْ" و"هَلْ" (انظر الزمخشري ابن يعيش X ، 140-143) من ذلك ان جميع القراء يقرأون بادغام اللام في الراء قوله "بَرَّانَ" (ق LXXXIII 14) عوض "بَلْ رَانَ" وقد قرأ حمزة والكسائي (بادغام اللام في التاء والتاء والسين)

• بَتُّوْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (ق : LXXXVII ، 16) عوض "بَلْ تَوْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"

• هَشُوبَ (ق : LXXXIII ، 36) عوض "هَلْ ثُوبَ"

• بَسُوْلَتٌ (ق : XII ، 18 ، 83) عوض "بَلْ سَوَلَتْ"

وقرأ الكسائي وحده (بادغام اللام في الطاء والنون والطاء والزاي والذال)

• بَطَّعَ (ق : IV 154) عوض "بَلْ طَبَعَ"

• بَبْتَبِعْ مَا لَقِينَا (ق : II ، 165) عوض "بَلْ تَبِعْ..."

• بَطَّنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ (ق: XLVIII، 12) عوض "بَلْ طَنْتُمْ..."

• بَزَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا (ق : XIII ، 33) عوض "بَلْ زَيْنَ..."

• بَدَّلُوا (ق : XLVI ، 27) عوض "بَلْ ذَلُّوا"

وفي اعتقادنا ان هذا النوع من الادغام كان اكثر وقوعاً في لغة الحديث اليومي ولا سيما في اللهجات القديمة على ان سيويه (II ، ص 467) قد لاحظ ان عدم الادغام في نحو "هَلْ رَأَيْتَ" كان من خصائص لغة الحجاز.

وقد احتفظت الاسبان الدارجة العربية العصرية بحرف اللام عادة احتفاظا كاملا. ونجد التمييز بين اللام المفخمة او المغلظة وبين اللام المرققة في كثير منها ولم تدرس هذه الظاهرة الى حد الآن دراسة كاملة. بيد انه يبدو ان تفخيم اللام يتولد عن جوار الحروف المطبقة والحروف اللهوية وان جوار الحركات الخلفية لا يكفي لذلك (انظر ملاحظاتي بخصوص هذه المسألة في "لهجة تدمر العربية" 1، ص 51-52) وفي "لهجات البدو الرحل" (1، ص : 21-22) وفي "لهجات حوران العربية" الاطلس - الخرائط عدد 15 و 16 و 17 و 18) من ذلك قولهم بالتفخيم "صَلَا" (sala) اي : "صَلَاة" "وَطُولُ" (إِتَا) (وَطَلَاق) (tālāq)

ويبدو ان تفخيم اللام في الشرق اكثر في لهجات البدو الرحل منه في لهجات الحضر. وينقسم فلاحو حوران انفسهم (وهم من البدو الذين انقلبوا حضرا منذ عهد قديم) الى فريقين فريق اسمهم "ناس الفلّابيا" (nās el-gullāye) (بتفخيم اللام) و"الفلّابيا" عندهم مقلاة من الحديد المقصود يتخذون فيها البرغل مسقيا بالسمن، واللام عندهم هي كلام كثير من البدو الرحل مفخمة فيقولون : بَصَلَه (baṣala) وَبَغْلَه (baḡla) وَنَخَالَه (nḡāla) وَطَوَالَه (twāla) (وهي المغلظة). الخ كل ذلك بتفخيم اللام. وفريق ثان اسمهم "ناس الفلّابيا" (nās el-gōllāye) (بترقيق اللام) واللام في لهجتهم كلام فلاجي سهل دمشق وهرمون (l'Hermon) ذوى الاصل الحضري لام مرققة دوماً او تكاد فيقولون : بَصَلَى (baṣale) وَبَغْلَى (baḡle) وَنَخَالَى (nḡāle) وَطَوَالَى (twāle) (بترقيق اللام وامالة الفتحة الاخيرة)

ومثل هذه المقابلات موجودة في افريقيا الشمالية. فمن المعروف ان صغار البدو الرحل التليين يقولون : "فَلَّاب" (galb) بتفخيم اللام بينما يقول البدو الرحل الصحراويون : "فَلَّب" (gālb) بترقيقها. وعلى من يتبني النظر في مسالة تفخيم اللام في اللهجات الجزائرية ان يرجع الى: و. مارسى "اولاد ابراهيم" ص 25، والى م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 54-55؛ وينشأ التفخيم عندهم عن جوار حروف مفخمة اخرى الا انه ينشأ احيانا عن اسباب نفسية وقد يحدث بدون

سبب ظاهر. وتفخيم اللام عكس تفخيم الراء تفخيم يكون - فيما يبدو دائما صوتيا وليد له قيمة تمييزية بين المعاني .

ويظهر ان التغييرات المطلقة التي تطرأ على اللام قليلة جدا وبخلاف ذلك فان التغييرات المقيدة من تباين وادغام كثيرة جدا. ويكون التباين في الكلمة الواحدة او في جزء واحد من الجملة اذا كانت اللام مجاورة لراء أو لنون او لميم او للام اخرى. فاذا كانت في جوار الراء ابدلت تباينا نونا او ميم (اذا كان بعد الميم حرف شفوي) من ذلك قولهم في كثير من اللهجات الشرقية : "بَسُّور" (bennūr) عوض بلسور الفصيحة وقول اهل تونس "جُبْرَائِيل" (Žubrāʿīn) عوض "جَبْرَائِيل" وقولهم في اكثر اللهجات السورية الفلسطينية : "امْبَارَح" (embareh) عوض "الْبَارِح" في الفصحى. واذا كانت اللام بجوار النون او الميم ابدلت تباينا اما نونا واما راء نحو قولهم في كثير من اللهجات "اسْمَاعِين" (Ismāʿīn) عوض "اسْمَاعِيل" وميخائيلين" (Mīḫāʿīn) عوض "ميخائيل"، الا ان اهل اللهجة العراقية يقولون: "قُنْصُر" (qonsur) في قنصل (من الفرنسية consul) .

واذا كانت اللام بجوار لام اخرى تباينت ايضا اما نونا او راء. من ذلك قولهم في مقاطعة وهران وبالمغرب الاقصى "سَنَسْلَة" (sensla) في "سَنَسْلَة" الفصيحة وَزَنَزَلَة (zenzla) في "زَنَزَلَة" الفصيحة وقولهم: "كُرْغُلِي" (qörögli) في كَلُوغُلِي (من التركية : كَلْ أَعْلُو (kul oğlu) (انظر و. مارسي "تلمسان" ص 33، 96 و"اولاد ابراهيم" ص 28 و م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر ص 86-89) ونجد الى جانب هذه الامثلة التي تتباين فيها اللام بجوار الراء واللام والميم والنون امثلة اخرى يحدث فيها بخلاف ذلك تقريب بين منفصلين في حالة تجاوز اللام والراء من ذلك قولهم في مصر: "رَاخِر" (rāḫar) اي الآخر ومنه قولهم في تونس "ابْرِير" (ibrīr) في اِبْرِيْل (ibrīl) من الابطالية (aprile) (انظر بروكلمان "مختصر 1 ، ص 178)

كما ان ثمة امثلة تدل على ان اللام سقطت من الكلام تماما نحو قولهم الشائع في العربية الدارجة بالمغرب العربي "فَاتْلَك" (gātlek)

وَقُتِلَهُ (gutläh) وَفُتِلُو (gutlo) وهي في الفصحى "قَالَتْ لَكَ" و"قُلْتُ لَهُ" ونحو قولهم في الاكثر بالجزائر "لُومَنَامِسْ" (lūmnāmes) اي في الفصحى : "الأوَّلُ مِنْ أَمْسْ" (قارن هذا بما جاء عند و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص 28) .

واما ادغام المتصاين فيمكننا القول بان اللام وخاصة لام اداة التعريف ليس تدغم في ننس الحروف التي ادغمت فيها في العربية الفصحى فقط بل وايضا في حروف اخرى. ومن المسائل الهامة بالخصوص مسألة ادغام لام "أل" في الجيم الواقعة اولا او عدم ادغامها فيها. فاذا نطقت الجيم حرفا مشأشأ مجهورا (اي كالجيم التونسية) كان الادغام مطردا او يكاد (مثله في ذلك مثل ادغام لام "ال" في الشين المشأشأ المهموس) .

الا ان و. مارسي قد لاحظ في: "ثلاثة نصوص من حامة قابس" -ص: 231 أن هذا الادغام لا يلزم في لهجة تلك القرية الا اذا كانت الجيم اول عنصر من مركب حرفي (اي متبوعة بحرف آخر أو اكثر) نحو: "اجبَلْ" (ež-žbäl) (عوض الجبل) وبخلاف ذلك فان هذا الادغام يصير جائزا فقط فيجوز وقوعه كما يجوز عدم وقوعه اذا كانت الجيم الاولى من كلمة ما متبوعة بحركة نحو قولهم: "إجْر" (ež-žar!) بالادغام والجر (el-žar!) بعدم الادغام ومعناه: "قِسْمٌ مِنَ الوَاحَةِ" واذا نطقت الجيم شديدة وبزيادة رخوة اي "دَج" ادغمت في جهات ولم تدغم في جهات اخرى فيبدو حسب ما يمكننا الحكم به الآن ان لام "ال" لا تدغم في المغرب. واما بالشرق فيبدو بخلاف ذلك - وفي نطاق المعلومات التي لدينا - ان هذا الادغام مُطَرَّد نحو: "ادجِبَلْ" (eğ-ğäbäl) بيد ان ل. باور (L. Bauer) يلاحظ في كتابه "عربية فلسطين" (Das Palastinische Arabische) الطبعة الرابعة، ص: 5 "ان المثقفين من سكان المدن يجتنبون هذا الادغام فيقولون مثلا: "الدَجْو" (el-ğaw) والدَجْمَلَة (el-ğumle) (بدون ادغام). ونلاحظ الى جانب ادغام لام "ال" في الجيم التي في اول الكلمات ادغاما مماثلا للام "ال" في حرف "تَشْ" المتولد في بعض اللهجات عن كاف قديمة نحو قولهم "اتشَلْب" (اي الكلب) (eč-čalb) .

ومن ناحية اخرى يجوز ادغام لام "ال" في بعض الحروف الاخرى كمنسي الكاف مثلا في قولهم الشاعر : أَكُلُّ (ökkul) (اي أَلْكُلُّ) (انظر و. مارسى "اولاد ابراهيم" ص 28 و ك. بروكلمان مختصر 1 ، ص 176) وكفي القاف المصرية المتولدة عن الجيم نحو "افزَار" (eg-gäzzār) (اي الجزائر) (بروكلمان : نفس المرجع)

واخيرا فان من اللهجات العربية كلهجات القبائل الصغرى بالجزائر مثلا. ما تدغم فيه لام "ال" في الحروف الشفوية والاقصى حنكية ادغاما مطردا .

وإذا استثنينا لام "ال" لاحظنا ان ادغام اللام في حرف بعدها قليل جدا. الا انه يجدر الاشارة الى ادغام اللام في النون (لن ← ن) في نحو : "فُنَا (gunna) (اي قلنا ونَا (nna) (اي لِنَا اي لِنَا) ويحدث مثل ذلك في اللام المتبوعة بالراء (لر) فقد ذكر و. مارسى في "اولاد ابراهيم" ص 27 : الجملة التالية : "يُدَخَّرُ رُوحَهُ فِي قَلْبِي" (Idahher rōḥah fi-gölbī) (اي يُسَدِّخِلُ رُوحَهُ فِي قَلْبِي : أي يحاول أن يَسْتَمِيلِنِي) وكذلك في اللام المتبوعة بالشين (لش) نحو : "مَا يَأْكُشْ" (mā yākušš) (اي مَابَا كُكُشْ (mā yākušš) (اي لا ياكل) (و. مارسى نفس المرجع) وكذلك في اللام المتبوعة بالتاء (ل ت) نحو : "فُتْلَهُ" (gutlāh) (في فُتْلَهُ) (اي قُلْتُ لَهُ) (و. مارسى نفس المرجع ص : 28).

ومن أغرب ما يجد في هذا المضمار ما جد في كلمة "رَجُلٌ" الفصيحة فقد طرا عليها في كثير من اللهجات السورية - الفلسطينية تقريب بين منفصلين ثم تباين فصارت : "ادَجْرٌ" عن طريق صيغة اخرى محتملة هي "رِدَجْرٌ". (reḡr → eḡr)

3 - الضاد الانحرافية :

بدو انه كان في السامية ثلوث من الحروف الشديدة الاسانية ذات زائدة انحرافية هو :

ت₂ — (دل)
د₂

ويظن أن مخارج هذه الحروف كانت جد أمامية وأن شدتها كانت ضعيفة وانها لم تكن تفرع بين طرف اللسان متجاфия عن الحنك بل عند حافتي اللسان فكان يحدث عن ذلك في السمع نوع من اللام. ومثل هذه الحروف موجودة في كثير من لغات هنود أمريكا الشمالية وبعض اللغات الافريقية وبعض لغات "القوقاس".

وقد تفكك هذا الثالوث في اللغة العربية القديمة فقامت ال "ت₂" المهموسة شينا (انظر ما بعد هذا) .

ولم نعر على ممثل معروف لـ : "د₂" المشكوك في وجودها في السامية وبخلاف ذلك فان "د₂" المنخممة قد بقيت في اللغة خالصة مدة ما وستبتهها على سبيل التيسير : (d) أي : ض .

وعن النحاة القدامى أن هذا الحرف من خصائص العربية وحدها وان الاعاجم لا قدرة لهم على النطق به (وفعلا فان الحروف الشديدة الاسنانية الانحرافية عسيرة في النطق على من ليس في لغته التومية من هذه الحروف شيء) .

ويسمى العرب "الناطقين بالضاد" "وروي عن النبيء قوله : "انا افصح من تكلم بالضاد". وقد وصف النحاة العرب النطق بالضاد وصفا حسنا كافيا نوعا ما. فمخرجها هو "اول حافة اللسان وما يليه من الاضراس" (سيبويه : 11 ، ص : 543، والزمخشري ابن يعيش : X ، ص : 124 - 125) ويجوز نطقها من الجانب الايمن أو من الجانب الايسر الا أن نطقها من الجانب الايمن أصح. وهذا يثبت اذن أن الضاد حرف انحرافي ومن جهة اخرى فقد نعتوا الضاد بانه حرف رخو مطبق وبانه ليس له مقابل منفتح (سيبويه : 11 ، ص : 454 - 455) واخيرا فقد أضافوا الى هذا الحرف صفة خاصة هي : "الاستطالة" بسبب استطالة مخرجه (انظر هول (Howell) كتاب النحو العربي : IV ص : 1707-1709) . على ان هذا التحديد ليس كافيا تمام الكفاية اذ يجوز معه التردد في نطق هذا الحرف بين : "ذ₂" (d) و "ظ₂" (d) و "ز₂" (z) (اي بين دال منخممة ذات زائدة لامية وبين الظاء ذات

الزائدة الانحرافية وبين الزاي المفخمة ذات الزائدة الانحرافية الا ان اتجاه تطور هذه الاحرف لا يترك لك أي شك في هذا الصدد فالنطق القديم كان : "ظَلَّ" اي ظاء ذات زائدة انحرافية. أي بتقريب طرف اللسان من الثنابا كما في النطق بالظاء وبان يجري النفس لا من طرف اللسان فقط بل ومن جانبيه أيضا (1).

ومنذ القديم كان هذا الحرف المعقد العسير على النطق عرضة للتغيير. فقد ذكر النحاة القدامى منذ عهدهم نطقا مستهجنا لهذا الحرف اسمه الضاد الضعيفة (سيبويه : II ، ص 452) وفي شرح السيرافي للكتاب ان هذه الضاد الضعيفة كانت تنطق كالظاء او بين الضاد والظاء وأقل من ذلك ابدال الضاد لاما في نحو ما ذكروه من قول الشاعر منذور بن حبة الأسدي في نصف بيت من قصيدة :

”مَالَ إِلَى أَرْطَاةٍ حَقْنَفٍ فَالْطَّجَعِ“ اي فَاضْطَجَعِ “ (اِفْتَعَلَ مِنْ ضَجَعِ) (سيبويه : II ، ص : 480 ، والزمخشري ، ابن يعيش ، X ، ص 45-46) ولا يطرأ على الضاد من الادغام الا شيء قليل. فقد اختلفوا في ادغام الضاد في الشين : (ض ش ← ش) فعن ابي شعيب السوسي عن الزبيدي ان ابن العلاء كان يقرأ ”لَبِئْسَ أَنَّهُمْ“ (في لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ : ق : XXIV ، 62) الا أن أكثر الرواة قد رفضوا صحة هذه القراءة ولم يشهد بوجودها الا أبو شعيب المذكور. وعن سيبويه (II ، ص 473) أن ادغام الضاد في التاء (ضت ← ط) جائز نحو ”مُطَّجَعِ“ في ”مُضْطَجَعِ“ (وأصله مُضْتَجَعِ)

(I) انظر فيما يتعلق بنطق الضاد نطقا انحرافيا : ن. يوشمانوف (N. Jusmanov) : « مقابلة الضاد العربية للعين الآرامية » في : « تقارير أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي » ، 1926 . وكذلك انظر م. كوهين في « نشرة جمعية باريس اللغوية » ، 1927 ، تقارير ص 172 . وكذلك انظر ج. س. كولين (G.S. Colin) « تعليقات في دراسة اللهجات العربية » في مجلة : « هسبيريس » (Hespéris) ، 1930 ، ص 91 وما بعدها . وبخلاف ذلك يجدر رفض الافتراضات الواهية التي افترضها ج. فيلانيسيك (J. Vilencik) في « ما هي قيمة الضاد الصوتية في السامية الاصلية » وهو فصل بالألمانية صدر في « الجريدة الأدبية الاستشراقية » (O.L.Z.) ، 1930 ، ص 90 .

وقد صارت الضاد ظاء في الالسن العربية الدارجة العصرية عادة واستوت تماما في الظاءات الأصلية في اللغة. فنشأ عن ذلك كيفيات مختلفة في نطق الضاد مماثلة لمختلف كيفيات نطق الظاء في العالم الناطق بالعربية، فننطق في اللهجات المغربية ظاء ودالا مفخمة وطاء نحو ظَرَبَ (drab) ودَرَبَ (drab) وطَرَبَ (trab) (في ”ضرب“) وكذلك لَرَطَ (lard) ولَرَدَ (lard) ولَرَطَ (lart) (في الارض) واثر هذا النطق المختلف للضاد في اللهجات على نطقها في العربية النصحي (مثله في ذلك مثل اللغة اللاتينية واختلاف النطق بها باختلاف الشعوب الناطقة بالانغات الرومانيّة (romanes) (أي المتولدة عن اللاتينية كالفرنسية والايطالية والاسبانية... الخ)

واكثر انواع نطق الضاد في النصحي شيوعا هو نطقها كالظاء اذا كان في لهجة المتكلم حروف ما بين الاسنان وكالدال المفخمة اذا انعدمت من لهجته تلك الحروف . الا أن نطق الضاد نطقا انحرافيا مازال موجودا في بعض جهات قليلة متشتة . من ذلك ما نجده في نقل الألسان للعربية بالأحرف اللاتينية. فقد نقلوا الضاد عادة بواسطة حرف : d (دال) الا ان ثمة بعض الكلمات نقلوا فيها الضاد بواسطة حرفي : ” Id “ (ل د) ” نحو قولهم : ” al-calde; al-calle “ (الكالدي) او (الكليبي) في ”القاضي“ وقولهم : ” al-bayalde “ (البيلدي) ومعناه مادة يبيضاء من مواد الدهن) في ”البياض“ وقولهم : ” ravalde “ (ربلدي) في ربض“ (انظر شتيغر (Steiger) ”مساهمة في دراسة الصوتيات الاسبانية العربية“ : (Contribution à la fonética hispano-arabe) ص : 165). في جنوب الجزيرة العربية وبالخصوص في جهة ”دثينة“ تنطق الضاد كاللام المفخمة فيقولون تتفقل به (tiigalla bah) في تتفقص به (tiigadda bah) (أي تتقصي به) ولووع (lawc) في ضوع ومعناه اصحاب القبيلة الواحدة (انظر لاندبرق (Landberg) : ”حضرموت“ : ص : 637 و ك. بروكلمان ”المختصر“ : 1 ، ص 132) ولم يبق أثر لنطق الضاد نطقا انحرافيا اذا استثنينا اللهجتين المذكورتين اعلاه بملاحظة ان اولى هاتين اللهجتين اي اللهجة الاسبانية - العربية قد انقرضت بعد. وفي الخاتمة فان الضاد صار ظاء أو لاما في الالسن الدارجة العربية العصرية واذن يجوز القول بان هذا الحرف قد خرج من هذه الالسن واضمحل منها .

V = الحروف الادنى حنكية

كان في السامية حرفان أدنى حنكيان هما : الشين المشأشأة والياء نصف الحركة. وخلافا لذلك فان عدد هذه الحروف في العربية ثلاثة هي الجيم الشديدة ذات الزائدة الرخوة والشين المشأشأة والياء نصف الحركة وليس ثمة من بين هذه الحروف الأدنى حنكية الثلاثة الا حرف واحد يمثل امتدادا لمقابله بالذات في السامية . وهذا الحرف هو الياء. واما الجيم فتمثل القاف (g) الشديده الحنكية في السامية مع شيء من تحوير النطق بتقديم مخرجها الى ادنى الحنك. وأما الشين العربية فلا تمثل الشين السامية وانما تمثل حرفا شديدا اسنانيا ذا زائدة انحرافية لامية كان موجودا في السامية وهو : ت₂ (t₂) وسندرس هذه الحروف الثلاثة واحدا واحدا .

1 -- الجيم الشديدة ذات الزائدة الرخوة :

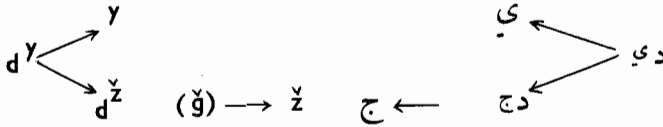
قد سبق لنا ان قلنا (ص : 27) وسنعيد ذلك القول فيما بعد — بان السامية كانت تحتوي على ثلوث من الحروف الشديدة الاقصى حنكية هو :

ك - ف
ق

وقد تقدم مخرج الـ "ف" المجهورة في العربية القديمة تقدا كبيرا بصفة مطلقة ولأسباب نجهلها فصار الى جهة أدنى الحنك. ومعلوم أن الحروف الشديدة الظهيرية (I) الادنى حنكية حروف غير قارة وأن لها نزعة الى التغير بالتليين ثم بعد التليين بان تصير طرفية (ا) مغارزية مائة ايضا ولذا جاز ان نعبر الرسم التالي لتطور هذا الحرف رسما مطردا:

(I) يطلق لفظ « ظهيرية » (Dorsales) على الحروف التي تقرع بظهر اللسان ولفظ « طرفية » (Apicales) على التي تقرع بطرفه . ففي النطق بالظهيرية - الادنى حنكية ينطبق ظهر اللسان على ادنى الحنك وفي النطق بالطرفية - المغارزية (alvéolaires) ينطبق طرف اللسان على مفارز الاسنان وهي أصولها .

ف ادنى حنكية ← ف ي ← د ي (gy → dy) ثم يطراً على : الـ "دِّي" وهو دال ملين مغارزي المخرج نوعان من التغييرات اما بذهاب الشدة فلا يبقى الا مجرد "ياء" او بانقلاب الزائدة الملينة الى زائدة مشأشة فيصير الحرف "دج" ثم يجوز أن يفقد هذا الحرف الاخير شدته فينتهي به المطاف الى مجرد جيم تونسية على النحو التالي :



وليس من اليسير أن نقول إلى أية مرحلة من هذا التطور قد وصل هذا الحرف في العربية القديمة ولا بد أنه كان يوجد ما يوجد الآن من اختلافات ذات بال في النطق من لهجة الى لهجة. وقد عرفوا الجيم بالنسبة الى العربية الفصحى بأنه حرف شديد حنكي ظهري (... "وسط اللسان" : سيوييه : II ، ص 453 والزمخشري ، ابن يعيش : X ، ص : 124) الا أن النحاة القدامى لم يقولوا لناهل كان في الجيم تليين أو زيادة رخوة ولا يذكرون إلا نطقين "مستهجنين" للجيم هما الجيم التي كالكاف نحو "كَمَل" في "جَمَل" و "رَكَل" في "رَجُل" وذلك من لغة اليمن ولغة بغداد. والجيم التي كالشين نحو "اشتمعوا" في "اجتمعوا" و "الأشدر" في "الأجدر" (سيوييه : X ، ص 452) والزمخشري ، بن يعيش : X ، ص 125 و 127). الا أن الجيم حرف مجهور والحروف المجهورة المقابلة للكاف والشين معدومة في الكتابة العربية ولذا لزمنا أن نفهم من ذلك كما فعل برافمان : ("مواد" ... ص 40) ان هذين النطقين المستهجنين هما الجيم التي كالكاف (الجيم في مصر) والجيم التي كالجيم في تونس اي "قَمَل" (gamal) و "رَقَل" (ragul) من جهة "والأجدر" (جيم تونسية) من جهة اخرى. فاذا طرحنا هكذا نطق الجيم كالجيم المصرية وكالجيم التونسية واذا طرحنا كذلك نطقها : "دِّي" (دال ملينة يياء خفيفة) و "دج" (دال ذات زائدة هي جيم تونسية خفيفة كما في الجزائر) - وذلك لأن مخرجها هو ظهر اللسان وليس طرفه - بدا لنا أن هؤلاء النحاة كانوا

يعتبرون أن نطق الجيم الصحيح الوحيد هو نطقها : "فَي" (1) (g)
 (أي جيم مصرية متبوعة بزائدة يائية خفيفة) إلا ان مختلف الكيفيات
 المحلية الدارجة في نطق الجيم قد أثرت في قراءة العربية الفصحى شأنها
 في ذلك شأن الضاد. وأكثر النطق شيوعاً فيما يتعلق بالجيم هو أن تنطق
 "دَج" أو "ج" (تونسية) في قراءة اللغة الفصحى.

وعلاوة على الجيم التي كانت تنطق كالفاف (أي كالجيم المصرية)
 وكالجيم التونسية - وهما نطقان موجودان أيضاً في العربية الدارجة -
 فقد بطراً على الجيم بعض التقريبات وبعض الادغامات. من ذلك أن الجيم
 إذا كانت قبل التاء ابدلت شينا تقريباً نحو قولهم "اشتمعوا" في "اجتمعوا"
 المذكور اعلاه ويذكر النحاة علاوة على ذلك الادغامات الآتية :

ج ش ← ش : نحو "أخْرِجْ شَبَثًا" ← "أخْرِ شَبَثًا" ونحو
 قوله في : (ق : XLVIII ، 29) أَخْرَجَ شَطْأَهُ تَقْرَأُ "أخْرَشَطْأَهُ"
 (باسقاط حركة الجيم (الزمخشري، ابن يعيش : X ، ص 138)

ج ت ← ت وهو ادغام ذكره الزمخشري (نفس المرجع) عن اليزيدي.
 واليزيدي ينسب هذا الادغام على ما فيه من الغرابة إلى ابن العلاء في قوله (ق : LXX
 3-4) "ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ" تقرأ : ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ" باسقاط حركة الجيم.

ج ز ← ز : ذكره ياقوت : (II ، ص 204) ونسبه إلى لغة
 العوام في قولهم "حُزَّةُ السَّرَاوِيلِ" في "حُجْزَةُ السَّرَاوِيلِ".

ونجد في الألسن الدارجة العربية العصرية أنواعاً مختلفة من نطق
 الجيم هي الأنواع التالية :

• نطقها كالفاف (g) (وسط حنكية أو أقصى حنكية) في مصر حيث
 يقول النَّاسُ "قَبَلٌ" (gabal) (في جبل) و "نَقْمٌ" (negm) (في نجم)
 و "أَفَّ" (aga) (في جاء) ومثل هذا النطق موجود في عُمان على ما يبدو.

(1) انظر فيما يتعلق بنطق الجيم بروكلمان « مختصر » ، ص 222
 و « فولارس » اللغة الدارجة ٠٠٠ ص II (ويعتبر فولارس نطق الجيم
 دى فى العربية الفصحى مناقض لوصف النحاة العرب لها) و . مارسى
 دائرة المعارف الاسلامية فصل « جيم » ، ص 1075 - 1076 .

• نطقها : "فئي" (gɣ) (ادنى حنكية وملينة تليينا خفيفا وكثيرا ما يعسر التمييز بينها وبين "دئي") موجود عند البدو الرحل في شمال الجزيرة العربية وخاصة عند عشيرتي شمر وعنز (انظر "دراساتي في لهجات بعض البدو الرحل" : 1 ، ص 25-26، نحو قولهم "انعقيته" (nʕagɣa) (في نَعَجَة) و"فيسبته" (gɣabha) (في جَبْهَة) و"فئفن" (gɣefen) (في جَفَن) والى جانب نطق الجيم "فئي" نجد في نفس هذه اللهجات البدوية نطقا آخر ايضا يظهر في ظروف ما زالت غامضة وهو نطق الجيم "ف" (g) نحو قولهم "رقل" (regel) (في رجل) و"قلد" (geld) (في جلد) ويبدو ان نطقا مماثلا لهذا موجود في قسم من اليمن (انظر أ. روسي) (E. Rossi) في دراسته باللغة الايطالية "تعليقات حول دراسة لهجة اليمن" : (Appunti di dialettologie del Yemen) ص 7 (في مجلة الدراسات الشرقية : (R S O) : XVII ، ص 236) .

• نطقها كالياء (وقد تصير هذه الياء كسرة) وهو موجود عند عدد من قبائل شمال الجزيرة العربية كقبيلة السردية وبني صخر والفحيل والسرحان والشرارات وكذلك عند حضر تيماء ودومة الجندلية (جوف) وجبة وحابل وكذلك عند بعض قبائل ادنى الفرات. وقد اثبت شخصيا وجود هذا النطق عند بني سرديّة وسرحان وعند سكان جوف وذلك في "دراسات بعض لهجات البدو الرحل" : 1 ، ص 24-25 و II : ص 137-138) والتقطت بعض الامثلة نحو قولهم : يَبْهَة (yabha) ج. إبَاه (ibāh) (في جَبْهَة) وحَايِب (hāyeb) (في حاجب) ويثني على : حَايِبِين (hāibēn) و: رِيل (riyēl) (في رِجْل) ولكنهم يقولون : ريلي (rīli) (في الاضافة الى ضمير المتكلم) ... الخ.

وأكثر أنواع نطق الجيم شيوعا هو نطقها "دج" ونطقها "ج" (اي كالج "ا" في الفرنسية) واليك ما نعرفه فيما يتعلق بالمناطق الخاصة بهذين النطقين :

ففي اليمن تنطق الجيم "دج" وهو اكثر انتشارا من أي نطق آخر: انظر أ. روسي : نفس المرجع. وفي العراق يبدو أن نطقها "دج" يحتل أيضا مكانة هامة وهو النطق الذي سمعته شخصيا في جميع الأماكن التي أجريت البحث فيها .

وفي الصحراء السورية نطق الجيم "دَج" نطق مطرد عند قبائل صغار البدو الرحل مثل الحدّيديين والموالي وبنو خالدٍ ونُعَيمٍ وفَضَل... الخ (بينما ينطقها العنز وشمر : "فُئِي") ونطقها جيما تونسية غير موجود عند البدو الرحل في هذه الجهة على الاطلاق .

وبخصوص سوريا وفلسطين والاردن نجد في الخريطة عدد 2 من "الاطلس اللغوي" لبرغشتريسر توضيحا جليبا للحالة في هذا المضمار. فنطق الجيم في هذه البلاد جيما تونسية نطق مدني نجده في مدن دمشق وبيروت وحيفا ونابلس وبيت المقدس ويافا وغزة... الخ.

ويوجد هذا النطق أيضا في جميع لبنان والجبل الشرقي بسوريا (l'Anti-Liban) وجبل الدروز. وبخلاف ذلك فان نطق الجيم "دَج" أكثر انتشارا في الارياف الفلسطينية والاردنية والسورية.

وأما بافريقيا الشمالية فان الحالة هي عكس ذلك تماما فنطق الجيم جيما تونسية أكثر انتشارا بكثير من النطق الآخر فهو النطق الموجود ببلاد طرابلس وبلاد تونس والمغرب الأقصى (مع ملاحظة أن نطقها "دَج" قد يظهر بمدينة طانجة إذا كانت الجيم مضعفة) وهو النطق المنتشر عند أكثر البدو الرحل ولا يوجد نطق الجيم "دَج" بصفة مطردة الا في قسم من الجزائر كمقاطعة قسنطينة ودائرة السطيف ودائرتي بلديتي جيجلي وفج مزالة المختلطتين وقسم من دائرتي بلديتي بريكة والقنطرة ومدينتي قسنطينة وبجاية. كما يوجد هذا النطق أيضا في مقاطعة الجزائر العاصمة بجميع التل وفي مقاطعة وهران بالجزء التي من دائرة مستغانم وفي قسم من دائرة معسكرة (Mascara) وفي أقصى شرقي دائرة وهران وأخيرا في مدينة تلمسان.

وكل ما ذكرناه إلى حد الآن من مختلف الأنواع في نطق الجيم هو نطق مجهور وإلى جانب هذا النطق المجهور نجد بعض الأنواع القليلة من النطق المهموس وتوجد في مناطق ضيقة محدودة. من ذلك نطقهم للجيم "تَشْر" في تدمر وفي بعض قرى الجبل الشرقي في سوريا نحو : "تَشَار" (cār) (في جَار) "وتَشْمَل" (čämäl) (في جمل)

و"تَشَيْتَشِي" (tšēče) (في دجاجة) و"آتَشِي" (eče) (في جاء... الخ . وتنطق الجيم في واحدة سُخْنَة (بين تَدْمُر والفُرَات) "تُش". من ذلك قولهم "حَيْتَسِب" (hīceb) (في حَاجِب) و"تَسْلِد" (celd) (في جِلْد) و"تَسَيْتَسِي" (tšīcī) (في دجاجة)... الخ ومن الجائز ان يكون هذا النطق المهموس للجيم ناتجا عن تأثير اللغة الآرامية.

وقد يحدث في كثير من اللهجات اليهودية العربية أن تختلط الجيم (ذات النطق التونسي) بالزاي : انظر كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" : ص 24-25 (الجيم المنطوقة : "دج" تصير الى "دز") ويقع هذا الإبدال بالأخص في لهجات يهود مدينتي قسنطينة وتلمسان.

ويطرأ على الجيم علاوة على ذلك تغييرات مقيدة مختلفة وأهمها التغييرات التي تطرأ اذا كان في الكلمة حرف جيم وحرف من حروف الصفير أي السين والزاي والصاد أو حرف الشأأة وهو الشين، فإذا كان الأمر كذلك حدثت عدة ظواهر كالادغام والتباين. وقد تختلف هذه الظواهر من لهجة الى أخرى. :

فاذا اتّصلت الجيم بإحدى الحروف المذكورة وقع الادغام أو التقريب من ذلك "بالجزاف" في الفصحى تصير في اللهجة الجزائرية "بِزَاف" (bezzāf) وكذلك "بِجَزِي" في الفصحى تصير في اللهجات المغرب العربي "بِدِزِي" (yedzi) بل وحتى "بِزِي" (yezzi) وكذلك لفظة "الجزيرة" قد صارت في اللهجات الجزائرية "دزيرة" (dzīra) ومنه لفظ الجزائر الذي صار الى "ادزيرة" (ed-Dzāir) وكذلك لفظتا "جسد" و"جسم" في الفصحى فقد صارتا في لهجات يهود الجزائر الى "تسد" (tsed) و"تسيم" (tsem) والعملية الصوتية التي حدثت في هذه الأمثلة هي عملية تقريب أبدلت فيها الجيم دالا أو تاء بذهاب عنصر الشأأة منها (انظر بروكلمان "المختصر" 1، ص 177 حيث يستشهد بـ : و. مارسي. وانظر م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر ص : 80).

وقد تسقط الجيم إذا وقعت بعد السين (ويحتمل انها صارت أولا إلى الياء ثم سقطت تماما كما في لفظة "مَسْجِد" التي صارت الى "مَسِيد")

(msīd) (انظر الجواليقي "خطأ العوام" طبعه ديرنبورغ (Derenbourg) (Festschrift Fleischer) ص 145-146 و. مارسي "لهجة تلسمان ص 315)

ولئن كان ادغام الجيم أو قلبها إذا كانت بجوار حرف من حروف الشأشأة يقعان أحيانا في كثير من اللهجات العربية فإن وقوعها أكثر في اللهجات الجزائرية بالخصوص. ويمكن ترتيب هاتين الظاهرتين ترتيبا وجيزا كما يلي :

أ - في لهجات البدو الرحل التونسيين وتعرف بلهجات "و" (E)
تبدل الجيم ذات النطق التونسي زايا إذا كان في الكلمة زاي أو سين
نحو: جزّار ← ززار (zāzzār → ḡazzār) وعجوز ← عزوز
(azūz ← aḡūz) أو "عزوزة" (azūza ← zūz) عزوز
(zōz ← zawḡ) (بنطق الضمة كما 0 الممدودة) أو "زوز" (zūz ← zuḡz)
بتسل فتحة مماله خفيفة بين الواو والزاي) أو "زوز" (zūz) (بنطق
الضمة صريحة كما في الفصحى) ونحو "جوزة" التي طارت الى زوزة
(zōza ← ḡawza) (أي بواو منفتحة نوعا ما) وزوزة (zūza) وكذلك
قولهم : "زليز" (zlēz) (أي بياء منفتحة بعض الشيء) وزليز (zlfz)
(أي بياء عادية) في "زليج" وقولهم "زنس" (zens) في "جنس"
و"زبس" (zeps) في "جبس".

وقد امتد هذا النوع من الإدغام الذي يقع بذهاب الشأشأة من الجيم
إلى اللهجات الحضرية بتونس وتوغل نحو غربي الجزائر إلى مسافة لا
بأس بها إلى أن بلغ مدينة قسنطينة ودوائر مدينة سكيكدة (انظر كانتينو
"اللهجات العربية في مقاطعة قسنطينة - الخريطة).

ب) في لهجات البدو الرحل بصحراء الجزائر (لهجات "أ" : A)
تبدل الجيم (ذات النطق التونسي) زايا إذا احتوت الكلمة على زاي أو
سين أو شين وتبدل في نفس الوقت الزاي أو السين جيما تونسية أو شينا
على الترتيب فيقع هكذا تبادل الشأشأة نحو جزّار ← ززار (zāzzār) (1)

(I) ربما وقع غلط مطبعي اذ المفهوم من السياق أن جزار تصير الى زجار .
المترجم

وعجوز ← عزوج (azūz) وجَزَزَ ← زج (zāzz) وجَزَّزَ ← زاجُ (zāz) وجَبَسَ ← زَبْسُ (zebš) وجنس ← زنش (zens) وجاموس ← زاموش (zāmūs) وجيش ← زيش (zeš) (بياء خفية) وجحش ← زحش (zahš) ... الخ (قارن بما ورد في كتاب و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 18)

وقد امتدت هذه الخاصية الغربية من صحراء الجزائر الى الشمال بعيدا فتوغلّت في مقاطعة الجزائر العاصمة حتى بلغت "بروغية" و"بويرة" وفي مقاطعة وهران حتى بلغت ساحل البحر بين مستغانم وبنى ساف (انظر كانتينو "اللهجات العربية بمقاطعة الجزائر" و"لهجات مقاطعة وهران" الخرائط.

وأما اللهجات المغربية فيطراً فيها على الجيم أحد التغيرات الثلاثة التالية (وفي بعض الأحيان تطراً هذه التغيرات الثلاثة كلها في لهجة واحدة) ولم يحدد بوضوح الى حد الآن مركز انتشار كل واحد من هذه التغيرات تحديدا جغرافيا.

1 - تبدل الجيم (ذات النطق التونسي في الوقت الحاضر ولكنها كانت فيما يرجح تنطق "قِي" (g) في هذه اللهجات) تبدل "ف" (g) فيتأخر مخرجها وذلك اذا كان في الكلمة حرف من حروف الصفير نحو قولهم قَزَّار (gazzār) وعشوز (agūz) وفلس (gles) (من جلس وفلس (gens) وفاموس (gamus) و"فيس" (gebs)

وقد يقع ذلك أحيانا إذا كانت الكلمة تحتوي على شين نحو "فيس" (gis) (وهو حرس السلطان) ويوجد نطق من هذا القبيل بالجزائر أيضا بالقسم الغربي من مقاطعة وهران. من ذلك خاصة قولهم "قَزَّار" (gazzār) ومن ذلك أيضا قول المالطيين في لهجتهم "قزيرة" (gziira) (أي جزيرة).

2 - وتبدل الجيم (ذات النطق التونسي الآن ولكنها كانت تنطق "دَج" (g) في هذه اللهجات) تبدل دالا تباينا بذهاب عنصر

الشأشة منها نحو قولهم دَزَّارُ (dāzzar) (جزار) و"دز" (dāz) (من) جَزَّ و"دزة" (dezza) (من جيزة) و"دبس" (debs) (جبس) وداصر (dāser) (بغليظ الدال). (من جآسير) ودَحِشُ (dħeš) (أى جحش) ومن ذلك أيضا كلمة "شجرة" في الفصحى فقد آلت عندهم أولا إلى "سَدَجْرَة" (sāgra) (بإبدال الشين الأولى : انظر ما سيأتي في هذا) ثم في النهاية الى سَدْرَة (sādra) وقد توغل هذا النوع من النطق في الصحراء الوسطى وخصوصا في قُورَة وتُوَاتْ ولكن هذا النطق باستثناء النطق المدرج أعلاه في باب أولا - موجود أيضا بسوريا والعراق (انظر بروكلمان "المختصر" : ج 1 ، ص. 255) وهكذا نفسر قولهم في سوريا "دَشَّر" (dāššar) (بتفحيم الراء) اي : "تَرَكَ" وهو من الفصح "جشَر" (الاناء اي افرغه)

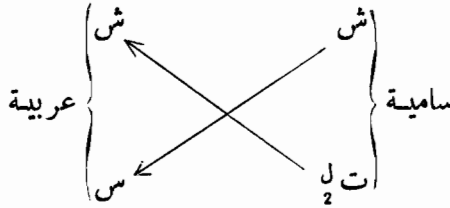
3 - تبقى الجيم على حالها وهو أقل من سابقه وفي هذه الحال يبدل حرف الضمير حرف شأشة نحو قولهم "جُوج" (žuž) وعجوج (cažuž) وججة (žāžža) (اي جزة) وقد توغل نطق من هذا القبيل في لهجات صحراء وهران .

وهكذا ترى مدى تنوع الظواهر الصوتية الطارئة على الجيم إذا كان هذا الحرف مجاورا لحرف من حروف الضمير أو الشأشة في كلمة واحدة ولا تبقى الجيم خالصة في هذه الحال الا في ميدان لهجات البدو الرحل المرموز اليها بحرف ب (B) وفي بعض اللهجات الحضرية (شرقي مقاطعة وهران وشمالى مقاطعة الجزائر وغربي مقاطعة قسنطينة) وإذا كانت الجيم بجوار الدال ابدلت ايضا تباينا من ذلك كلمتا "جديد" و"جدي" فقد آلتا في الأكثر الى جديد (ždīd) وجدي (ždi) حتى في اللهجات التي تنطق الجيم فيها "دج" ولكن هذا الابدال التبايني قد يقع بأن تبدل الجيم فافا (g) من ذلك قولهم "قد" (gidi) (في جدي) في اللهجة المالطية. ويطرأ مثل هذا في كلمة "دجاج" فقد آلت هذه الكلمة الفصحى في اللهجات التي تنطق الجيم فيها "دج" الى "دجَادج" (ḡāḡ) (وقد اشتوا منها قولهم "دجَوَادج" (ḡawwāḡ) ومعناه بائع الدجاج والبيض وهي من لغة مدينتي الجزائر والبليلة).

ولكن قد يحدث. أيضا تبادل الشأسة في هذا المضمار من ذلك قولهم "جَدَادٌ" (ždād) في "دَجَاجٌ" (انظر و. مارسي : نصوص طانجة ص 248) ولم يحتفظوا بصيغة "دَجَاجٌ" (džāž) الا في اللهجات الشمال افريقية التي حارت الجيم فيها الى جيم تونسية منذ عهد قديم.

2 - الشين المشأسة

كان في اللغة السامية حرف مشأسا (هو الشين وقد صار هذا الحرف في العربية الفصحى الى السين) واختلط هكذا بالسين التي أصلها في السامية حرف "تس" وبخلاف ذلك فقد آل الحرف الذي كان في السامية حرفا شديدا مهموسا ذا زائدة انحرافية أي ال "ت₂" آل في العربية إلى الشين ويمكن تصوير هذا الاشتباك بالكيفية التالية :



وقد أطلقوا على هذا التغيير المشتبك اسم "قلب حروف الصفير" (بالألمانية : (Zischlaut verschiebung). متى وقع هذا القلب في حروف الصفير؟ من المرجح أنه جد في أثناء القرون الأولى من العهد المسيحي ويشهد بذلك فيما يظهر بعض التردد في كتابة حرفي الشين وال "ت₂" القديمين (فقد كانا يرسمان هكذا : أما s أو ū) وقد لوحظ هذا التردد في الرسوم النبطية والتدمرية و بقي أثره في الكلمات الآرامية الدخيلة في العربية (انظر بروكلمان "المختصر" ج 1 ، ص. 129-130 وانظر كذلك كاتينو "اللغة النبطية" ج 1 ، ص. 42-44 و "نحو التدمرية المرقومة" (Grammaire de palmyrénien épigraphique) ص 41-43).

ومخرج الشين في العربية القديمة حسب النحاة العرب كمخرج الحروف

الأدنى حنكية القديمة أي وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى : (انظر سيوييه : II ، ص 453، والزمخشري ابن يعيش ج X ، ص 124). وقد زعم بعض النحاة أن مخرج الجيم هو من بين مخارج الجيم والشين والياء أدخلها في النتم وأن مخرج الياء هو أشدها أمامية وأن مخرج الشين مخرج وسط بين مخرج الجيم ومخرج الياء .

ويكاد لا يطرأ على الشين من التغييرات المطلقة شيء فلم يرد من ذلك فيما يظهر إلا قلب الشين سينا في كلمتين من مادة صرفية واحدة ليس غير وذلك قولهم : (رجل) "مسدود" عوض "مشدود" وقولهم "سدة" عوض "شدة" : (انظر "هول" النحو العربي ج : IV ، ص 1393 نقلا عن الرضي والأشموني)

وليس التغييرات المقيدة التي تطرأ على الشين بأكثر من التغييرات المطلقة بكثير فلم يأت في القرآن في باب ادغام الشين الا ادغامها في السين (ش س ← س) وحتى هذا الادغام الوحيد لم يقرأه الا قاريء واحد هو ابن العلاء. فقد قرأ في السورة : XVII ، الآية : 44 : "إيال ذى العرسَيْلا" عوض "ذى العرش سَيْلا" بادغام الشين في السين بعد اسقاط حركتها (انظر ابن يعيش : X ، ص : 139).

ويعتبر ابدال الشين جيما إذا كانت متبوعة بحرف مجهور على سبيل التقريب نظنًا جائزا : نحو قولهم "أجدق" في "أشْدق" (انظر سيوييه : II ، ص : 452 والزمخشري ابن يعيش ج : X ص 125-127) وهناك بعض الأمثلة أبدلت فيها الشين تباينا. من ذلك قولهم أحيانا "قلدة" عوض "قشدة" وهي عشبة كثيرة البن. ويرجع هذا التباين فيما يحتمل الى العهد الذي كانت للشين الحالية فيه صفة الانحراف .

وكلمة "شمس" تمثل مشكلا في هذا السياق. فمن المحتمل أن الصيغة السامية القديمة كانت "شمش" ولكن إحدى هاتين الشينين قد أبدلت منذ عهد قديم جدا في العربية وفي العربية الجنوبية إما "ت₂" أو حرفا منقلبا عن "ت₂" وذلك على سبيل التباين.

ففي العربية الجنوبية أبدلت الشين الآخرة وآلت الكلمة الى "شمس"

(ت₂ ← ش) وهي صيغة موجودة في المرقومات. وفي العربية ابدلت الشين الأولى وآت الكلمة الى "شمس" (ت₂ ← ش وش ← س) وقد تتابع تطور كلمة "شمس" في العربية الدارجة كما سنرى ذلك فيما بعد.

ولم يطرأ على الشين في العربية الدارجة من التغيرات المطلقة إلا شيء قليل. من ذلك نزعة الشين إلى الانقلاب سينا في بعض اللهجات الحضر المسلمين (كلهجة الميليا بمتاطعة قسنطينة).

ويوجد نفس هذا الأمر في كثير من اللهجات اليهودية. نحو لهجة يهود تونس العاصمة : انظر اشمه (Stumme) "حكايات وأشعار تونسية" (Tunisische Marchen und Gedichte) ص. 52 و72. من ذلك قولهم ما كُنْتِشِي (ma kuntsi) (عوض ما كُنْتِشِي (ma kuntši) وسوَاد (Su ada) (عوض اشنوة هذا) (اي ما هذا) ونحو لهجة يهود الجزائر العاصمة : انظر كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" 24-25. ونحو لهجة يهود مدينة فاس انظر بَرُونُو (Brunot) "ملاحظات حول لهجة يهود فاس العربية" وهو فصل صدر في مجلة هسبيريس (Hespéris : 1936 ، ص : 10) .

وأما فيما يتعلق بادغام الشين في السين والصاد والزاي فانظر و. مارسي "لهجة اولاد ابراهيم" ص. 17-18 .

ويجوز إبدال الشين سينا تباينا إذا كان في الكلمة حرف مشأشأ آخر وهناك مثال حسن لهذه الظاهرة وهو كلمة "شجرة" الفصيحة فقد صارت هذه الكلمة في كثير من اللهجات الى سَجَرَة (sağara) (براء مفخمة) في الشرق والى سَجْرَه (säğra) (براء مفخمة) في المغرب العربي، وفيما يتعلق بكيفية توزع صيدغتي شَجْرَه (šağara) (براء مفخمة) وسَجْرَه (sağara) بين جنوب سوريا والاردن: انظر كانتينو "لهجات حوران العربية" : الاطلس - الخريطة رقم 13.

وشبيه بهذه الظاهرة ما يقع في كلمة "سَطْرَنْج" إذ تترع إلى

صيغة : سَطْرَنْج (satranġ) وفي صيغة "شَجِيع" إذ تترع إلى صيغة سَجِيع (saġġ) (انظر بروكلمان "المختصر" ج 1 ، ص. 235 و و. مارسى "اولاد ابراهيم" ص. 19... الخ)

وأما لفظ "الشمس" فقد تابع في العربية الدارجة سلسلة تغيراته واستحالاته : ففي لهجات المغرب العربي نجد عادة صيغة "سَمَش" (säms) بتبادل الشأشة. ولكننا نجد أحيانا وخاصة في اللهجات اليهودية صيغة ابدلت فيها السين الاولى شينا بتأثير الشين الآخرة وذلك تقرب بين منفصلين فألّت الكلمة عندهم الى "سَمَش" (säms) فبعثت هكذا الصيغة السامية القديمة بعثا جديدا .

3 -- الياء نصف الحركة

سينظر في الياء فيما بعد عند التعرض الى نصف الحركة الأخرى أي الواو.

الحروف الاقصى حنكية

سبق لنا أن قلنا إنه كان في السامية ثالث من الحروف الشديدة الظهريّة الحنكية وهو :

ك - ف
ق

وكان الحرف المفخم من هذا الثالث أي القاف لهويا أكثر منه أقصى حنكيا.

وقد تفكك هذا الثالث في العربية القديمة : فقد راينا ان القاف (g) المجهورة قد آلت بصفة مطلقة الى حرف ظهري أدنى حنكي بل والى حرف بين طرف اللسان ومغارز الأسنان اما ملين أو ذي زيادة رخوة مشأشة (انظر صفحة : 89) وهكذا فقد خرج هذا الحرف (أي القاف) من الثالث السامي المذكور ولم يبق في العربية إلا زوج من الحروف متركب من حرفين شديدين هما :

ك — ق

أولهما أي الكاف أقصى حنكي مهموس وثانيهما أي القاف حرف لهوي منخم .

وسندرس هذين الحرفين على التوالي :

1 - الكاف الشديدة الأقصى حنكية المهموسة

إن مخرج الكاف حسب النحاة العرب هو "أسنل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحناك الأعلى" : انظر سيبويه، II ، ص. 453 والزمخشري، ابن يعيش ، ج : X ، ص. 123-124 وعلاوة على ذلك فقد حشروه في زمرة الحروف المهموسة الشديدة فهذا الحرف هو إذن وبدون أي شك حرف شديد مهموس أقصى حنكي .

ولا يطرأ على الكاف عادة أي تغيير. إلا أن النحاة العرب قد ذكروا منذ عصرهم بعد وجود نطق مستهجن للكاف هو الكاف التي كالجيم نحو "جَافِر" عوض "كافر" (انظر سيبويه : II ص. 452، والزمخشري، ابن يعيش : X ص. 125-128 وهول "النحو العربي" IV : ص. 1720) ولما كان الكاف حرفاً مهموساً والجيم مجهوراً فالمفروض أن يكون هذا النطق المذكور هو نطق الكاف "تَشْ" واذن يصير الشاهد "تَشَافِر" عوض "كافر". وهكذا يستقيم فهمنا لما ذهب إليه سيبويه وابن يعيش عندما وصفا هذا النطق في نفس الفقرة بأنّه بين الكاف والجيم ومهما كان الأمر فإن هذا النطق هو تغيير مطلق يطرأ على الكاف فيصيرها "تَشْ" ، وسنجد نفس هذا التغيير في بعض اللسان الدارجة العربية اليوم.

ويشير النحاة العرب إلى جانب ذلك إلى تغيير مشابه هو إبدال الكاف شينا (أو "تَشْ") أو ابدالها سينا (أو "تَسْ") إلا أن هذا التغيير يختلف عن الأول إذ هو تغيير مقيد وقد أطلق النحاة العرب على هاتين الظاهرتين الصويتيتين اسم "الكشكشة" و"الكسكسة" (1) والكشكشة

(I) فيما يتعلق بالكشكشة وبالكسكسة في معنى مخالف تماماً أي : قلب الكاف عند الوقف « كش » أو « كس » أنظر ما سيجيء في هذا فيما بعد .

هي أن يصير ضمير المخاطبة المفردة وهو "ك" إلى "ش" أو "ش" وقد حدث ذلك أولاً عند الوقف نحو "ما الذي جاء بش" عوض "بك" ثم حدث أيضاً في سياق الكلام نحو قراءة بعض القراء "جعل رَبُّش (أي رَبُّكَ) تحتش (أي تحتك) سرياً". والكشكشة عندهم من خصائص لغة بني تميم وربما كانت أيضاً من خصائص لغة بني أسد بل وكامل بني ربيعة .

وأما الكسكسة فعلية قريبة جداً من الكشكشة : فهي إبدال نفس الضمير المتصل "ك" فيصير "س" أو "س" سواء عند الوقف أو في السياق نحو "أبوس" أي "أبوك" و"أمس" أي "أمك" وهي عندهم من خصائص لغة بني بكر. انظر فيما يتعلق بهاتين الخاصيتين: الرمخشري، ابن يعيش IX ، ص. 48-49 والسيوطي "المزهر" 1 ، ص. 109 والحريري "الذرة" ص. 184-185 وفولرس "لغة الشعب" ص 11-12 وبروكلمان "المختصر" : 1 ، ص : 206 .

وأما سبب إبدال "ك" "ش" أو "ش" فواضح : فقد أصبحت الكاف أدنى حنكية من جراء جوار الكسرة فأصبحت ملينة ببناء خفيفة "كـي" ثم صارت "تـي" ثم "ذـش" ثم آلت في النهاية إلى "ش" حسب تطور شبيه بالتطور الذي سبق لنا أن رأيناه بخصوص الفاف (g) السامية القديمة التي صارت في العربية إلى "ذـج" ثم إلى "ج" (تونسية)

وليس تطور كهذا التطور بنادر : فنرى في كثير من اللغات أن الحروف الشديدة الحنكية من شأنها أن تتغير فتبدل "تـش" أو "ش" أو "تـس" أو "س" وإذا كانت بجوار حركات من وسط الحنك أو من أدناه : من ذلك الكاف في اللاتينية ففي جميع اللغات الرومانيّة أي المتفرعة عن اللاتينية تبدل هذه الكاف إذا كانت بجوار الكسرة (i) أو الفتحة الممالة إمالة شديدة (e) أو حتى الفتحة العادية (a) نحو كلمة "كيرام" (Ceram) في اللاتينية ومعناها الشمع فقد آلت في الإيطالية إلى : "تشيـرا" (Cera) وفي الفرنسية إلى "سيـر" (cire) ونحو كلمة "كينيرام" (Cinerem) اللاتينية (أي الرماد) فقد آلت في الإيطالية إلى

”تشنيري“ (Cenere) وفي الفرنسية الى ”سَانْدُر“ (Cendre) وكذلك كلمة ”كَنَام“ (Canem) في اللاتينية (أي الكلب) فقد آلت في الفرنسية الى ”شِيَان“ (chien) .

وقد يدغم الكاف في قاف تليه فيجوز قراءة ”اذا خرجوا من عندِ قَالُوا“ (باسقاط الحركة) عوض ”اذا خرجوا من عندِكُ قَالُوا (قرآن سورة : XLVII ، آية : 18) ذكره الزمخشري، وابن يعيش، X ، ص. 138، الا أن عدم الادغام في هذه الآية أحسن عندهم من الادغام. ويطرأ على الكاف في الالسن الدارجة العربية أيضا تغييرات مطلقة ومقيدة فالتغييرات المطلقة هي التي تطرأ على الكاف مهما كان الجوار الصوتي حركات وحروفا. وسببها تقدم مخرج الكاف فيصير أدنى حنكيا بعد أن كان في أقصى الحنك ويتنج عن هذا التقدم تعرض الكاف لعمليات صوتية مختلفة من تليينه الى دخول الزوائد الرخوة عليه الى ارتخائه تماما.

ونجد عمليات من هذا النوع – وهي عمليات نجهل أسبابها الاصلية جهلا – نجدها في الشرق بوسط فلسطين (انظر برقشتراسر : ”الأدلس اللغوي“ – الخريطة رقم 3. ولا يفرق المؤلف في هذه الخريطة بين دخول الزوائد الرخوة على الكاف بصفة مطلقة ودخولها عليه بصفة مقيدة) ونجدها كذلك في قريتين بجنوب سوريا هما : تشناتشر (Čanāčer) وزاتشيه (Zāčye) وفي واحة سخنه (Suħne) بصحراء سوريا من ذلك قولهم ”رُنْشِبَة (rōčbe) في ”ركبة“ و”نُشْرُس“ (čörsi) في ”كرسي“ و”دَارْتَشُو“ (dārčō) في ”دَارْكُم“... الخ وتوجد أمثلة من هذا النوع في منطقتين من مناطق الجزائر أيضا هما : أولا : منطقة القبائل الصغرى (La petite Kabylie) المسماة أيضا قبائل البابور (Kabylie des Babors) أي القسم الناطق بالعربية من دائرة بلدية واد مرسي ودوائر بلديات دجيلي وطاهر والميليا وما يليها جنوبا من دوائر بلديات ذات التصرف الفرنسي البحت وكذلك القسم الغربي من دائرة بلدية كَلُو (Collo) وكذلك الاقسام الشمالية من دائرتي بلديتي فج مزالة وتَكْتُونْت. وثانيا منطقتة الجبال الواقعة شمالي تلمسان (أي قبيلتا ”المسيرة“ و”الطرارة القديمتان) وأخيرا لهجات اليهود بتلمسان ووهران.

ففي القبائل الصغرى تبدل الكاف "تُش" مطلقاً فلُوتُشَة (Flūča) (فلوكة) وِبُوتُش (Būč) (ابوك) وِنَاتُشَلْ (nāčöl) (تأكل) اي (أكل) وأما عند قبيلتي المسيردة والطرارة فان الكاف تصير بخلاف ذلك إلى حرف رخو أدنى حنكي شبيه بالشين يرمز إليه بـ (ɛ) (وهو الـ (ch) في الألمانية (Ich) (!) أي (أنا) نحو قولهم "فلُوشَة" (flūca) وِبُوشْ (būc) وِنَاتُشَلْ (nāčöl) بهذه الشين الخاصة

وأما في اللهجات الأخرى كلهجات يهود قسطنطينة مثلاً فإن مخرج الكاف يتقدم فيها كثيراً إلى أدنى الحنك ويطراً عليه شيء من التليين ولكن بدون أن يتغير الكاف أو يبدل حرفاً آخر.

وأما سبب هذا الإختلاف في نطق الكاف فيجدد البحث عنه في كون التغير القديم الوحيد الذي طرأ على هذا الحرف هو تقدم مخرجه فقط ثم يمكن أن تكون التغييرات التابعة الأخرى التي طرأت عليه بعد أن أصبح نطقه أدنى حنكياً قد وقعت بصفة مستقلة ومن جراء تأثيرات مختلفة: فيمكن مثلاً إعزاء الشين الخاصة بالمسيردة والطرارة إلى تأثير الطبقة اللغوية السفلى وهي اللغة البربرية .

وأما التغييرات المقيدة التي طرأ على الكاف فهي التغييرات الناتجة عن جوار الحركات الأمامية وهي الكسرة والفتحة الممالة إمالة خفيفة (ë) والفتحة الممالة إمالة شديدة (e) وهذه التغييرات من نوعين إما ابدال الكاف "تُش" أو إبدالها "تس". ويختلف انتشار هذه الظاهرة فيقل ويكثر وحدوثها محدود بعمان وباليمن إذ لا تطراً إلا على ضمير المخاطبة المفردة أي "ك" (كما في الكشكشة والكسكسة اللتين ذكرهما النحاة القدماء) وإذا تبقى الكاف فيما عدا ذلك سالمة خالصة .

وفي لهجات الفلاحين الأردنيين يبدل عدد لا بأس به من الكافات "تُش" إذا كانت بجوار الكسرة أو الفتحة الممالة إمالة شديدة (e) أو خفيفة (ë) إلا أن بعض الكافات تبقى سالمة لا تتغير في نفس

(1) توضيح من المترجم

ذلك الجوار الصوتي في حين ان بعض الكافات القديمة تبدل "تَشْ" اذا كانت بالعكس بجوار الضمة (u) أو الضمة نصف المنغلقة (o) أو الفتحة (الخلفية أو الوسطية) (a) ويبدو أن هذه الظاهرة قد ضبط استعمالها داخل كل مادة من المواد الصرفية بتأثير عمليات قياسية ذلك أنهم يقولون في الجمع "دِيُوْتَشْ" (dyūč) قياسا على المفرد "ديتَشْ" (dīč) ويقولون "كَن" (kån) قياسا على المضارع "يَكُون" (ikūn) فينبغي علينا ان نقرر وجود صوتين (1) متباينين هما "تَشْ" والكاف في اللهجات التي من هذا القبيل.

وبخلاف ذلك فإن تغيير الكاف في مجموعة اللهجات الضخمة التي سميتها "لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية" قد انتشر انتشارا كبيرا فتبدل الكاف في هذه اللهجات كلما كانت بجوار الكسرة (i) أو الفتحة الممالة أمالة شديدة (e) أو خفيفة (ä) بدون حدوث تأثيرات صرفية قياسية ترمم بناء الكلمات الصوتي. من ذلك قولهم في "كرش" (وهي معدة الحيوان المجتر) "تَشْرش" (čärš) الا انها تجمع على "كراش" (krāš) (بتفخيم الراء) أو "كروش" (krūš) (بتفخيم الراء أيضا) وقولهم في ركب "رَتشِب" (rečeb) الا ان مضارعها "يَرَكَب" (yirkab) وهكذا فان "تَشْ" هي مجرد عوض تعاملي (variante combinatoire) من الكاف وتكون مع الكاف صوتا واحدا.

وأما دخول الزائدة الرخوة على الكاف فيتولد عنه عند بني عنز وبني شمر حرف "تَسْ" وفي سائر اللهجات حرف "تَشْ" نحو "تَسَف" (čäff) و"تَشَف" (čäff) أي كف ولكن جمعها كفوف (kfūf) بالكاف ونحو "تَسيس" (čīs) و"تَشيش" (čiš) أي كيس ونحو "تَسَف" (četef) وتشتَف (četef) أي كتِف. ولكن جمعها كُتُوف (ktūf) بالكاف ونحو "رَتشِب" (rečeb) و"رَتشِب" (rečeb) أي ركب ولكن مضارعها "يَرَكَب" (yirkab) بالكاف ونحو "دِيَتَس" (dīč)

و"ديتس" (dīč) أي ديك ولكنها تجمع على "ديوك" (dyūk) بالكاف ... الخ (انظر "كانتينو" دراسات في بعض اللهجات العربية عند البدو، : 1 ، ص 27-30 و 11 ، 23-28).

وقد تكون الكاف المتحركة في بعض اللهجات العربية متبوعة بزائدة شفوية أي بواو خفيفة من ذلك ما أشار إليه و. مارسي في كتابه "أولاد ابراهيم في مدينة صيدا" ص. 14 وذلك قولهم "لُوكُوَان" (lūkʷān) (بواو خفيفة بعد الكاف) إلى جانب لُوكَان (lūkān) أي "إذا" أو "لَو" وقولهم "شُكَاوَرَه" (škāwra) (بواو خفيفة بعد الكاف) إلى جانب شُكَارَه (škāra) أي كَيْش. وقد لاحظت بنفسني بمدينة تدمر انهم يقولون "كُور" (kʷurr) أي حمار صغير الى جانب "كُر" (kurr) (انظر كانتينو" لهجة تدمر : 1 ، ص. 61. وتوجد أمثلة من هذا القبيل بالمغرب الاقصى : انظر بروكلمان "المختصر : 1 ، ص 208)

والأمثلة التي تدغم فيها الكاف في حرف مجاور قليلة العدد نسيا فقد تدغم الكاف في القاف (g) هكذا (ك ف ← ق) وقد تدغم الكاف في القاف هكذا أيضا (ك ف ← ق) وقد تدغم القاف في الكاف (ق ك ← ق) : انظر و. مارسي "تلمسان" ص. 25 وشمته (Stumme) "العربية التونسية" (Tunisische Arabisch) ص. 2. وقد يبدل الكاف فافا (g) فيصير مجهورا إذا كان متبوعا بحرف مجهور نحو يَكْدِبُ (yikdeb) ← "يَقْدِبُ" (yigdeb) (أي يَكْدِبُ).

وقد تبدل الكاف بعد الراء فافا (g) (ر ك ← ر ف) في بعض الكلمات القليلة المنزلة : انظر م. كوهين "يهود الجزائر العاصمة" ص. 72 و 81.

2 - القاف الشديدة اللهوية المنخمة

لقد عرف سيويه (11 ، ص 453) مخرج القاف هكذا : "من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى" أي أن أصل اللسان ينطبق على غشاء الحنك. ولما كان هذا الغشاء رخوا نتج عن ذلك أن شدة هذا

الحرف ليست كاملة ولذلك كان نطق القاف مصحوبا بصوت خاص وقد رتب سيوييه والزمخشري القاف في عداد الحروف المجهورة : فيظهر إذن أنهما كانا يعتبرانه مجهورا بمعنى سُور (sonore) (انظر ما جاء في هذا صفحة 38) ولكن نطق القاف التقليدي في العربية الفصحى اليوم هو نطقه مهموسا بمعنى "سُورد" (sourde) .

وبما أن قسما كبيرا من الألسن الدارجة العربية كما سنرى ذلك فيما بعد، ينطق أصحابها بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح بأن القاف كان فعلا حرفا مجهورا في العربية القديمة. ويمكن أن يكون نطقه مهموسا في العربية الفصحى اليوم ناتجا عن كونه أصبح مهموسا في اللهجات الحضرية المدنية لأن أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدني .

وكثيرا ما يذهب النحاة الأوروبيون إلى أن في نطق القاف شدة ثانية (مصاحبة للشدة الاولى) تحصل بغلق رأس قبة الرئة (من ذلك قول و. مارسي في "أولاد ابراهيم" ص. 12).

وقولهم هذا محتمل وان لم يقيموا عليه البرهان القاطع وبه يمكن تفسير انتقال هذا الحرف من الجهر إلى الهمس إذ أن كل اغلاق لرأس القبة يحول دون ارتعاش الاوتار الصوتية ويؤدي إلى نقيض الجهر.

وكثيرا ما يعتبر النحاة الاوروبيون القاف حرفا مفخما (emphatique) الا أن الملاحظ أن النحاة العرب لم يعتبروه حرفا "مطبقا" على أن سيوييه (II ، ص 285) يذكر هذا الحرف في زمرة الحروف المانعة لإمالة الألف أي الحروف المتسيلية أو المفخمة .

وان ما ذكره العرب من التغييرات المطلقة التي تطرأ على القاف قليل. وستحدث بعد هذا حين يأتي الكلام عن الألسن الدارجة العصرية عن نطق القاف وسطا بين القاف والكاف. وهناك كلمة ترددا فيها بين القاف والكاف وهي قولهم عربي "قُحُّ" أو "كُحُّ" (انظر هول النحو العربي، ١٧ ، 1195) .

ويدغم القاف في الكاف الساكنة أو المتحركة إذا وقعت بعده من ذلك قراءتهم "حَلَكْتُ دَابَّةً" (باسقاط الحركة) عوض "حَلَقَ كَلَّ دَابَّةً" قرآن : XXIV ، 44

وأما الألسن الدارجة العربية العصرية فإن نطق القاف بها هام جدا فيما يتعلق بترتيبها ولنضع أولا مبدأ أولا (وهو مبدأ معترف بصحته منذ زمن طويل : انظر مثلا و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 12-13. و"تكرؤة" ص. XX) وهو الآتي : إن اللهجات التي صار القاف القديم فيها حرفا مهموسا (أي القاف أو الكاف المنفخمة أو الكاف أو الهمزة انظر أسفل هذا) لهجات حضرية .

وبخلاف ذلك فإن اللهجات التي صار القاف القديم فيها حرفا مجهورا (أي الغين أو القاف (g) أو "ذُج" أو "ذُز" ... الخ. انظر أسفل هذا) هي لهجات بدوية. ولم يشذ عن هذا المبدأ شيء شذوذا حقيقيا. فلئن وجدنا عند البدو بشمال افريقيا بعض الكلمات التي جاء فيها قاف مهموس نحو "قَرَا" (qār) (قرأ) وَقَلِمٌ (qilm) (قَلَم) وَيَقْسِي (bqā) (أي بقي) .. الخ فإن هذه الكلمات هي فيما يظهر دخيلة عندهم اقتروضها إما من اللغة الفصحى أو من لغة المدن (انظر و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص. 12-13) ولئن وجدنا كذلك في جميع اللهجات الحضرية بافريقيا الشمالية بعض المفردات القليلة التي تنطق بقاف مجهور (g) نحو قولهم "بَقْرَة" (bāgra) (بقرة) "وَفَنِين" (gnīn) (أي أرنب) وَقُرْبَة (qōrba) (قِرْبَة) ... الخ فأنما ذلك راجع إلى أن تلك المفردات هي فيما يظهر دخيلة عندهم اقتروضها من اللهجات الريفية) وانظر (و. مارسي "تلسمان" ص 17 و م. كوهين "يهود مدينة الجزائر" ص 46-50) فبان بهذا أن هذه الكلمات ليست من الشواذ الحقيقية .

1 - اللهجات التي القاف فيها حرف مهموس :

وهذه اللهجات كما سبقنا هي دائما لهجات حضرية (ونرمز اليها بـ : لهجات "ح") ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام : أولها ينطق أصحابه القاف قافا وثانيها همزة وثالثها إما كافا منفخمة أو كافا عادية .

وتمتد اللهجات التي القاف فيها حرف لهوى أي قافا (ونرمز اليها بلهجات "ح 1") تمتد على مساحات لا بأس بكبرها وخاصة بسوريا وبشمال افريقيا : من ذلك الساحل التونسي ومدينتا تونس وقسنطينة وقسم هام من المنطقة الحضرية بمقاطعة قسنطينة ويحد هذه المنطقة خط ينطلق بعد رأس الحديد (Cap de Fer) بقليل ويمر بجماپ (Jemmapes) وبكندى سمندو (Condé Smendou) وبيزو (Bizot) ورفاش (Rouffach) وميلا (Mila) وفتح مزاله (Fedj Mzala) وشوفروي (Chevreuil) ويبلغ قريبا من شوفروي هذه حدود اللغة القبائلية : وخاصة القسم الاكبر من دائرة سكيكدة ينطق أهله هذا الحرف قافا (انظر كانتينو "اللهجات العزبية بمقاطعة قسنطينة : الخريطة) .

وأما في مقاطعة مدينة الجزائر فإن نطق هذا الحرف قافا موجود عند السكان المسلمين بمدينة الجزائر وعند أهل شرشل وتدليس والبليدة ومليانة ومدينة وتنس أي بأقدم مدن تلك المقاطعة .

وأما في مقاطعة وهران فلا يكاد يوجد القاف إلا بمدينة مستغانم. وأما بالمغرب الأقصى فإن نطق هذا الحرف قافا موجود في أغلبية اللهجات الحضرية (انظر فيما يتعلق بانتشار مدى هذه اللهجات جغرافيا الخريطة اللغوية" الموجودة بـ "أطلس المغرب الاقصى" لـ : ج. س. كولين (G. S. Colin) .

وأما اللهجات التي صارت القاف فيها إلى مجرد همزة تنطق بغلق رأس قسبة الرثة فلهجات مدينة في أكثرها : وخاصة لهجات حلب واللاذقية وحماه وحمص ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا وصفد وحيفا ويافا وبيت المقدس وجبرون وغزة والاسكندرية والقاهرة والقسم اليهودي من مدينة الجزائر والقسم المسلم من تلمسان وفاس. ولكن هذه اللهجات مدينة فقط. ذلك أن أكثر سكان الجبال بلبنان تنطق القاف عندهم همزة (انظر برقشتراسر : "الاطلس اللغوي" الخريطة رقم 4) وقد أطلقنا على هذه اللهجات "لهجات ح 1"

وأخيرا فإن اللهجات التي تنطق القاف فيها كافا أقصى حنكية (أي

لهجات ح 2) هي نفس اللهجات التي يتغير الكاف فيها بصفة مطلقة غير مقيدة : فكما أن الكاف الاقصى حنكية قد حارت أدنى حنكية عندهم كذلك نرى القاف اللهوية قد حارت كافا حنكية حسب تطور مماثل للتطور الأول أي تقدم المخرج إلى الأمام. من ذلك قولهم كَلَبٌ (kalb) في قَلْبٍ وَكَالَ (kāl) في قَالٍ وَرَكَبَهُ (rakba) وَرَكَبَهُ (rakaba) في رَقَبَةٍ ... الخ.

وهذه اللهجات هي لهجات الحضر بفلسطين (انظر برقشتراسر "الاطلس اللغوي" - الخريطة رقم 4) ولهجات قريتي تشاتشر (Canacer) وزاتشيه (Zacye) وواحة سُخْنَةُ بسوريا والقبائل الصغرى والمسيرة والطرارة بشمال تلمسان .

ب) اللهجات التي القاف فيها مجهورة اي كالثاف (g) وهي كما سبتنا لهجات بدوية.

ونجد عند قسم أول من هذه اللهجات قافا خلفية جدا قريبة من اللهوية إلا أنها لا تظهر في جميع المواقع الصوتية وهذه اللهجات قليلة نوعا ما. نجد البعض منها بشمال الجزيرة العربية وبالجنوب التونسي : انظر و. مارسى "نصوص من حامة قابس" ص. 199. وانظر كانتينو "لهجات البدو" II ص. 23 .

وهناك قسم ثان من هذه اللهجات نجد فيه قافا أقصى حنكية في جميع المواقع الصوتية. وهي بلون شك اللهجات التي أشار إليها السيرافي في شرحه لكتاب سيويه عند كلامه عن القاف التي بين القاف والثاف. انظر كذلك ما يقوله ابن خلدون في هذا السياق في "المقدمة" طبعه كاترومار (Quatremère) III ص. 302-305 في فقرة شهيرة يتحدث فيها عن نطق القاف نطقا خاصا عند العرب الرحل من قبيلة مضر وكيف أنهم امتازوا بهذا النطق دون سائر سكان الحضر. ويشمل هذا القسم من اللهجات بالشرق فلاحى حوران والاردن وهم من البدو الرحل في السابق وكذلك بلون شك قسما هاما من سكان اليمن وعمان وبالمغرب جميع اللهجات البدوية بالجزائر والمغرب الاقصى .

وهناك قسم ثالث من هذه اللهجات وهو لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية وقد طرأت على نطق القاف في هذه اللهجات عملية صوتية موازية تماما لما طرأ على الكاف فيها من عمليات صوتية. أي أن القاف يبقى فافا بجوار الحركات الخلفية أي الضمة (u) والضمّة نصف المنغلقة (o) والفتحة الخلفية (a) وتطراً عليه تغييرات مقيدة إذا كان بجوار الحركات الأمامية أي الكسرة والفتحة الممالة إمالة شديدة (e) وخفيفة (ä) فيبدل بزيادة زائدة رخوة أي انه يصير "دَج" وذلك عند صغار البدو الرحل (Petits Nomades) بسوريا وما بين النهرين ويبدل "دَز" عند كبار القبائل العربية كبنّي عنز وشمّر. ويشعر الناطقون بهذين الحرفين الشديدين ذوي الزائدتين الرخوتين بانهما مجرد عوضين تعامليلين من القاف (g) وانهما يكونان معه صوتا (1) واحدا فيقولون في هذه اللهجات مثلا "بَرِيدَج" (brīḡ) و"بريدز" (brīḡ) (أي ابريق) ويجمعونه على برقان (borgān) (بالقاف) و"عدّجب" (aḡeb) و"عدّزب" (aḡeb) (أي عقب) ولكنهم يجمعونه على أعقاب (aḡāb) و"عقوب" (aḡūb) (بالقاف) و"دجدر" (ḡeder) و"دزدر" (ḡeder) (أي قدر) ولكن المضارع عندهم يقدّر (yōḡdar) (بالقاف) ... الخ انظر فيما يتعلق بهذه المسألة كاتنينو "لهجات البدو" ا ص 29-39 و II ، ص 25-28) وقد يبدل الحرف القديم كافا تباينا إذا كان متبوعا بتاء مثل ذلك قتل في كثير من اللهجات الشرقية أو المغربية فقد صار في الشرق كتّل (katal) وفي المغرب العربي كتّل (kfāl) ومن ذلك أيضا "قَب" وهو الرحل فقد صارت كتّب (katab) في لهجات حوران وتستب (cātab) وتشتب (cātab) في لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية. ومنه أيضا كلمة "وَقْت" فقد صارت "وَكْت" (wakt) (أي بكسرة خفيفة بعد الكاف الساكنة) في بعض لهجات العراق (انظر بروكلمان "المختصر" ص 163) ومن ذلك أيضا المفردات المختلفة التي بمعنى "الآن" والتي نجدها بالمغرب العربي نحو قولهم "دِرُوك" (dōrwok) في مدينة الجزائر و"ظَرُوك" (dārk) و"ظَرُوك" (dārwok) بالارباع (Arbāc) ونحو قول أولاد ابراهيم "دَاكَلُوكْت" (dākelwokt) و"ضَرُوك" (dārwok) ... الخ.

(1) أي phonème

ونجد في لهجات المغرب العربي الحضرية منها والبدوية إلى جانب القاف الفصح صوتين مختلفين قاف لهوى مهموس وقاف (g) أقصى حنكي. وصوت واحد من هذين الصوتين (القاف عند الحضر والقاف عند البدو يمثل طبعا في اللهجات المذكورة التطور الصوتي العادي للقاف القديم. ولا يظهر الصوت الثاني إلا في الكلمات الدخيلة. فتتج عن هذا تواجد صيغ مزدوجة وأزواج من المفردات يكون في احدها قاف وفي أخرها قاف (g) ويختلف معناهما. من ذلك "بُقْرَه" (bögra) أي الحيوان المعروف و"بَقْرَه" (baqra) في السورة القرآنية عدد 2، ومنه أيضا قُبَّه (gubba) (أي قبة) وقُبَّه (qobba) (أي مقصورة) ونحو "شَرْف" (šerg) (أي شَرْق) و"شَرْق" (šörq) (أي الحج) ... الخ (1) انظر (و. مارسي "تلمسان" ص. 17). ومنه قولهم "قَلِب" (gleb) (أي تقيأ) و"قَلِب" (qleb) (أي قَلَب) و"بَقَى" (bgā) (أي أنهكه التعب) و"بَقَى" (bqā) (أي بقي) وقَدِر (gder) (أي قوي وسمن) و"قَدِر" (qdör) (أي قدر) و"وَرَقَه" (worqa) (أي ورقة الشجرة) و"وَرَقَه" (worqa) (أي ورقة من الكاغذ)... الخ (2) انظر (و. مارسي "أولاد ابراهيم ص 13). وخلافا لذلك فإنه يظهر أن حدوث مثل هذه المزدوجات لا وجود له في اللهجات الشرقية : وكل ما يوجد في هذه اللهجات هو إما القاف وحدها (q) أو القاف وحدها (g) وذلك بحسب كون اللهجة المعنية حضرية أو بدوية.

وسنرى فيما سيأتي بعد هذا عند التعرض للغين أمثلة أبدلت فيها القاف غينا. ونكتفي هنا بذكر مثال واحد من هذه الأمثلة وهو فعل قَدَرَ : "يَقْدَر" في الفصحى فكثيرا ما يصير في سوريا "عَدِر" (geder) بِيَدْعِدِر (byigdär) بإبدال القاف غينا (انظر مثلا كانتينو "اللهجات حوران العربية" - الاطلس الحريضة عدد 38)

- (1) لقد سبق لنا أن رأينا (صفحة 95) أن بعض القافات قد تكون متولدة عن الجيم أيضا .
 (2) ومن الملاحظ أن أصل بعض القافات في بعض لهجات بدو الصحراء الجزائرية والموريطانية هو حرف الغين . انظر أسفله ص : 115

الحروف الرخوة اللهوية

من المحتمل جدا فيما يبدو أن تكون السامية قد احتوت على حرفين رخوين لهويين أحدهما مهموس والثاني مجهور وهما : خ — غ

وقد احتوت العربية القديمة على هذين الحرفين بالضبط وهما حرفي السامية المذكورين أعلاه تماما إلا أن عالما من علماء الاصوات وهو رُوچِيْشْكَا (RŪŽIČKA) قد ذهب (وذلك خاصة في فصل له بعنوان "تناوب العين والغين في العربية": « L'alternance de "ع-غ" en arabe ») صدره في الجريدة الآسيوية (Journal asiatique) 1932 ، II ، ص. 67) قد ذهب قلنا إلى أن حرف الغين لم يكن موجودا في السامية وأنه قد نشأ في العربية منقلبا عن العين. أي أن عددا ما من العينات قد صارت غينات أو أن الغين لم تكن الانطقا خاصا نطقوا به العين. وقد ذكر هذا العالم تدعيما لفكرته بعض الصيغ المزدوجة مثل "عَبَثَ" أي مزج وخلط و"غَبَثَ" أي مزج جُبْنًا طريا بالزبدة ومثل "عَسَرَ" أي ألج على مَدِينِهِ و"عَسَرَ" بنفس المعنى. ومثل "عَمِيقٌ" في الفصحى : بعيد القعر و"عَمِيقٌ" في الدارجة بنفس المعنى... الخ الا أن وجود مثل هذه الصيغ المزدوجة لا يكفي عندنا لإقامة البرهان على أن الغين كان حرفا ثانويا.

ويقول سيوييه (II ، ص. 453) إن مخرج الخاء والغين هو "الجزء الحلقي الأدنى الى الفم" ويعبر الزمخشري وابن يعيثر عن ذلك بنفس العبارة الا أنهما يضيفان أن مخرج الخاء أدنى إلى الفم من مخرج الغين. وفي الحقيقة فان هذين الصوتين يقرعان بدعك الهواء الصاعد من الصدر بين غشاء الحنك وأقصى اللسان والحاء مهموسة بينما الغين مجهورة.

والتغييرات المطلقة التي ذكرها النحاة العرب بخصوص الخاء والغين قليلة العدد. منها إبدال الخاء غينا والغين خاء في بعض الكلمات المنعزلة نحو "أَخَنَ" فيمن يتكلم بأنفه وهي صيغة قد تكون صيغة ثانوية ل : "أَغْنُ" بنفس المعنى. ونحو عبارة : "مَرَّ يَغْطُرُ بِيَدَيْهِ" أي يحرك يديه فقد يكون هذا الفعل فيها أي غطر صيغة ثانوية ل : "خَطُرَ" بنفس

المعنى ومنها أيضا جواز إبدال الخاء حاء أحيانا في الشعر لضرورة القافية: انظر هول (Howell) النحو العربي، ١٧ ، ص. 1194 – 1195. ومنها كذلك ابدال الخاء والغين همزة فيما يبدو في كلمتي "صَرَأ" أي استنجد وهي صيغة ثانوية لـ "صَرَخ" بنفس المعنى. و "رَأَنَه" أي تمتع بالاستماع اليه وهي موضوعة موضع "رَغَنَه": انظر هول "النحو العربي"، ١٧ ، ص. 1236.

وأما التغييرات المقيدة فقليلة أيضا نذكر منها فقط ادغام الخاء في الغين (خ غ ← غ) وادغام الغين في الخاء (غ خ ← خ) من ذلك ما أجازوه من قراءة "أَدْمَخْ خَلْمًا" عوض (إدْمَغْ خَلْمًا) و "أَسْلَخْ غَنَمَكَ" عوض (أَسْلَخْ غَنَمَكَ).

وقد بقيت الخاء والغين سالمتين عادة في الالسن الدارجة العربية العصرية الا أن الغين في بعضها قد يطرأ عليها تغيير ذوبال فقد يصير هذا الحرف الرخو اللهوي المجهور حرفا شديدا لهويا مهموسا اي قافا وذلك بصفة غير مقيدة، ويحدث هذا الابدال من جهة في بعض لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية كلهجة رُغَه (Rögga) الواقعة على الفرات الاوسط وكلهجة قبيلة الموالي (انظر كانتينو : اللهجات البدوية، ١ ، ص. 39-40 و ١١ ، ص 28) ومن جهة أخرى يحدث هذا الابدال في أغلبية لهجات الصحراء الجزائرية أي في منطقة شاسعة يحدها شرقا واد "رَيْغ" وشمالا خط يجانب جبل الهدنه (Le Hodna) جنوبا ثم يتصعد نحو الشمال حتى بُوَيْرَة (Bouïra) ثم ينحرف نحو الجنوب الغربي فيمر بين بَرُوغِيَه (Berrouaghia) و بُغاري (Boghari) ثم يتبع المنحدرات الجنوبية من جبال الـ وُر سَنيس (L'Ouarsenis) ثم منخفض شط الشرقي ثم يتوجه نحو الجنوب فيساير تقريبا حدود اقليمي جريميل (Géryville) ومشرية (Méchéria) ثم يعبر الاطلس الصحراوي بجهة عين صفراء ثم ينفذ الى الصحراء متجهها نحو الجنوب الغربي ففي هذه المنطقة تنزع جميع الغينات القديمة الى الانقلاب قافات : من ذلك قولهم هناك "قَلَم" (qlām) عوض "غَلَم" (أي غَم) و"صَقِير" (şqēr) (أي صغير) و"قَابَه" (qāba) (أي غاية)

و "قَالِي" (qāli) (أي غالي) و "قَزُو" (qazw) (أي غزو) و "قَرَاب" (qārāb) (أي غراب) ... الخ.

ويبدو أن هذه المنطقة التي تصير الغين فيها قافسا أخذة في الامتداد غربي الصحراء الجزائرية وفي ضم الصحراء الجنوبية من المغرب الأقصى وموريطانيا. (قارن بما جاء في فصل ج. س كولين (G. S. Colin) بعنوان "موريتانكا" (« Mauritanica ») الصادر بمجلة هسبيريس (Hespéris)، XI (1930) ص. 133 و 138).

وأما القافات القديمة التي بقيت في هذه اللهجات فتتزع بالعكس إلى الانقلاب غينات وكأن هذا الأبدال ظاهرة لاعادة التوازن في اللغة وربما كانت ناتجة عن عمليات ارجاع حديثة العهد ارجعت بها الغين الى اللغة فكثيرا ما سمعناهم يقولون "الغائد" عوض القائد و "عبد الغادر" عوض "عبد القادر" وغليل" (gāli) عوض "قليل" أي قليلا وفي التثنية و "غفيل" (gfiel) عوض "قفل" أي قفل .

وأما في اللهجة المالطية فقد أبدلت الخاء القديمة حاء والغين القديمة عينا وذلك بتأثير الطبقة اللغوية البونيقية السفلى فيما يظهر : نحو "حدم" (hədem, yaħdem) (في خدم يخدم) و "حمس" (ħames) (في خمسة) و "حك" (ħuk) (في أخوك)... الخ ونحو "بعل" (ba'al) (في بغل) و "عد" ('ada) (في غدا) و "عان" ('āni) (في غني)...

وقد عثر على عمليات من نفس القبيل، ولكن فيما يتعلق باببدال الغين عينا فقط في لهجات دثينة (بجنوب الجزيرة العربية) ولا يطرأ على الخاء والغين في اللسان الدارجة العربية من التغييرات المقيدة إلا شيء قليل. وتمثل هذه التغييرات خاصة في الادغام نحو قولهم بتلمسان "قَرَحْ خَسْتَسُو" (ferreh ħösst'u) عوض "قَرَحْ خَصْتَسُو" (أي افرغ اناء وضوءه) وقولهم "فَرَحَا" (ferrehħa) عوض فَرَّعَهَا (أي أفرغها) وقولهم "فِرْحْ خَزَالهَا" (ferħħzalha) عوض "فَرَّخْ عَزَالهَا" (أي ولد غزالها) : انظر و. مارسي "تلمسان ص. 26. ومما ينبغي الإشارة اليه أيضا جواز انتقال الغين إلى الهمس اذا كانت قبل حرف مهموس :

نحو قولهم في تونس العاصمة "يَخْسَلُو" (yahslu) في "يَغْسَلُو" (yağslu) (اي يغسله) وقولهم كذلك في اللهجة المالطية "تَحْسِل" (tahsil) (أي الغسيل) وبتلمسان "خَسِل" (hsel) (اي غسل) : انظر بروكلمان "المختصر" ١ ، ص 162.

الحروف الرخوة التي من وسط الحلق

كان في السامية حرفان رخوان من وسط الحلق أحدهما مهموس والثاني مجهور وهما : ح - ع وهذا الصوتان نادران في المجموعات اللغوية غير السامية فهما إذن من الخصائص الصوتية البارزة التي كان نظام حروف اللغة السامية يمتاز بها .

وقد احتوت العربية القديمة على نفس هذين الحرفين الرخوين اللذين من وسط الحلق بالضبط وهما يمثلان فيها حرفي السامية المذكورين.

ويذكر سيويه (II ، ص 453) والزمخشري، ابن يعيش (X ، ص 123-124) أن مخرج هذين الصوتين هو "وسط الحلق" وفعلا فإن هذين الصوتين يقرعان بدعك الهواء الصاعد من الصدر بين جوانب وسط الحلق (pharynx) منقبضة انقباضا شديدا : فهما إذن وفعلا "حرفان رخوان يقرعان من وسط الحلق" (spirantes pharyngales) في عرفنا. والحاء مهموسة (sourde) بينما العين مجهورة (sonore)

ولم يشر النحاة القدامى إلا إلى عدد قليل من التغييرات المطلقة التي تطرأ على الحاء والعين من ذلك - فيما يبدو - أن العين قد أبدلت حاء في المثالين التاليين : "رَبِح" عوض "رَبَع" وهو الفصيل ينتج في الربيع (أو في الخريف) و "ذَبِح" عوض "ذَبَع" تقال في الفرس إذا لهث وهو يجري. وكذلك أبدلت العين همزة في قولهم "أَبَاب" عوض "عُباب" وهو الموح المتضخم (وهو من بيت ذكره الزمخشري، ابن يعيش، X ، ص 15-16) وأبدلت العين غينا في "لَعَن" عوض "لعن" من بيت للفرزدق (انظر هول "النحو العربي"، IV ، ص 1390) : وبحسن مقارنة هذا

المثال بأمثلة الصيغ المزدوجة التي أبدت فيها الغين عينا والمذكورة أعلاه.

وثمة عدة أمثلة يظهر أن الحاء قد أبدت فيها هاء نحو "طَهَرَ" في "طَحَرَ" أي أبعد ونحى. ونحو "مَدَّة" في "مَدَحَ" (انظر هول "النحو العربي"، ١٧ . ص 1366) .

وأما التغيرات المقيدة الطارئة على الهاء والعين فليست أكثر بكثير من التغيرات المطابقة. وتتحصر في بعض عمليات الإدغام من ذلك :

ع ح ← ح : نحو "ارْفَحَاتِمَا" في ارفَع حَاتِمَا
ونحو قراءة ابن العلاء "فَمَنْ زُجْزَعِنَ النَّارِ" في "فَمَنْ زُجْزَحَ عِنَ النَّارِ" (قرآن III : 182) باسقاط حركة الحاء وإدغامها في العين (الزمخشري ابن يعيش X : ص 136)

ح ع ← ح : نحو "اذْبَحْتَدَا" في "اذْبَحْ عَتْدَا" وهو التيس الصغير (الزمخشري ابن يعيش : نفس المرجع)

ع ه ← ح : نحو "مَحَّم" في "مَعَهُم" و"مَحَاؤُلَاءِ" في "مَعَ هَوَاؤُلَاءِ" ويكثر هذا الإدغام بالخصوص في لهجات بني تميم (الزمخشري ابن يعيش: X : ص 136-137)

ومن المسائل الهامة في الألسن النارجية العربية العصرية في هذا السياق مسألة تفخيم الحاء والعين أو ترقيقهما. فهذان الحرفان لم يكونا في العربية الفصحى مفخمين ولا من الحروف التي تمنع إمالة الفتحة المجاورة لها (انظر سيديويه : II ، 285) وأما في العربية الأخرجة فيجب التمييز بين اللهجات التي الحاء والعين فيها منخمان في الأصل وتمنعان الإمالة (كلهجات سكان المدن بسوريا وفلسطين مثلا) وبين اللهجات التي يجوز فيها تفخيم الحاء والعين أو ترقيقهما وذلك حسب الجوار الصوتي مثل لهجة حوران (بجنوب سوريا) فيقولون في هذه اللهجة "صَالِحَه" (ṣālḥe) (بترقيق الحاء وإمالة الفتحة) ولكنهم يقولون "فَلَاحَه" (flāḥe)

(flāḥa) (بتفخيم الحاء وعدم إمالة الفتحة) وكذلك يقولون "مُلِيحَة" (molihe) (بالتريق والإمالة) ولكن "مَفْتُوحَة" (maffūḥa) (بالتفخيم وبدون إمالة) ... الخ وكذلك "صَبَعَة" (ṣabʿa) (اي سبعة و"أرْبَعَة" (arḇaʿa) (بتفخيم العين وبدون إمالة) ولكنهم يقولون "تَسْعَة" (tesʿe) (بترقيق العين وبالإمالة) و"وسِيعَة" (wasīʿe) (بالتريق وبالإمالة) إلا أنهم يقولون أيضا: "مَصْنُوعَة" (maṣnūʿa) (بالتفخيم وبدون إمالة)... الخ ويبدو أن انتباض عَصَلَات وسط الحلق أدخل في الحلق عند التنخيم منه عند التريق (انظر كاتينو : "نهجات حوران العربية" : الاطلس الخرائط رقم 25 و26 و48) .

ولا يطرأ على الحاء والعين الا عدد قليل من التغييرات المقيدة في اللهجات العربية منها بعض عمليات الادغام المباشر نحو قولهم : "خُدْحُ حِبَابَه" (ḥdöḥ ḥöbābāḥ) في "خُدْعُ حِبَابَه" (ḥdöʿ ḥöbābāḥ) (اي خدع احبابه) و"صَبَّحُ حَلِيمَة" (ṣbah ḥalīma) في "صَبَعُ حَلِيمَة" (ṣbaʿ ḥalīma) (أي اصبح حليمة) و"فَرَحُ حَلِيْسِي" (fraḥ ḥalīya) في فَرَحُ عَلِيْسِي" (fraḥ ʿalīya) (أي فَرِحَ لي) و"بِرُوعُ عِنْدَنَا" (iröʿ ʿandna) في "بِرُوحُ عِنْدَنَا" (iroh ʿandna) (أي يذهب الينا) ومنها أيضا انتقال العين من الجهر الى الهمس أي إبدالها حاء ويقع هذا الابدال في حالة الاتصال مباشرة أو في حالة الانفصال داخل كلمة واحدة نحو قولهم: "مَحْفُونُ" (maḥfūn) في "مَعْفُونُ" (maʿfūn) أي غير منظم ولا مرتب و"يَحْفَسُ" (yaḥfes) في "يَعْفَسُ" (yaʿfes) أي يدوس و"حُشِبُ" (ḥöʿseb) في "عُشِبُ" (ʿöʿseb) أي عُشِبَ و"حَسِلُ" (ḥʿsel) في "عَسِلُ" (ʿasel) اي عَسَلَ ومنها أيضا عمليات القلب نحو قولهم : "مَعِيلَقَة" (mʿelqa) في "مُلِيَعَقَة" (mlīʿqa) (أي ملعقة) ونحو قولهم بالخصوص : "عَمَّا" (ʿmā) في "مَعَا" (mʿā) (أي مَعَ) وذلك في كثير من لهجات الانجاد العالية (Hauts - Plateaux) وصحراء الجزائر (انظر و. مارسي "تلمسان" ص 25-26 و "أولاد ابراهيم" ص 10-11 وانظر م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 72 و99) .

الهاء الرخوة الحلقية

كان في السامية حرف حلقي هو الهاء

ويوجد نفس هذا الحرف في العربية القديمة ويمثل بها عادة امتدادا للحرف السامي ويذكر النحاة العرب أن مخرج الهاء هو "أقصى الحلق" (انظر سيويه II ، ص 453 والزمخشري ابن يعيش، X ، ص 123-124) وهو حرف رخو يقرع بأن تدفع الهواء من رثيك دفعا قويا فيدعك جوانب أقصى الحلق .

ويعتبر النحاة العرب الهاء حرفا مهموسا فيبدو إذن أن هذا الحرف هو من حيث علم الاصوات حرف مهموس في معنى كلمة "سُورْدٌ" (sourde) بالفرنسية إلا أنه من حيث علم وظائف الاصوات حرف حيادي بالنسبة إلى الجهر وذلك لأنه لا يوجد في اللغة حرف مجهور يقابله.

يكاد لا يطرأ على الهاء من التغييرات المطلقة شيء على أنه ينبغي الإشارة إلى العملية الصوتية المسماة "فَحْفَحَة" أي إبدال الهاء عينا وقد ذكرها السيوطي في كتابه "اقتراح" ... ص 99. سطر : 12 (انظر برافمان: "مواد" ... ص 42) والفحفة من لغة بني هذيل وقد يبرز حرف الهاء في آخر بعض الكلمات وذلك عند الوقف وهو ما سماه النحاة العرب "هاء السكت" وسننظر في هذه المسألة في ما بعد عند تعرضنا لدراسة مشكلة "الوقف" وتنحصر التغييرات المقيدة التي تطرأ على الهاء في بعض عمليات الادغام : فتدغم الهاء في الحاء وقعت بعدها أم قبلها فيجوز قراءة "اذبحآذ" في "اذبح هذه" و"إجبحآتما" في "إجبه حاتمًا" (أي إضربه على جبهته). وكذلك يجوز ادغام الهاء في العين قبلها أو بعدها وينتج عن هذا الادغام كما سبق لنا أن قلناه أعلاه حاء مضممة. فيجوز ان نقول "محم" في "معهم" و"إجبحثبته" في "إجبه عتبة" ويكثر هذا الادغام الأخير بالخصوص في لهجة بني تميم (انظر الزمخشري ابن يعيش، X ، ص 136-137).

وقد بقي عادة حرف الهاء القديم سالما من التغيير في اللسان الدارجة العربية العصرية إلا أنه تجدر الإشارة إلى :

أ) وجود هاء مجهورة إلى جانب الهاء المهموسة فقد أشار إلى وجود هذه الهاء المجهورة م. كوهين في لهجة "يهود مدينة الجزائر" ص 32 ولاحظت بنفسها وجودها في لهجات مختلفة ويبدو في هذا الصدد أن الهاء تكون مجهورة إذا وقعت بعد حرف مجهور وتكون مهموسة إذا وقعت بعد حرف مهموس : فقد تمكنت من التحقق عن طريق التجربة من أنهم يقولون "بَيْتَهَا" (bīṭha) بهاء مهموسة و"دَارَهَا" (dārha) بهاء مجهورة وليس المهذ المتقابلة بين الهاء المجهورة والهاء المهموسة أية قيمة من حيث تمييز معاني الالفاظ بل لا يشعر المتكلمون بوجودها عادة (مثلها في ذلك مثل المتقابلة بين اللام المهموسة واللام المجهورة في اللغة الفرنسية).

ب) جواز تفخيم الهاء في بعض اللهجات إذا وقعت في جوار أصوات تقتضي التفخيم. فقد لاحظ و. مارسي بحامة قابس (انظر الجريدة الاسيوية) (Journal Asiatique) : جويلية-سبتمبر 1933 ص 65) أن جرس الحركة الموجودة في ضمير الغائبة المفردة "ها" يتأثر بتسوس الصوت السابق لذلك الضمير فقد سمعت في اللهجات الشرقية كللهجات حوران مثلا تفخيما حقيقيا يقع بإشباع انقباض عضلات أقصى الحلق إشباعا أشد نحو قولهم "أبُوها" (abūha) بتفخيم الهاء و"تَسِيهِه" (nesīhe) بدون تفخيم وبإمالة الفتحة التي بعد الهاء.

ج) جواز ضعف الهاء أحيانا إلى درجة السقوط والإضمحلال تماما وذلك ما يحدث في ضمير المفرد الغائب فأصل ضمير اللهجات وهو مجرد ضمة (u) أو ضمة منفتحة قليلا (o) هوَه (ahu) بسقوط الهاء، وتسقط الهاء أيضا من ضمير المفردة الغائبة "ها" (hā) والجماعية الغائبة "هُم" (بالضمة المنفتحة قليلا) (hom -) وذلك في بعض لهجات الحضر بشمال افريقيا كللهجة يهود مدينة الجزائر مثلا إذ يقولون "شَغْلُم" (šēglum) أي "شَغْلُم" : انظر م. كوهين ص 339-340. ويجدر كذلك الإشارة إلى سقوط الهاء بشمال افريقيا من العبارة الكثيرة الاستعمال "مَنَّا" (mönna) أي مِنْ هُنَا وسقوطها من بعض الكلمات الاخرى مثل قولهم "فَوَاك" (fwāki) أي فَوَاكِه و"صَارِيح" (šārīz) أي "صهريج" انظر و. مارسي "تلمسان" ص 19 .

ويطراً على الهاء في الألسن الدارجة كما في العربية القديمة عدد ما من التغيرات المقيدة وخاصة عمليات الادغام. انظر في ما يتعلق بلهجات المغرب العربي : و. مارسى "اولاد ابراهيم" ص 11 و "تلمسان" ص 25-26. فقد ذكر هذا المؤلف قولهم "جَرَحًا" (žraḥḥa) في "جَرَحُهَا" (žraḥḥa) "يَكْرَحُ حَبَابِنَا" (yekrah ḥbābna) في "يَكْرَهُ حَبَابِنَا" (yekrah ḥbābna) و "قَلَحًا" (glaḥḥa) في "قَلَعُهَا" (glaḥḥa) (أي قلعها) .

وجاء في اللهجات الشرقية قولهم كذلك "مَحَّ" (maḥḥa) أو "مَعَّ" (maḥḥa) "في مَعَّهَا" (maḥḥa) أي "مَعَّهَا" و "مَحَّهُمْ" (maḥḥom) أو "مَعَّمْ" (maḥḥom) في "مَعَّمْ" (maḥḥom) أي "مَعَّهُمْ" و قولهم "أَصْبَحَّ" (ošbaḥḥa) و "أَصْبَحَّمْ" (ošbaḥḥom) أو "أَصْبَعَّ" (ošbaḥḥa) و "أَصْبَعَّمْ" (ošbaḥḥom) في "أَصْبَعَّهَا" (ošbaḥḥa) و "أَصْبَعَّهُمْ" (ošbaḥḥom) أي اصبعها واصبعهم .

ويجوز في لهجات حوران (بجنوب سوريا) ادغام الهاء في التاء والتاء والسين والصاد والشين والحاء نحو قولهم : "خَرُوفًا" (ḥarūffa) في خروفها (ḥarūfha) و "بَيْتَّ" (bētte) في "بَيْتَّهَا" (bēthe) و "بَسَّاسَّ" (bsāsse) في "بَسَّاسَّهَا" (bsāshe) أي قسطها "وَقَرَّصَّ" (garāṣṣa) في "قَرَّصَّهَا" (garāṣḥa) أي قرصها و "فَرَّاشَّ" (frāšše) في "فَرَّاشَّهَا" (frāšhe) أي زرابيها و "فَرَّاخَّ" (frāḥḥa) في فَرَّاخَّهَا (frāḥḥa) أي فراخها .

الحرف الشديد الاقصى حلقي

كان في السامية حرف شديد من أقصى الحلق هو الهمزة وكان هذا الحرف يرسم عادة بواسطة علامة تدعى "ألف" (alēp) بالعربية "وَأَلَب" (ālāp) بالآرامية و "الف" (alf) بالحبشية .

وقد ضعف هذا الحرف في اللغة الآرامية (إلا إذا كان في أول

الكلمة فيما يظهر) وفقد تقريبا كل قيمته الحرفية وخصوصا في آخر الكلمة حيث لم يستعمل الا للدلالة على الحركات وخلافا لذلك فإن العربية القديمة قد احتفظت احتفاظا كاملا أو يكاد بهذا الحرف الشديد الاقصى حلقي.

ولما استعمل الناس الخط الآرامي لكتابة العربية (أى ابتداء من القرن الثالث المسيحي) تساءلوا عن كيفية رسم هذا الحرف الشديد الأقصى حلقي: فبان لهم أن الالف وهو ما يوافق الـ "آلاب" (pālāp) في الآرامية لا ينبغي بالحاجة في هذا الشأن إذ قد فقدَ تقريبا قيمته الحرفية كلها واذ كان استعماله اصح لرسم الفتحة الممدودة. ولذلك فقد ابتكروا عندما حسنوا الخط العربي لكتابة القرآن ابتكروا علامة خاصة سموها الهمزة وأفردوها لرسم هذا الحرف الشديد الأقصى حلقي .

الا أن هذه العلامة كانت مثل جميع علامات الرسم تكتب فوق الحروف. فتساءلوا إذن على أى حرف يجب رسم الهمزة : وهكذا قامت مشكلة دقيقة هي مشكلة الحرف الذي ترسم عليه الهمزة. وليس علينا هنا أن ندرس هذه المسألة إذ هي تتعلق بالكتابة ولذا نكتفي بالإشارة إلى بعض القواعد العامة في هذا المضمار بدون أن نتعرض إلى الدقائق والجزئيات.

فإذا وقعت الهمزة أولا رسمت على الألف مطلقا وإذا وقعت وسطا وكانت متبوعة أو مسبوقه بكسرة أو بضمة رسمت على الياء أو الواو. أما في الحالات الاخرى فترسم على الألف .

وإذا وقعت آخرا وكانت مسبوقه بكسرة أو بضمة رسمت على الياء أو على الواو. وأما في الحالات الاخرى فترسم على الألف وترسم الهمزة وسطا أو آخرا إذا كانت مسبوقه بحرف ساكن أو بحركة مزدوجة أو بحركة طويلة .

وينسب النحاة العرب (سيبويه : II ، ص 453 والزمخشري ابن يعيش X ، ص 123-124) إلى الهمزة نفس المخرج الذي نسبوه الى الهاء أى اقصى الحلق وعلاوة على ذلك فقد حشروا الهمزة في زمرة الحروف الشديدة أي في زمرة ما يسمى بالفرنسية "أكأوزيف"

(Cclusives) وفعلا فان هذا الحرف حرف شديد أقصى حلقى (ا) يقرع باطباق الاوتار الصوتية الواحد على الآخر وبحول هذا الاطباق طبعا دون ارتعاش الاوتار الصوتية ولذا كانت الهمزة مهموسة بالطبع وقد اتخذ بعضهم ترتيب سيوييه للهمزة ضمن الحروف المجهورة حجة لنفي توافق لفظي مجهورة بالعربية و"سُنُور" (sonore) بالفرنسية، وقد سبق لنا (ص 35) أن بيننا رأينا في هذه المسألة.

وفيما يتعلق بإمكان تفخيم الهمزة يجب الرجوع الى فالين (Wallin) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية (Z D M G)، IX ص 45 والى "برافمان" "مواد" ص 39-40.

ويطراً على الهمزة تغييرات مطلقة مختلفة (على الأقل بصفة جزئية) وأهمها هي ابدالها عيناً وتخفيفها او سقوطها تماما ويسمى "تقلا"

فاما ابدالها عيناً فخاصية تابعة للهجات تسمى "العنخنة" وتوجد بالخصوص عند بني تميم وقيس نحو قولهم : "ظننت عنك ذاهب" أى "ظننت أنك" وقولهم كذلك "عَسَلِم" في "أَسَلِم" و"عَمْدُن" في "أُذُن" ... الخ انظر السيوطي : "المزهر ا ، ص 109 .

وأكثر من ذلك تخفيف الهمزة وسقوطها تماما، وينبغي الرجوع فيما يتعلق بهذه المسألة الهامة الى فولرس (Vollers) "لغة الشعب" ... ص 83-97 و ج. فايل (G. Weil) : "علاج الهمزة - الالف في العربية وخاصة حسب تعليم الزمخشري وابن الأنباري (مونيخ 1905) " Die Behandlung des Hamza-Alif im Arabischen besonders nach der Lehre von az-Zamahşari und Ibn al ʿAnbāri." (Munich 1905) والى أ. شَادِه (A. Schaade) "علم الاصوات عند سيوييه" (Sibawaihis Lautlehre) ص 32-34 والى أ. بريترز (O. Pretzl)

(I) ينبغي اجتناب تعريف الهمزة باستعمال عبارات مثل صدمة حركة صلبة (attaque vocalique dure) أو انطلاقة حركية قوية (détente vocalique forte) فهذه العبارات وان لم تكن غالبة قد تؤدي الى الالتباس ، وينبغي التعود على فكرة أن الهمزة هو حرف شديد كغيره من الحروف .

”علم التجويد“ (Die Wissenschaft der Koranlesung) في مجلة : اسلاميكا (Islamica) ، VI ، ص 303-316. وأما في ما يخص النحاة العرب فينبغي الرجوع في هذا الشأن الى سيويه : II ، ص 168-176 ولى الرمخشري، ابن يعيث : IX ، ص 107-120 وإلى أكثر التصانيف في القراءات (وخصوصا كتاب التيسير للداني) وكذلك الى أكثر كتب التجويد.

ويميز النحاة العرب بين :

(أ) إضعاف الهمزة ويسمى ”تخفيفا“ أو ”تسهيلا“ أو ”تليينا“ وتنطق الهمزة في هذه الحال وسطا بين نطقها الشديد أو الصحيح ويدعى تخفيفا وبين نطق الحركة : ولذا أسموها ”همزة بين بين“ أي وسطية.

(ب) وبين إبدال الهمزة إما حركة طويلة أي فتحة طويلة أو كسرة طويلة أو ضمة طويلة وإما نصف حركة أي ياء أو واو. ويدخل هذا العلاج للهمزة في طائفة عمليات صوتية عند العرب باسم ”البدل“ أو ”الابدال“ أو ”القلب“.

(ج) وبين سقوط الهمزة تماما ويسمى ”نقلا“ وقد اختلف طبعاً مختلف مدارس القراءات القرآنية في علاج الهمزة اختلافاً ذا بال.

فكان القراء الذين أصلهم من ما بين النهرين (أي العراق اليوم) ومن شرقي الجزيرة العربية كابن العلاء من البصرة والكسائي من الكوفة وحمزة من الكوفة مولى بني تميم وعاصم من الكوفة وحفص تلميذه الشهير (وقراءة حفص من أشد القراءات انتشاراً في الإسلام) كانوا يخففون نطق الهمزة تخفيفاً، وخلافاً لذلك فإن القراء الغربيين الأصل أي قراء الحجاز مثل ابن كثير من مكة ونافع وتلميذه الشهير ورش (وقراءة ورش قراءة ذاتعة جدا كذلك) كانوا قد تأثروا باللهاجات المحلية فأقرأوا عدداً كبيراً من عمليات تخفيف الهمزة أو سقوطها.

وسندرس على التوالي

- 1- الهمزة إذا كانت أولاً
- 2- الهمزة إذا كانت وسطاً
- 3- الهمزة إذا كانت آخراً وخصوصاً عند الوقف

1- إذا وقعت الهمزة أولاً حقت عادة تحقيقاً كاملاً إلا أن الهمزة الأولى حسب قراءة ورش التقليدية تسقط إذا وقعت بعد كلمة تنتهي بحرف (ويدخل في ذلك الواو والياء وهما حرفان عندهم والتنوين ولا م "ال" فيجب مثلاً قراءة "قَالَتُخَرَأَهُمْ" في "قَالَتُ أَخْرَاهُمْ" (قرآن: VII 36) و"قُلْعُوذُ" في "قُلْ أَعُوذُ" (قرآن: CXIII ، 1 و CXIV ، 1) (حسب البياضوي) و "الترض" و "الآخرة" و "الاولا" في "الأرض" و "الآخرة" و "الأولى" ... الخ (انظر الداني التيسير" ص 35-36 و أ. بريتل "علم التجويد" ص 312-313.

ويذكر فولرس في "لغة الشعب" ص 90 أمثلة سقطت فيها الهمزة وحركتها. إلا أنه يظهر في الحقيقة ان سقوط الحركة هو الذي سبب سقوط الهمزة : ولذا فسندرس هذه المسألة في باب "دراسة نظام الحركات"

وأما فيما يتعلق بترددهم في أول بعض المواد الصرفية بين استعمال الهمزة او الواو او الياء فانظر نولدكه (Noldeke) "مساهمات جديدة... (Neue Beitrage) ص 202-206 .

2- وفيما يتعلق بالهمزة الواقعة وسطا يجب التمييز بين :

(أ) الهمزة الواقعة بين حركتين

(ب) الهمزة الواقعة بين حركة وحرف

(ج) الهمزة الواقعة بين حرف وحركة

(أ) فإذا وقعت الهمزة بين حركتين جاز تصور 9 مجموعات هي :
 "أ" (a > a) و "ي" (a > i) و "و" (a > u) و "أ" (i > a)
 و "ي" (i > a) و "و" (i > u) و "أ" (u > a) و "ي" (u > i)
 و "و" (u > u)

تخفيفها مطرد في المجموعات الآتية :

يـ يـ وـ وـ وـ (نحو سَيِّؤُهُ : قرآن XVII ، 40) و يـ وـ وـ

وأما في المجموعة: "سَاءَ" فقد ذكر الأزرق أن ورشا يحقق الهمزة وأنَّه يقرأ مثلاً "مَأَبٌ": قرآن ، XIII ، 28 و36 الخ ... و"مَسَّارِبٌ": قرآن XX ، 19 و"تَأَخَّرَ" قرآن II ، 199 و XLVIII ، 2، و"فَأَذَّنَ": قرآن VII ، 42 ... الخ وخلافاً لذلك فقد روى الاصبهاني أن ورشا يقرأ التخفيف في بعض حالات وقوع الهمزة ذلك الموقع: نحو "كأنه" في "كأنه" قرآن VII ، 170 و XXVII ، 42 الخ و"رايت (لرايته) في رأيت قرآن XII ، 4 الخ ...

وكذلك حسب حمزة وهشام السُّلَمِي وهو أحد تلامذة ابن عامر قراءة "مَاءٌ" في "ماء" (في الوقف عند النكرة المنصوبة) إلا أن قلب همزة بعض الأفعال المهموزة العين والمهموزة اللام حرف علة سببه القياس في نظرنا وسنرى ذلك بعد حين.

وأما فيما يتعلق بالمجموعة سَوُّ فعن الأزرق ان ورشاً كان يحقق الهمزة ويقرأ "لا يؤوده" قرآن : II ، 256 و"تَوُزُّهُمُ" (أي تدفعهم الى الشر) قرآن : XIX ، 86.

وخلافاً لذلك فإن حمزة (وهو ممن يحققون الهمزة عادة) كان يقرأ بتخفيفها إذا وقعت ذلك الموقع فيقرأ بالخصوص "آبَاؤُكُمْ" : قرآن IV ، 12... الخ (إلا أنه يجوز في هذا المثال تفسير هذا التخفيف بحدوث عملية تباین ناتجة عن تأثير الهمزة الأولى. انظر ما سيأتي في هذا فيما بعد).

وأما بخصوص مجموعة "سِيءٌ" فقد اجمع النحاة (مثل سيويه II ، ص 169) والقراء (مثل ورش عن الاصبهاني وحمزة) على قلب الهمزة ياء فقرأوا مثلاً "بِيئِي" و"فِيئِي" في "بَائِي" و"فِيئِي" وكذلك "بِيئِي" و"بِيئِي" في "بَائِي" و"بَائِي" في "مُلِيئِي" في "مُلِيئِي" قرآن : LXXII ، 8 و"نَاشِيَةٌ" في "نَاشِيَةٌ" (أي أول الليل) قرآن : LXXIII ، 6. وهكذا يفسر ترددهم بين قراءة "بَادِي" و"بَادِيء" (قرآن XI ، 29) (ذكره البيضاوي عن ابن العلاء)

وقد أجمع النحاة والقراء كذلك على قلب الهمزة في مجموعة

”تُو“ واوا فقرأوا مثلاً ”فُوَاد“ في ”فُوَاد“ قرآن XXVIII ، 9 ... الخ وقالوا كذلك : غلامٌ وبيك : ذكره سيبويه II ، ص 169 .

ب) واذا وقعت الهمزة بين حركة وحرف فعن النحاة (كسيبويه : نفس المرجع) وعن القراء (كورش وحمزة) أنها تخفف بل وقد تسقط أيضا وتمد الحركة التي قبلها .

فورش وحمزة يقرآن ”يَأْخُذُ“ في ”يَأْخُذُ“ و”يُؤْمِنُونَ“ في ”يُؤْمِنُونَ“ وعن الأزرق أن ورشا يقرأ بالخصوص تخفيف الهمزة في الكلمات التالية : ”بِشْسَ“ و”بِسْمَا“ و”بِشْرَ“ و”الذئب“ و”لثلا“ .

وروى الاصبهاني أن ورش يُقِرُّ بصفة أعم تخفيف كل همزة متبوعة بحرف أو إسقاطها ولم يشذ عن هذه القاعدة حسبهم إلا الهمزة الوسطى في ”لؤلؤ“ و”جث“ و”بأس“ و”كأس“ و”رأس“ و”رثيا“ (أي ومنظرا جميلا) قرآن : XIX ، 75 وهمزة مختلف الصيغ المشتقة من مادة ”ن ب ء“ و”قرء“ و”هـ ي ء“ و”ع و ي“ ويجوز ادغام همزة ”وي“ هذه في الواو اذا اتصل الحرفان اتصالا مباشرا نحو ”تُوِي“ في ”تُوُوِي“ (قرآن XXXIII ، 51) و”تُوِيه“ في ”تُوُوِيه“ قرآن LXX 13 (وهي قراءة حمزة)

ج) إذا وقعت الهمزة بين حرف وحركة كان تخفيفها وإسقاطها (بمدّ الحركة التي بعدها أو بدونها) مطردين وذلك حسب النحاة وحسب القراء علي السواء فقد ذكر سيبويه في هذا المضمار II ، 170 قولهم ”المرة“ و”المرة“ في ”المرأة“ و”الكمة“ و”الكمة“ في ”الكثأة“ وهو نبات يوجد في الربيع تحت الأرض يقال له : ”تروُف“ (truffe) بالفرنسية.

ويذكر سيبويه أيضا أن عيسى (1) كان يقرأ ”ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخب (أي الخبأ) في السموات والارض“ قرآن XXVII ، 25.

(I) ويجوز أن يكون عيسى هذا اما ابا الحارث عيسى بن وردان المتوفى سنة 160 هـ. وتلميذ أبي جعفر من قراء المدينة واما ابا عمر عيسى بن عمر الثقفي من مدرسة البصرة والمتوفى سنة 149 هـ. واما ابا عمر بن عيسى بن عمر الحمداني الأعمى من مدرسة الكوفة والمتوفى سنة 156 هـ.

وعن حمزة نفسه انه يجوز إسقاط الهمزة تماما اذا وقعت بين حرف وحركة في نحو قولهم "المر" في "المرأ" و"شي" في "شيء" و"قرآن" في قرآن" و"يسل" في "يسأل... الخ وبذلك نفسر قولهم في مضارع رأى "يرى" عوض "يرأى". وسقوط الهمزة اذا وقعت أولا وكانت مسبوقه بكلمة تنتهي بحرف أو مسبوقه بال التعريف سقوط تابع لنفس هذه النزعة انظر بهذا الخصوص ما ورد أعلاه ص 125 وكذلك سيويه II ، 170

3 - إذا وقعت الهمزة آخرها ووقف عليها وجب التمييز بين أ) الهمزة المسبوقه بحركة ب) وبين الهمزة المسبوقه بحرف (انظر سيويه II ، ص 311-313 والزمخشري - ابن يعيش IX ص : 73-74).

أ) فإذا كانت مسبوقه بحركة جاز علاجها بثلاث كيفيات وذلك بحسب نزعات لهجات النحاة والقراء فإما أن تحقق الهمزة تحقيقا لا أكثر ولا أقل نحو "أَكْمُو" جمع "كَمَاة" و"خَطَا" وأهْنِيء" (أي أعْطِي) وأما أن تكون مسبوقه بفتحة فتقلب نصف حركة من جنس حركة الاعراب التي تليها اذا كانت هذه الحركة ضمة أو كسرة نحو قولهم "هذا الكَلَو" في "هذا الكَلَا" و"مررت بالكَلَي" أي بالكَلَا الا انهم يقولون "رايت الكَلَا" أي "الكَلَا" بسقوط الهمزة ومدّ الفتحة السابقة وذلك لأن حركة الاعراب هي نفسها فتحة في هذه الحال واما أن تسقط وتمدّ الحركة السابقة لها نحو "أَكْمُو" و"خَطَا" و"أهْنِيء" ويبدو أن هذا العلاج هو من خصائص لغة الحجاز ونجده كذلك في قراءة حمزة وهشام (رغم أن حمزة من أصل شرقي) انظر الداني : "تيسير" ص 37-38 وأ. برينزل "علم التجويد" ص 314 .

ب) وإذا كانت الهمزة مسبوقه بحرف جاز علاجها بأربع كيفيات مختلفة :

1) فاما أن تحقق وأن تدخل بينها وبين الحرف الذي قبلها -تسهيلا للنطق بها - حركة فصل يكون جرسها إما من جنس جرس حركة الاعراب التي سقطت للوقف نحو "هذا الوَثُو" في "هذا الوَثَا" (أي الوصم

يصيب اللحم ولا يبلغ العظم) (Lésion) و"من الوثي" في "من الوثء" و"رأيت الوثأ" في "رأيت الوثء" - أو من جنس جرس الحركة الأصلية السابقة للهمزة نحو قولهم: "بُطء" في "بُطء" و"ردء" في "ردء" (أي الاعانة) و"وثأ" في "وثء" وذلك في جميع حالات الأعراب.

(2) وأما أن تقلب الهمزة نصف حركة أي واوا إذا كانت حركة الأعراب ضمة أو ياء إذا كانت حركة الأعراب كسرة أو تقلب فتحة طويلة إذا كانت حركة الأعراب فتحة فنقول في الأمثلة السابقة ذاتها: "هذا الوثو" و"هذا الردو" و"هذا البطو" في حالة الرفع ونقول "من الوثي" و"من الردي" و"من البطي" في حالة الجر ونقول "رأيت الوطأ" و"الردأ" و"البطأ" في حالة النصب.

(3) وأما أن تقلب الهمزة حركة طويلة يكون جرسها إما من جنس جرس حركة الأعراب التي سقطت (لوقف) نحو "هذا الوثو" و"الردو" و"البطو" في حالة الرفع و"من الوثي" و"الردي" و"البطي" في حالة الجر و"رأيت الوثأ" و"الردأ" و"البطأ" في حالة النصب (أي كما في الحالة السابقة) أو من جنس جرس حركة المقطع السابق نحو "بطو" و"ردي" و"وثأ" في جميع حالات الإعراب.

(4) وأما أخيراً، أن تسقط الهمزة بدون أن يبقى لها أثر: نحو "وثء" و"ردء" و"بطء" ولا نجد في آخر هذه الكلمات حركة إلا في حالة النصب إذا كانت الكلمة نكرة فنقول بفتحة طويلة "وثأ" و"ردأ" و"بطأ" ويبدو أن قراء القرآن وخاصة حمزة وهشام قد تبناوا هذا العلاج الرابع للهمزة: انظر الداني "تيسير ص 37-39 (و أ. بريتل: علم التجويد ص 314-315).

ومن الطبيعي أن يكون لهذا الضعف في الهمزة في مواقع مختلفة تأثير في الصرف وخاصة فيما يتعلق بتصريف الأفعال من ذلك قولهم "سأل" إلى جانب "سأل" وبمعناه وينبغي البحث عن أصل هذه الصيغة أي "سال" في صيغتي الأمر والمضارع المجزوم من نحو "سأل" (قرآن II ، 207) و"سألهم" (قرآن LXVIII ، 40) : وأصل "سأل" فيما يبدو "إسأل".

وقد بَسَّنُوا من هاتين الصيغتين صيغة "سال" في الماضي (وهي قراءة نافع وابن عامر في "قرآن LXX، 1": قارن بما جاء في كتاب سيويوه II، 123.

ومن ذلك أيضا وقد سبق ذكره - صيغة المضارع "يرى" الأمر منه "ر" أو "رَه" وكلهما من رأى. وينبغي كذلك في هذا الصدد المناظرة بين بعض الصيغ المزدوجة مثل "جَاشَّ" أي تكدر واضطرب و"جَاشَّ" أي اضطرب اضطرابا شديدا ومثل "نَاشَّ" أي أخذ وقبض بشدة، و"نَاشَّ" أي أخذ وتناول بيده. ومثل "لَامَّ" أي اعتبره لئما ووبَّخه و"لام" أي وبَّخ... الخ.

ونجد مثل ذلك في الافعال التي وقعت الهمزة فيها موقع اللام من ذلك ما جاء في بعض القراءات القرآنية من إسقاط همزة "خَطَّيْءٌ" أو تعويضها بياء في بعض الصيغ المشتقة من هذا الفعل نحو "خَطَّيُونَ" و"خَطَّوْنَ" عوض "خَطَّيُونَ" (قرآن LXIX، 37) ونحو "خَطَّيْتَهُ" (قرآن II، 75) و"خَطَّأً" عوض "خَطَّأً" (قرآن IV، 94) و"خَطَّأً" عوض "خَطَّأً" ومن ذلك أيضا قوله "وَالصَّابُونَ" عوض "وَالصَّابُونَ" (قرآن V، 73 : حسب البيضاوي) ... الخ

وبذلك نفسر وجود عدد كبير من الصيغ المزدوجة مثل "كفأ" و"كفى" بنفس المعنى و"اجزأ" و"اجزى" بنفس المعنى أيضا و"غبا" و"غبي" بمعنى: هيباً ورتب ... الخ .

ويمكن أن نعتبر أن نقطة الانطلاق في هذا التطور المتعلق بالهمزة في الأمثلة الفعلية المذكورة هو المضارع المجزوم إذ تسقط الهمزة في آخره وتمد الحركة التي قبلها نحو: يَكْفِيْءُ ← يَكْفِيْ

وهناك أيضا أمثلة من هذا النوع نجدها في صيغ اسمية بحتة فيجوز ابدال الهمزة بياء أو واوا إذا وقعت عينا في بعض الاسماء نحو قولهم "سؤال" في "سؤال" و"رأس" في "رأس" ومن ثمة قولهم في الجمع "رؤس" عوض "رؤوس" و"أرؤس" ونحو قولهم أيضا "ميساد" في "ميساد" وهو الزرق توضع فيه الزبدة أو العسل .

وقد تتغير الصيغة الأصلية في بعض الاسماء تغيرا بليغا في نحو "مَلَك" وأصله "مَلَأَك" ... الخ . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالاسماء التي الهمزة فيها لام نحو: "مَرَأة" تصير عندهم "مَرَاة" أو "مَرَة" ونحو "كَمَاءة" تصير "كَمَاءة" و"كَمَة" ونحو "قُرْآن" تصير "قُرْآن" ... الخ وينبغي الرجوع في هذا الغرض إلى الامثلة العديدة الواردة في كتاب "فولرس" "لغة الشعب" ... ص 83-97. ويجد الباحث في نفس هذا الموضع من الكتاب كلاما يتعلق بـ "ارجاع الهمزة بعد أن سقطت ارجاعا زائفا".

ويطراً على الهمزة علاوة على عمليات التخفيف أو السقوط العديدة والتي نظرنا فيها أعلاه يطرأ عليها تغييرات مقيدة مختلفة أهمها عمليات الادغام وعمليات التباين.

وعن تعليم النحاة العرب مبدياً أن الهمزة لا تدغم ولا يدغم فيها (انظر الزمخشري - ابن يعيش x ص 134-135، و"هول" "النحو العربي" ١٧ ، 1757-1759) إلا أن ثمة بعض الامثلة لا يمكن تفسيرها الا بافتراض ادغام الهمزة من ذلك ما ذهبوا اليه من وجوب قراءة "المَرء" عوض "المَرء" (قرآن : VIII ، 24) و"جَزء" عوض "جَزء" (قرآن XV 44 حسب البيضاوي) فقد أدغمت الهمزة إذن في المثالين السابقين في الرء والزاي الواقعين قبلها. انظر أمثلة أخرى كثيرة عند "فولرس" "لغة الشعب" ص 92-93، وقد سبق لنا ان ذكرنا مثال "تُؤوي" (قرآن XXXIII ، 51) التي يجوز أن تصير "تُوي" بادغام الهمزة في الواو (ءو ← و) وكذلك مثال "وَرِيءا" بادغام الهمزة في الياء (ءي ← ي) انظر : أ. بريترل "علم التجويد" ص 314-315 حيث نجد بعض الأمثلة الأخرى.

ومثل هذا تماما ادغام الهمزة في تاء صيغ المطاوعة في الفعل نحو قولهم "اتخذ" في "اءتخذ" و"اتزر" في "اءتزر" و"اتكل" في "اءتكل" (ومعناه اشتعل غيضا) و"اتمر" في "اءتمر" (انظر فولرس : ص 89) بيد أن قراءة "تُمن" عوض "أُمن" (قرآن II ، 283) قراءة غالبة حسب البيضاوي .

واذا تابعت همزتان في كلمة واحدة نزعنا الى التباين فتخفف إحداها وقد تسقط تماما من ذلك أن مجموعة "أء" + حرف تصير في أول الكلمة

”آ“ مطلقا وذلك ما يحدث في صيغة أفعالٍ لتعدية من الأفعال المهموزة الفاء نحو قولهم ”آمن“ في ”آمن“ و”آثر“ في ”آثر“ وفي هذه الحال يشيرون عادة الى الفتحة الطويلة برسم مدة فوق الألف. فتختلط الصيغة الرابعة الدالة على التعدية أي أفعَل (causatif) بالصيغة الثالثة الدالة على الاجتهاد أي فاعَل (conatif) وأما عن المجموعة ”أأ“ كما في ”أأندرتهم“ (قرآن II ، 5) فإنه يجوز فيها :

أ) تخفيف الهمزة الثانية وسلامة الحركتين

ب) تخفيف الهمزة الثانية ومد إحدى الحركتين

ج) سقوط الهمزة الثانية وادغام الحركتين فتصيران حركة طويلة أي فتحة طويلة ”ا“ فيقرأ المشال السابق ”أأندرتهم“

وأما المجموعة ”أأ“ كما في ”أذا“ فإنه يجوز فيها تخفيف الهمزة الثانية بمد الحركة الأولى أو بدونه وتعالج المجموعة ”أأ“ بنفس العلاج ويبدو ان جميع المجموعات الممكنة الاخرى تخضع ايضا لنفس العلاج.

وقد تخفف الهمزة تباينا حتى إذا لم تقع الهمزتان في مقطعين متالين أي حتى إذا وقعتا بعيدتين الواحدة عن الاخرى نحو قولهم ”أفأنت“ و”أفأنتم“ و”أفأمنوا“ (قرآن VII 97 و XII ، 107) فان الهمزة الثانية تخفف في كل ذلك. وكذلك في قولهم ”أفأصفاكم“ (قرآن XVII ، 42) و”لأملأن“ (قرآن VII ، 17) ... الخ .

وأخيرا فقد تحدث نفس عمليات التباين هذه في كلمتين منفصلتين ويميز القراء في هذا الصدد ثماني حالات ممكنة هي :

1) حالة : ءء نحو ”جاء أجلهم“ (قرآن VII ، 32 ... الخ : فاما ورش وقنبل (تلميذ ابن كثير) فيسقطان الهمزة الثانية ويدغمان الحركتين الواحدة في الأخرى فتصيران فتحة طويلة فيقرأ ”جاء أجلهم“ وأما قالون (تلميذ نافع) والبرزي (تلميذ ابن كثير) وابن العلاء فانهم يسقطون بالعكس الهمزة الأولى فيقرأون ”جاء أجلهم“ .

(2) حالة : ءء نحو "هؤلاء إن كنتم" (قرآن 11 ، 29 الخ.).
فأما قُنْبُلٌ وَوَرَشٌ فَيَسْقُطَانِ الْهَمْزَةَ الثَّانِيَةَ وَيَدْغَمَانِ الْحَرَكَتَيْنِ فَتَصِيرَانِ
كسرة طويلاً "سي" فيقرآن هؤلاءِ يَنْكُنْتُمْ" في "هؤلاء ان كنتم" (ولكنهما
يقرآن أيضاً "هؤلاءِ يَنْكُنْتُمْ" : قرآن 11 ، 29 و"البغاءِ يَنْكُنْتُمْ" قرآن XXIV ،
33 أي بابدال الهمزة الثانية ياء) وأما قالون والبزّي فيبدلان الهمزة الاولى
ياء ويقرآن "هؤلاءِ إن كنتم" واما ابن العلاء فيسقط الهمزة الاولى وحركتها
ويقرأ "هؤلاءِ إن كنتم".

(3) حالة : "ءء" كما في المثال الوحيد من نوعه "اولياءُ
أولائك" قرآن XLVI ، 31، فأما ورش وقبيل فيقرآن "اولياءُ أولائك"
بابدال الهمزة الثانية واوا واما قالون والبزّي فيقرآن "أوليا وأولائك"
بابدال الهمزة الاولى واوا واما ابن العلاء فيقرأ "أوليا أولائك" فيسقط
احد المقطعين

4 و 5) حالتا "ءء" "ءء" : قرأوا ذلك بتخفيف الهمزة الثانية

6) حالة "ءء" قرأوها بابدال الهمزة الثانية واوا.

7) حالة "ءء" قرأوها بابدال الهمزة الثانية ياء

8) حالة "ءء" قرأها أغلب القراء بابدال الهمزة الثانية واوا وأما بقية
القراء والنحويان الخليل وسيبويه فيقرأون بتخفيف الهمزة الثانية فقط.

وارجع في جميع ما يتعلق بتباين الهمزة إلى : سيبويه 11 ، ص
172-174 وشاده "علم الاصوات" ... ص 53-54، والزمخشري - ابن
يعيش IX ، ص 116-120، والداني : كتاب التيسير : ص 31-35 ،
و أ. بريترل "علم التجويد" ص 305-312 .

وأما الالسن الدارجة العربية العصرية فنجد نزعيتين متغلبتين في علاج
الهمزة وهما :

إما تخفيفها حتى درجة الاسقاط أحيانا
واما ابدالها واوا أو ياء

فاما في اللهجات الشرقية فقد بقيت الهمزة وان ضعيفة تمثل "صَوْتَمًا" (phonème) في معنى هذه الكلمة الوظائفي وبقيت تمثل عنصرا مكونا هاما من عناصر النظام الحرفي في هذه اللهجات.

وإذا وقعت الهمزة اولا حقت عادة نحو قولهم "أرَنْب" (ʔarnabe) و"أَصْبَع" (ʔəṣba) "أرانب" (ʔarāneb) و"أصابع" (ʔaṣābe) في الجمع فيظهر من هذه الامثلة ان الهمزة إذا وقعت أولا احتفظت بقيمتها بصفتها حرفا أصليا.

وقد تبدل الهمزة الأولى وان في النذر نصف حركة أي واوا أو ياء نحو قولهم "ولّف" (wallāf) أي جمع أدباشه وأصله في الفصحى "ألف" وقولهم "ودّب" (waddāb) من "أدب" في الفصحى وقولهم "وأخذ" (wāḥad) من أخذ في الفصحى وقولهم "يَم" (yam) أي من جهة ... وأصلها "أم"

وإذا وقعت الهمزة وسطا كان الأمر بخلاف وقوعها أولا أي انها قلما تحقق (فلا تحقق تحقيقا برهانيا إلا في مثال وحيد هو فعل "سأل" وأما الامثلة الاخرى التي تحقق فيها فيبدو ان سبب التحقيق فيها هو حملها على غيرها قياسا أو افتراضها من العربية الفصحى) . وكثيرا ما تسقط الهمزة الوسطى نحو قولهم "رأس" (rās) (من الفصحى "رأس") و"بير" (bīr) (من الفصحى بئر) و"مر" (من الفصحى مرأة) و"كامه" (Kame) (من الفصحى كمأة)

ويكثر كذلك ابدالها واوا أو ياء في ذلك الموقع نحو "أثاوب" (ʔṯāwab) (من ثأب) و"لايم" (Lāyam) (من لأم أي ناسب) و"مليان" (mālyān) (من ملآن) و"ميّه" (miye) (من ميثه).

وإذا وقعت الهمزة آخرا سقطت كذلك بدون أن يبقى لها أي أثر أحيانا نحو قولهم "عَدَا" (ʔadā) (من غَدَاء) و"سَمَا" (samā) (من سَمَاء) وقد تبدل أحيانا نصف حركة : من ذلك أن الافعال المهموزة اللام قد صارت كلها أفعالا يائية اللام وقد تدغم هذه الباء أحيانا في الحرف الذي قبلها نحو قولهم "ضَو" (daww) (من ضَوء) و"فَي" (fay)

(fayY) (من فيء) وارجع فيما يتعلق بتفاصيل هذه الامثلة الى :
فغالي : كفسر عبيدة ص 1-14 والى كانتينو "لهجة تدمر العربية" ا ،
ص 66-69 وكذلك "لهجات حوران العربية، النصل المتعلق بعلم الاصوات.

وأما في لهجات المغرب العربي فإن تطور الهمزة هذا قد بلغ حدا
ابعد مما بلغه في الشرق ذلك أن الهمزة لم تعد تمثل "صَوْتَمًا" (phonème)
وكنادت تضمحل تماما من اللغة فقد أشار و. مارسى في كتابه "أولاد
ابراهيم" ... ص 5-6 الى أن الحروف الشديدة الأقصى حلقية التي تسمع
عندهم لا تظهر الا في الكلمات التي أخذوها عن العربية الفصحى وأما
في اللغة الشعبية فإن الهمزة إما تستط تماما وإما تعوض بنصف حركة أي
بواو أو يياء كما في اللهجات الشرقية. وإليك بعض الأمثلة التي وقعت
فيها الهمزة مواقع مختلفة .

أمثلة وقعت فيها أولا :

"ضايَه" (dāya) : وهو الغدير (من أَضَاةً) وبِلّ (bell)
(من لبِل) و"بِرّا" (bra) براء مفخمة (من إبرة) و"ارِض" (arḍ)
بدون همزة (من أرض) و"اهلّ" (āhel) بدون همزة (من أهل) و"يَجْر" (yuḡra)
(من أجرة) و"يَامِس" (yāmes) (من أمس) و"وَخَذ" (waḡḏa)
(من أخذة)

امثلة وقعت فيها وسطا

"ذِب" (ḏīb) (من ذئب) و"بِير" (bīr) (من بئر)
و"بِيَار" (byār) (من بثار) و"رَاس" (rās) (من راس) و"رُوس" (rōs)
(من رُؤوس) و"سَال" (sāl) (من سأل) و"مَسَال" (msāla)
(من مَسَالَة) و"تَوَام" (twām) (من تَوَام) و"مَلَان" (mlān)
أو "مَلْيَان" (mālyān) (من ملآن) و"قَوَاد" (ffawād)
(من فؤاد) و"تَاوب" (ḥāweb) (من تئاب) و"لَايَم" (lāyem)
(و"لَايَم" (lāim) بمجرد كسرة بين اللام والميم) (من لاءم)

أمثلة وقعت فيها آخرًا

بَرَا (brā) (من برىء) و”قَرَا“ (qā) (من قرأ) و”سَمَا“
(smā) (من سماء) و”ضَوَّ“ (daww) (من ضوء) و”شَيَّ“ (šāy)
(من شيء)

ارجع فيما يتعلق بجميع هذه الأمثلة إلى و. مارسى : ”أولاد
ابراهيم“ ص 5-9 و”تلمسان“ ص 19-21 وإلى م. كوهين ”لهجة يهود
مدينة الجزائر“ ص 35 - 43 .

أنصاف الحركات

كان في السامية صوتان هما الواو الرخوة التي تقرع من بين الشفتين والياء الرخوة الأدنى حنكية ويسمى هذان الصوتان في الفرنسية حرفين مصوتين (sonantes) أو نصفي حركتين (semi-voyelles) وذلك لقربتهما من الحركتين المنغلقتين الضمة والكسرة .

وكان واحد من هذين الصوتين يستعمل تارة حرفا وتارة ثاني عنصر من عنصري الحركات المزدوجة وكلاهما قد يصير في بعض الحالات المعينة إلى الحركة التي من جنسه .

وأما العربية القديمة فقد كانت الحالة فيها بخصوص هذين الصوتين نفس تلك الحالة تقريبا وسننظر الآن في أهم التغييرات التي طرأت عليها.

فهناك بعض الحالات سقطت فيها الواو والياء فيما يبدو. ويعتقد المؤلفون عادة أن الواو والياء تسقطان إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين (باستثناء مجموعتي "و" (uwa) و"ي" (iya) حيث تثبت الواو والياء).

من ذلك أن "قام" أصلها "قَوَم" و"سار" أصلها "سَيَّر" و"خاف" أصلها "خَوَف" و"طال" أصلها "طَوَّل" و"يغزو" أصلها "يَغْزُو" و"قيل" أصلها "قُوِل" و"يرمي" أصلها "يَرْمِي" و"للقاضي" أصلها "لِلْقَاضِي" (انظر سوسين : النحو العربي ص 20-21، وبروكلمان "المختصر" 1، 57 و 138).

وبخلاف ذلك فإن المضارع المنصوب نحو "يغزو" و"يرمي" والأسماء المنصوبة نحو "رأيت القاضي" تسلم فيها الواو والياء.

وقد ينبغي إعادة النظر في بعض حالات تطبيق هذه القاعدة إلا أنها تعبر عن شعور المتكلمين الصرفي وكذلك تسقط حسبهم الواو والياء إذا وقعتا بين حركة قصيرة وحركة طويلة (باستثناء المجموعات الآتية :

—وَا (awā) —يَا (ayā) — —وَا (uwā) —يَا (iyā) —
 حيث تثبتان) من ذلك أن "غَزَوْا" أصلها عندهم "غَزَوْوا" و"رَمَوْا" من
 "رَمِيُوا" وكذلك "تَرَضَيْنَ" أصلها "تَرَضَيْنَ" (tarḍāina) التي أصلها
 "تَرَضَوَيْنَ" و"تَنَسَيْنَ" أصلها "تَنَسَيْنَ" (tansaīna) التي
 أصلها تَنَسَيْنَ ومن ذلك "يَرْمُونُ" أصلها يَرْمُونُ (yarmiūna)
 التي أصلها "يَرْمِيُونَ" ومنه "رَضُوا" فأصلها "رَضُوا" (radiū)
 التي أصلها رَضُوا، ومنه "تَرْمِينُ" من "تَرْمِينُ" (tarmiīna) التي
 من تَرْمِيْنِ .

ومنه "رَاضِينَ" من "رَاضِينَ" (radiīna) التي من "رَاضِينَ"
 ومنه "يَغْزُونَ" من "يَغْزُونَ" (yagzūna) التي من يَغْزُونَ"
 ومنه "تَغْزِينَ" من "تَغْزِينَ" (tagzūna) التي من "تَغْزُونَ"
 (انظر سوسين : نفس المرجع، وبروكلمان نفس المرجع)

وكثيرا ما يتعارض القياس الصرفي وتطبيق المبادئ المذكورة أعلاه.
 ومن الغريب ان ما شذ عن هذه القواعد أكثر في الاسم منه في الفعل إذ من
 المعلوم أن صرف الاسماء أقل ضبطا ودقة من صرف الأفعال. ونذكر من
 هذه الشواذ قولهم "يُؤْت" (وجميع الجموع التي على هذا الوزن والتي
 الياء فيها عين الكامة وقولهم كذلك "قويم" (وجميع الصفات التي على هذا الوزن
 والتي عينها واوا)

ولا يخلو هذا الشذوذ من بعث بعض الشك في النفس فيما يتعلق
 بالقواعد المنصوص عنها أعلاه.

وتدغم الواو في الياء الواقعة بعدها أو قبلها نحو "أَيَّام" جمع
 يوم وأصلها "أَيَّام" أدغمت فيها الواو في الياء (ي و ← ي) وكذلك
 قولهم "شَي" مصدر شَوَى وأصله "شَوِي" أدغمت فيه الواو في الياء
 (وي ← ي).

وقد تنضاف نصفا الحركتين الواو والياء الى الحركتين المناسبتين لهما
 فيكونان معهما حركتين طويلتين من ذلك "سُو" تصير الى "سو" إذا

كان بعدها حرف نحو "يُوقِفُ" أصلها "يُوقِفُ" ونحو "كُوعٌ" أصلها "كُوعٌ" وكذلك "سِي" تصير "سِي" إذا كانت متبوعة بحرف نحو "مِيقَانٌ" من "مِيقَانٌ" ونحو "دِيكٌ" من "دِيكٌ". وسنرى بعد هذا أي عند التعرض إلى الحركات الطويلة أن شعور المتكلمين يتزع بهم إلى اعتبار أن هذه الكلمات تحتوي على المجموعتين الاصليتين أي "سُو" و"سِي" أكثر مما ينزع بهم إلى اعتبارها تحتوي على حركتين طويلتين هما الضمة والكسرة. وهذا الشعور متحد ورسم هذه الكلمات تقريبا .

وإذا وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء وينتج عن هذه العملية حدوث مجموعة هي : "سِي" تصير كسرة طويلة أي "سِي" إذا كان بعدها حرف وتبقى على حالها إذا كانت متبوعة بحركة نحو : - مَوْلَادٌ ← - مِيلَادٌ ← مِيلَادٌ .

- دَوَارٌ ← دِيَارٌ -

- عَالُوٌ ← عَالِيٌ

أنظر سوسين "النحو العربي" ص 21

وأيا إذا كانت الضمة متبوعة بياء جاز قلبها كسرة تقريبا وسنرجع إلى هذا فيما بعد نحو :

- بِيضٌ ← بِيضٌ ← بِيضٌ

- مَرْمِيٌ ← مَرْمِيٌ

أنظر سوسين : نفس المرجع .

وإذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة قصيرة قلبتا همزة: نحو "قَاوِلٌ ← قَائِلٌ" و"بَايِعٌ ← بَائِعٌ" و"عَجَاوِزٌ ← عَجَائِزٌ" و"جَزَائِرٌ ← جَزَائِرٌ" و"إِرْضَايٌ ← إِرْضَاءٌ" و"وَفَايٌ ← وَفَاءٌ" : أنظر سوسين : نفس المرجع وبروكلمان "المختصر" 1 ، ص 138.

وبالعكس إذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وفتحة قصيرة سلمتا نحو "قَاوِلٌ" و"سَائِرٌ" وأما قولهم في النصب "إِرْضَاءٌ" و"وَفَاءٌ" فلا يناقض هذه القاعدة كما يظهر لك وإنما ذلك راجع إلى حملهم حالة النصب على حالة الرفع والجر.

وإليك الآن بعض التغييرات التي تطرأ على الواو والياء وهي تغييرات اعتبروها منذ القدم تابعة للهجات الدارجة :

أ) كانت الياء إذا ضعفت تنزع إلى الانقلاب جيما وذلك إما وسطا: من ذلك ما رواه ابن الأعرابي من أن أبا نجم قال في أحد أبياته : أَجِلَّ عَوْضَ أَيَّلٍ (وهو الغزال) - وإما آخرها أحيانا من ذلك ما ذكره أبو عمرو بن العلاء النحوي من أنه سأل رجلا من بني حنظلة : مَنْ أَنْتَ؟ فَأَجَابَهُ أَنَا فُقَيْمِيحٌ (أَي فُقَيْمِيٍّ مِنْ بَنِي فُقَيْمٍ) فالح النحوي في السؤال قائلا: وَمِنْ أَيِّهِمْ؟ فَأَجَابَهُ : أَنَا مَرْجٌ (أَي مَرْيٍّ مِنْ بَنِي مَرْءٍ)

وكانت هذه الخاصية في نطق الياء وتسمى "العججة" موجودة أيضا عند بني تميم وبني سعد وقضاعة : انظر سيوييه 1 ، ص 361 والزمخشري - ابن يعيش : X ، 50-51 وهول : النحو العربي : 17 ، ص 1374-1378 وبروكلمان "المختصر" : 1 ، ص 139 و 280. ويبدو أن تضعيف الياء في هذه اللهجات قد أدى إلى حدوث شدة جزئية في هذا المضمار اثناء زمن النطق به .

ب) ويبدو أنه يجب رد إتباع كاف المخاطبة عند الوقف بشين عند مضر وربيعه وعند بني بكر إلى هذه الخاصية ومن المحتمل أنه ينبغي تفسير ذلك بتخيل صيغة أولى لهذه الكاف أي "كي" بكسرة طويلة ثم تصير إلى "كي" ثم إلى "كج" وأخيرا إلى "كش" أو "كس" بانتقال الجيم من الجهر إلى الهمس. وقد خلط العرب هذه الظاهرة الغربية بظاهرة أخرى هي إبدال كاف المخاطبة شينا أو سينا مكسورتين وأطلقوا على الظاهرتين اسم "الكشكشة" و "الكسكسة" : انظر الزمخشري - ابن يعيش IX ، ص 48 وبروكلمان : المختصر 1 ، ص 280

ج) وأخيرا فان وأوا قلبت ياء في لهجة كنانة وذلك قولهم "يَا زِع" في "وَأَزِع" ولا يمكن مع الأسف أن نعرف هل أن هذه الظاهرة كانت منحصره في هذه الكلمة وحدها أم هل كانت عامة كما في اللغات السامية بالشمال الغربي (أي الكنعانية والآرامية والأوقاريتية) : انظر بروكلمان : المختصر : 1 ص 138 - 139 .

وأما في الألسن الدارجة العربية العصرية فان الواو والياء بقيتا سالمتين عادة. الا أنه ينبغي أن نذكر الأمور التالية :

قد تفخم الواو في اللهجات الشرقية اما من جراء موقعها نحو قولهم بتَدْمُر: "خَوَال" (h w ā l) و"صَفْو" (ه) (š a f w a) أي رماد و"دَلْو" (ه) (d l a w a) بتفخيم الواو وقولهم "دَاو" (ي) (d ē w a) و"دَو" (ي) (ɖ ö d w e) و"شوى" (س) (s ā w e) وسروال (s i r w ā l) الخ بترقيتها .

وإما بالطبع نحو قولهم في لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية وبحوارن : عَبْو" (ه) (ʿ a b w a) (وهي مطثة أي صفيحة مستديرة من حديد أسفل المَهْمَز تنظف بها سكة المحراث) وقولهم دَو" (أ) (d ā w a) و"شَو" (أ) (š a w a) الخ كل ذلك بالتفخيم. انظر كائينو : "لهجة تدمر العربية" : 1 ، 46-47 ، دراسات في بعض لهجات البدو الرحل : 1 ، ص 12-16 و 11 ، ص 13-14 ، و : لهجات حوران العربية ص 98-99 .

وأبضا سقطت الواو في أغلب الأحيان في اللهجات الشرقية من عبارة "بُودِي" أو "بُودَك" الخ فتصير عندهم "بُدِي" (b ö d d i) أو "بُدَك" (b ö d d a k) الخ .

وتدغم الواو في الصاد بلبنان في قولهم "بَصَّه" (b a s s a) (أي شرارة) وهو من الفصحى "بَصْوَة" (b a s w a t) .

وسقطت الياء كذلك في قولهم "سندآن" (s e n d ā n) من الفصحى سنديان وهو شجر البلوط : انظر فغالي : كفر عبيدة ص 74 .

وسقطت الواو في قولهم في حوران "بُسُط" (b ö s ü t) أي بوسُط ...

وكذلك سقطت ياء المضارعة بعد باء المضارع عند أهل تدمر وحوران وذلك قولهم "بُكُتَب" (b o k t o b) "بُكُتِبُوا" (b o k ö t b u) (أي "يكتب" و"يكتبوا" (أي "يكتب" و"يكتبون) .

وقد أبدلوا من الياء جيما في أكثر لهجاتهم في اسم اليربوع فيقال

في السريانية "يَرْبُوعَة" (yarbuca) وفي العربية الفصحى "ربوع" وفي اغلب اللهجات العربية "جَرْبُوع" (ġarbu) انظر دوزي ملحق ... 1 ، ص 181.

وقد تجيء الواو مكان الياء والياء مكان الواو ويكثر ذلك نوعا ما في لهجات المغرب العربي كما في لهجات الشرق على حد سواء نحو قولهم بلبنان : "أَيَّام" (ayyem) وقولهم في لهجة بني سعيد "قَيِّم" (qöyyem) أي قَيِّم أي أنهض (من الفصحى قَوْم) وقولهم "عِيَاد" (cöyād) جمع عَوْد (cawd) وهو الحصان (من قولهم في الفصحى "عَوْد" وهو المسن من الابل والشاء) وقولهم "اتْوَارِس" (twāres) جمع تِيرِس (tīres) وهي الارض السوداء ونحو قولهم بلبنان "أزود" (azwād) (أي "أزِيد" في الفصحى) و"اتْوَيْنِي" (twayne) تصغير "تَيْن" ونحو قولهم في لهجة بني سعيد "عوينيه" (cöwīna) تصغير "عَيْن". ارجع فيما يتعلق بجميع هذه الامثلة الى و. مارسي "أولاد ابراهيم" ص 29-30، وفعالي "كفر عبيدة" ص 75.

وكثيرا ما يذهب النحاة العصريون الى أن الواو والياء تنقلبان حركتين أي ضمة وكسرة في بعض مواقعهما فيكتبون مثلا "يَمُوت" بالأحرف اللاتينية هكذا (imūt) (أي بكسرة عوض لياء التي في أول الكلمة) وكذلك يرسمون "وَكِيل" هكذا : (ukil) (اي بضمة عوض الواو) ويرسمون "دلو" هكذا : dalu (اي بضمة عوض الواو) ويرسمون "جَدِي" هكذا : (žedi) (أي بكسرة عوض الياء).

إلا أن هذا الرأي لا يوافق شعور المتكلمين بالعربية اذ يعتبرون أن الواو والياء تحتفظان في هذه المواقع بقيمتها الحرفية. فينبغي إذن ان نرسم هذه الكلمات من حيث علم وظائف الاصوات على الصورة التالية : يموت = ymūt - وكيل = wkil - دلو = dalw - جدي = žedy

نظام الحركات

(1) عموميات

1 - عموميات صوتية

تختص الحركات - كما سبق لنا ان رأينا ذلك صفحة: 20 - بانعدام قيام الحاجز في جهاز التصويت فيمر النفس المجهور (1) حرّاً طليقا عند النطق بها.

ويمكن ترتيب الحركات حسب مواقع الأعضاء عند النطق بها وتسمى أصناف المواضع (classes de localisation) وحسب مدى انفتاح جهاز التصويت (وتسمى درجات الانفتاح) وحسب ما يختص به نطقها من خصائص (وتسمى صفات النطق) ويكون اجتماع جميع هذه العناصر ما يسمى بجرس الحركة .

أ) اصناف المواضع

يجب اعتبار عاملين اساسيين في هذا المضمار : موقع اللسان من الفم وصورة الشفتين.

- فقد يتجمع اللسان في مقدم الفم تحت الحنك الادنى فيحدث اذ ذاك حركات أدنى حنكية أو أمامية وقد يكون تجمعه في مؤخر الفم تحت الحنك فننطق إذن بحركات أقصى حنكية أو خلفية وقد يكون موضع تجمع اللسان وسطا فننطق إذ ذاك بحركات وسط حنكية أو وسطية .

- وقد تصور الشفتان فرجة مستديرة تختلف ضيقا واتساعا فتخرج

(I) ليس ثمة حركات مهموسة اذ ان جميع الحركات تكون مصحوبة بنزير الأوتار الصوتية فهي اذا دائما مجهورة .

إذ ذاك الحركات حركات مستديرة وبالعكس قد تصور الشفتان شقًا أفقياً يختلف مدى طوله فتكون عندها الحركات منفرجة .

وإذا جمعت هذين العاملين أمكنك تقسيم الحركات حسب الأنواع التالية :

حركات امامية منفرجة : وهي الكسرة (ا) و e (ا) (é)
في الفرنسية

حركات أمامية مستديرة : وهي ؤ و ة (2) (اي u و eu
في الفرنسية)

حركات وسطية منفرجة ؛
حركات وسطية مستديرة :
وهي أنواع مختلفة من الفتحة (a)

حركات خلفية منفرجة : وهي الـ : (كسرة) التي بدون نقطة
في التركية

حركات خلفية مستديرة : وهي الـ : o والـ u (3) (اي ou
في الفرنسية)

أما في ميدان التطبيق فليس ثمة لغة تستعمل أصناف المواضع الستة
هذه استعمالاً وظائفيًا أو تمييزياً .

ومن اللغات (كاللغة التركية مثلاً) ما يستعمل فيها أربعة أصناف

(I) يمكن اعتبار هذه الحركات شبيهة جداً بالفتحة الممالة امالة شديدة دون
بلوغ درجة الكسرة : (المعرب) .

(2) الـ ؤ حركة لا مقابل لها في العربية تحدث بأن تمطط شفتيك وتجعلهما
على صورة الدائرة عند النطق به . والـ ة منعدم كذلك وهو أقل تمطيظاً
واستدارة من سابقه .

(3) أما الـ u فالضمة وأما الـ o فضمة منفتحة بعض الشيء . (تعليق
المُعرب) .

من أصناف المواضع الستة ويبدو هذا العدد حداً أقصى. ومنها ما يستعمل فيها ثلاثة مثل اللغة الفرنسية وبعض اللغات لا يستعمل أهلها إلا صنفين من ذلك فقط ومن بين هذه اللغات اللغة العربية كما سنرى ذلك .

ب) درجات الإنفتاح : قد يختلف مدى انفتاح جهاز التصويت عند النطق بالحركات فيكبر ويصغر ولذلك وجب أن نميز بين الحركات المنغلقة والحركات المنفتحة : من ذلك اللغة الفرنسية تميز بين ø منغلقة كما في كلمة (pomme) (أي تفاحة) مثلاً وبين ø منغلقة كما في كلمة (paume) (أي كف اليد) مثلاً وكذلك تميز بين e منفتحة كما في كلمة (épais) (أي غليظ) وبين è منغلقة كما في كلمة (épée) (أي سيف) .

ومن اللغات (كاللغة الفرنسية) ما نجد فيها أربع درجات انفتاح مختلفة مثال ذلك الحركات الخلفية a—ø—e—u والحركات الامامية a—ø—e—i

ومن اللغات ما نجد فيه ثلاث درجات انفتاح مثل اللاتينية القديمة. ومنها ما فيه الا درجتا انفتاح وهي الحال في اللغة العربية .

ومما يجدر ملاحظته أن الحركات التي من نوع " a " (أي الفتحة) تمثل أكبر درجة من انفتاح بينما تمثل الحركات التي من نوع " u " (أي الضمة) أو " i " أي الكسرة أصغر درجة منه واما الحركات التي من نوع " o " و " e " فتمثل متى وجدت في اللغة درجة أو درجات وسطى من الانفتاح .

ج) صفات النطق : وإلى جانب أصناف مواضع النطق ودرجات الانفتاح ينبغي التمييز بين خاصيات مختلفة أخرى يختص بها نطق الحركات أهمها الخاصيات التالية :

— المدى : يطلق اسم حركات طويلة على الحركات التي يمتد فيها إخراج النفس امتداداً يصير معه مدى النطق بها مساوياً لمدى النطق

بحركتين بسيطتين بل وقد يتعدى ذلك. وترسم هذه الحركات الطويلة بواسطة خط قصير أو بواسطة العلامة (٨) المسماة بالفرنسية "accent circonflexe" (أي نبرة معقنة). ويكتب هذان الرمزتان فوق الحركة البسيطة المناسبة على النحو التالي : $\hat{u} \hat{u} - \hat{e} \hat{e} - \hat{a} \hat{a}$ الخ.

وليس يقابل الحركات الطويلة الحركات العادية أو القصيرة فقط بل ويقابلها أيضا الحركات القصيرة للغاية وهي حركات يكون مداها قصيرا قصرا غير معهود : فيدوم النطق بها نصف الفترة التي يدوم نطق الحركة البسيطة أو حتى أقل من ذلك وكثيرا ما تخلو هذه الحركات القصيرة للغاية من كل قيمة وظيفية إذ أن المتكلم لا يشعر بوجودها وترسم هذه الحركات بواسطة علامة الحركات البسيطة المناسبة ولكن بخط أصغر حجما وفوق السطر على النحو التالي : u, e, a

– الخيشومية : يطلق لفظ "خيشومية" على الحركات التي ينخفض غشاء الحنك عند النطق بها فيمر جزء من الهواء من الأنف : نحو قولهم في الفرنسية un - on - ain - an ويقابل الحركات الخيشومية الحركات الفموية وهي التي يستعلي غشاء الحنك عند النطق بها فيمر جميع النفس من الفم فقط.

وترسم هذه الحركات بواسطة العلامة (٣) وتسمى (tilde) (تيلد) مكتوبة فوق علامة الحركة الفموية المناسبة : فترسم الكلمات الفرنسية المذكورة أعلاه مثلا هكذا : $\tilde{e} - \tilde{o} - \tilde{e} - \tilde{a}$

الظواهر التعاملية

قد تؤثر الحروف أو الحركات في نطق الحركات المجاورة لها فينتج عن ذلك تغييرات مختلفة تلحق هذا النطق. فقد يطرأ على الحركات ما يطرأ على الحروف من عمليات صوتية مثل التماثل والتباين والقلب نحو ما وقع في العربية من تأثير حركة في حركة أخرى على سبيل التجانس في قولهم "في رِجْلِهِ" عوض قولهم "في رِجْلِهِ". وكذلك من المحتمل

ولم يكن في العربية حركات خيشومية - على الأقل من الناحية النظرية فاجتماع أصناف المواضع ودرجات الانفتاح كاف لاحداث ذلك النظام المثلث المتكون من ثلاثة أجراءس المذكور أعلاه وعلاوة على ذلك فقد كان في العربية القديمة مداءان حركيان هما الحركات القصيرة أي الضمة والفتحة والكسرة ويقابلها الحركات الطويلة وهي الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة. وكان لهذه المقابلة بين مدى قصير ومدى طويل في الحركات أعظم دور في إيقاع اللغة.

ولننظر الآن في نظرية النحاة العرب فيما يتعلق بنظامهم الحركي. ويطلق هؤلاء النحاة على ما يسمى في الفرنسية "voyelle brève" اسم : حركة وتجمع على "حركات". ومعنى ذلك أنها "حركة الحرف" ويدل هذا اللفظ دلالة واضحة على أنهم كانوا يعتبرون الحركة القصيرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحرف السابق لها فالحركة القصيرة هي إذن عندهم مجرد ذيل للحرف : وقد أفضى هذا الاعتبار شيئا من الغموض على كامل نظريتهم الصوتية .

ويميز النحاة العرب تمييزا صحيحا بين ثلاثة أجراءس حركية أساسية الفتح أي (a) والكسرة أي (i) والضم أي (u) بل ويذكرون عند الاقتضاء أضربا ثانوية أخرى من الأجراءس كالألمالة والتفخيم والإشمام وسنرى ذلك بالتفصيل فيما بعد .

ويعتبر هؤلاء النحاة الحركات الطويلة ناتجة عن اجتماع حركة قصيرة وواحدة من أنصاف الحركات أي الواو أو الياء أو الألف ولذلك تسمى انصاف الحركات هذه عندهم : حروف المد اي حروف مد الحركات السابقة. وبعبارة اخرى كانوا يعتبرون الحركات الطويلة حركات مزدوجة على النحو التالي : بالاحرف اللاتينية $uw = \bar{u}$ و $iy = \bar{i}$ و $a = \bar{a}$ والألف. وسنرى فيما بعد أن لهذه النظرية ما يبررها جزئيا من الناحية الوظيفية. والحركات الطويلة عرضة لمختلف الاعتلالات في الجرس مثل الإمالة والتفخيم والإشمام أكثر من الحركات القصيرة .

وقد تصير الحركات الطويلة في بعض الظروف المعينة عند تلاوة

القرآن حركات طويلة للغاية فيبلغ مداها أحيانا عدة ثوان.

ونجد من ناحية أخرى في بعض المواقع منذ العربية القديمة بعض الحركات القصيرة للغاية سماها النحاة رَوَمًا أو اختلاسا بل وحتى إشماسا .

ولذا فسندرس نظام الحركات في العربية في ثلاثة ابواب اساسية هي الحركات الطويلة والحركات المزدوجة ثم الحركات القصيرة ثم الحركات القصيرة للغاية.

وقد اكتفى النحاة العرب بملاحظة طروء الظواهر التعاملية على الحركات ولم ينظموا تلك الظواهر في نظرية عامة شبيهة بنظريتهم في "الادغام" المتعلق بالحروف وسندرس هذه الظواهر التعاملية الطارئة على الحركات داخل كل باب من الأبواب الأساسية الثلاثة المذكورة اعلاه كما فعلنا ذلك بالنسبة إلى الحروف .

4 - انظمة الحركات في مختلف الألسن الدارجة العربية

لقد طرأت في الألسن الدارجة العربية تغيرات مختلفة على نظام الحركات العربي القديم منها - اولا - التغيرات الطارئة على الأجراس إذ ان التغيرات الجرسية المعروفة في العربية القديمة قد تطورت وزاد عددها إلا انّه ليس لها في الأغلب اية قيمة وظائفية

وثانيا : التغيرات الطارئة على "المدى" فلئن ثبتت الحركات الطويلة في العادة ثبوتا يكاد يكون كاملا فإن كثيرا من الحركات القصيرة إما اصحت حركات قصيرة للغاية وإما سقطت بينما نشأ عدد من حركات الفصل القصيرة للغاية أو القصيرة في مواقع مختلفة. فنتج عن ذلك ان اعتل تركيب المقاطع في كثير من الألفاظ اعتلالا ذا بال وان حوّر ايقاع اللغة الكمي نفسه تحورا جزئيا .

الحركات الطويلة

كان في السامية كما سبق لنا ان راينا ثلاث حركات طويلة هي :
و - آ - ي وقد احتفظت العربية القديمة بهذا النظام الحركي
الثلاثي احتفاظا كليا. وسندرسه من اربع حيثيات هي : الرسم والكمية
والأجراس والقيمة الوظيفية .

أ) الرسم : ينحدر الخط العربي عن إحدى الخطوط الآرامية هو
الخط النبطي (1) . وكانت الواو والياء في الخط النبطي (كفي سائر
الخطوط الآرامية) تستعملان لرسم الضمة الطويلة "و" والكسرة الطويلة
"ي" سواء في آخر الكلمات او في وسطها ولذلك تسمى الواو والياء
باللاتينية "أمي القراءة" (matres lectionis) الا انهم كانوا لا
يرسمون الفتحة الطويلة "آ" بهذا الخط الا إذا وقعت آخرًا فيرسمونها
بواسطة علامة الحرف الشديد الأقصي حلقي (اي الهمزة) (وقد ضعف
ذلك الحرف عندهم ضعفا بالغًا) ويسمى "الآلب" (le'ālap)

وقد طور الخط العربي الخط النبطي في هذا السياق فأحدث نظاما
منطقيًا لرسم الحركات الطويلة وذلك باستعمال الواو والياء لرسم
الضمة الطويلة والكسرة الطويلة وباستعمال الألف لرسم

(I) النبط قوم أغلبهم عربي الأصل كونوا من القرن الأول قبل المسيح الى
القرن الأول بعده دولة من أصحاب القوافل والتجار وامتدت هذه الدولة
على تخوم سوريا وفلسطين بما في ذلك حوران والأردن وقسم كبير من
الحجاز . ويبدو أن لغة تخاطبهم كانت العربية الا أنهم كانوا يستعملون
في كتابتهم لغة حرفاتهم من سوريا وفلسطين أي الآرامية . لكن
النصوص الآرامية التي كتبوها قد احتوت على عدة تعابير خاصة بالعربية
بل ويمكن اعتبار لغة بعض هذه النصوص عربية . وفعلا فان أول نص
معروف هو مرقومة « النماره » (شرقي جبل الدروز) المؤرخة في سنة
328 (بعد المسيح) وهي نصب تذكاري عن موت امرئ القيس « ملك
جميع العرب » وهي محررة بالخط النبطي ولكن باللغة العربية (عدا بعض
الجزئيات) .

الفتحة الطويلة اذا وقعت آخرًا وكذلك اذا وقعت وسطًا : وهكذا تكون نظام ما سموه ”حروف المد“.

الا ان هذا النظام لم يتكون من اول وهلة فلم نرهم استعملوا الالف لرسم الفتحة الطويلة داخل الكلمات في نصوصهم الاولى : ومثال ذلك انعدام هذه الالف الوسطى من مرقومة ”النمارة“ ومن اقدم مخطوطات القرآن. بل واهمال الالف الوسطى من كتابة بعض الكلمات الكثيرة الاستعمال امر جائز حتى الآن في رسم الفصحى من ذلك ”الله“ و”اله“ و”رحمن“ ”وهذا“ و”ذلك“ و”لكن“ و”قيامة“ ... الخ .

على انه يجوز رسم الالف في هذه الحال فوق هذه الكلمات في صورة خط عمودي صغير.

وكذلك اهلوا رسم الكسرة الطويلة في آخر كلمة ”هذه“ وكذلك رسموا ضمة طويلة قديمة في صورة واو ممدودة في اسم الاشارة للجمع ”الاولى“ ومشتقاته وذلك رغم ان الضمة فيه قصيرة وسنرى بعد هذا عدة امثلة قصرت الحركات الطويلة فيها تقصيرا ومع هذا فقد استمروا في رسمها طويلة .

ب) الكميّة :

جاء في نص هام للقارىء ذكره ”برافمان“ في ”مواد... ص 13 مايلى : ”الالف“ (اي الفتحة الطويلة) متكون من فتحتين والواو من ضمتين والياء من كسرتين“ وفي هذا النص دليل اساسي على ان الناطقين بالعربية يشعرون بان الحركة الطويلة تضاوي حركتين قصيرتين وذلك كما يفعل الناطقون بلغات اخرى يلعب الإيقاع الكمي فيها دورا اساسيا.

وقد ثبتت كمية الحركات الطويلة السامية القديمة عادة في العربية القديمة ومرد ذلك الى كون هذه الحركات الطويلة القديمة تمثل مبدئيا اقوى قسم من اقسام نظام الحركات .

بيد ان هذه الحركات الطويلة تنزع إلى القصر إذا وقعت في المقاطع المنغلقة (1). من ذلك قولهم في الأجوف في صيغ الأمر وصيغ المضارع المجزوم التي لا تنتهي بزوائد خلفية عنصرها الأول حركة "نَمَ" و"يَنَمُ" (من المضارع "يَنَامُ") و"قُمُ" و"يَقُمُ" (من المضارع المرفوع "يَقُومُ") و"سِرَ" و"يَسِرُ" (من المضارع المرفوع يَسِيرُ) فقد صيروا الحركة الطويلة في كل ذلك الى حركة قصيرة.

ويقع مثل ذلك في الحركة الطويلة إذا كانت في كلمة مضاف إليها او حرف جر وكان المضاف او المجرور يبتدئ بحرفين نحو قولهم "ذُو الحِمَارِ" تنطق "ذُو لِحِمَارِ" وقولهم "فِي السَّيْتِ" تنطق "فِالسَّيْتِ".

إلا ان تقصير الحركات الطويلة لا يقع إذا خشي به ان يؤدي الى الإلتباس من ذلك ان الفتحة الطويلة التي بعد التاء في قولهم "حَلَقَتَا البِطَانَ" تبقى طويلة إذ لو صارت قصيرة لأدى ذلك إلى الإلتباس بـ"حَلَقَةَ البِطَانَ" من قولهم "رايت حَلَقَةَ البِطَانَ"

وكذلك ثبتت الحركات الطويلة إذا وقعت قبل حرف مضاعف من ذلك الصيغ التي عينها ولا مها من جنس واحد كقولهم : "الدَّائِيَّةُ" (واصله دَائِيَّةٌ) و"مَادَّةٌ" (واصله مَادَدٌ) و"الضَّالِّينَ" (واصله ولا الضَّالِّينَ).

وكذلك ثبتت الحركة الطويلة في صيغة : "افْعَالٌ" كقولهم : "اصْفَارٌ". واخيرا فان الحركات الطويلة تثبت كذلك في المقاطع التي صارت منغلقة من جراء سقوط حركاتها النهائية عند الوقف نحو قوله "هُدًى لِلْمُتَّقِينَ" (قرآن 11 ، 1) عوض هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (بروكلمان "المختصر" 1 ، ص 63).

وقد تقصر بعض الحركات الآخرة فيما يبدو وذلك في بعض الحالات الخاصة من ذلك ان الفتحة الطويلة في ضمير المتكلم المنفصل "انَا"

(I) لنذكر بان لفظ «مقطع منغلق» يطلق على كل مقطع ينتهي بحرف وأن لفظ «مقطع منفتح» يطلق على كل مقطع ينتهي بحركة مثال ذلك قولك «قتلت» فالمقطع الأول فيه أي «ق» والمقطع الأخير أي «ت» مقطعان منفتحان بينما المقطع الثاني منه أي «تل» مقطع منغلق .

(وضمان طولها في العربية القديمة وجود حركة خلفية نصف منغلقة طويلة (ō) في نفس الضمير في العبرانية وهو: "أنوخي" (anōhī)) تقصر عادة وخاصة في الشعر على أن سيويه يذكر (حسب ابن يعيش IX ، ص 83) ان نافعا كان يقرأ بفتحة طويلة قوله: "أَنَا أُحْيِي وَأَمِيت" (قرآن II ، 260) وقوله: "انا آتيك به" (قرآن XXVII 39-40) وعن ابن يعيش في نفس المرجع ان سيويه ذكر ايضا ابياتا مختلفة من الشعر يكون تقطيع ضمير المخاطب المنفصل فيها هكذا: (u -) (اي انا بفتحة طويلة بعد النون) .

وقد تقصر في الشعر احيانا الفتحة الطويلة في ضمير المتكلمين المتصل "نَا" وفي ضمير المتكلمين في الماضي "نَا" (انظر بروكلمان : المختصر : 1 ، ص 74) وكذلك يجوز تقصير الفتحة الطويلة في اسم الاشارة المبهم "ما" اذا كان مسبوفا بحرف من حروف الجر نحو قولهم : "بِمَ" و"لِمَ" و"حَتَّامَ" و"لِأَمَ" ... الخ .

وكذلك يجوز تقصير الكسرة الطويلة إذا وقعت آخرًا وذلك قولهم "للأَيْدِ" في "للأَيْدِي" (قرآن XXXVII ، 16) و"تَبَغِ" في "تَبَغِي" (قرآن XVIII ، 63) وقد ذكر النحاة جواز قراءة "القاضِ" عوض "القاضي" و"الرَّامِ" عوض "الرامي". وكان النافع وابن العلاء يقرآن "من يهد الله فهو المهتد" عوض "المهتدي" (قرآن XVIII 16) : انظر الزمخشري - ابن يعيش IX ، ص 74-75 وبروكلمان : المختصر : 1 ص 75 حيث يذكر بعض امثلة اخرى مستقاة من الشعر خاصة .

وعن بروكلمان ايضا ان ضمائر الرفع المتحرك في الماضي اي "تَ" و"تُ" و"ت" كانت حركاتها طويلة في البداية ثم قصرت فيما بعد. وستنظر فيما بعد اي في باب "المقطع والنبرة والإيقاع" في بعض الحالات التي يبدو ان كمية الحركة الاخيرة التابعة للزوائد الخلفية فيها مرتبطة بكمية المقطع السابق .

وقد يزداد في التجويد على طول الحركات الطويلة فتتقلب حركات

طويلة للغاية بل وقد يتعدى مداها في مقاطع الوقف الثانية انظر فيما يتعلق بهذه الزيادة في طول الحركات وتسمى مداً - ما جاء عند أ. بريتل علم التجويد في مجلة "اسلاميكأ" (Islamica) VI ص : 303-300، وعند برافمان : مواد ... ص 76-81.

واما في الالسن الدارجة العربية الحديثة فان الحركات الطويلة القديمة قد ثبتت عادة ثبوتاً كاملاً : فتكاد لا تسقط البتة. واما الصيغ التي مثل "وَادٌ" (wād) (وهي "وادي" (wādī) في اللهجات الشرقية) و"بَازٌ" (bāz) (وهي البازي في الفصحى) و"مَاشٌ" (māš) في لهجة تونس (وهي ماشي (māšī) في لهجات اخرى) ... الخ فليست صيغاً دارجة حديثة وانما مرجعها الى صيغ وقف كانت موجودة منذ العربية القديمة. انظر في هذا و. مارسي : اولاد ابراهيم ص 45.

وقد سقطت بعض الحركات الطويلة القديمة الأخرى من نهاية الكلمة وذلك لأسباب صرفية : فقولهم "مُوسٌ" (mūs) في اكثر اللهجات عوض "مُوسَى" في الفصحى كانهم ارادوا به المذكر باعتبار موسى مؤنثاً. وكذلك فيما نعتقد ينبغي تفسير قولهم "جُمَادٌ" (žumād) عوض "جُمَادَى" واما "بِالسِّيَاسِ" (bes-syās) عوض بِالسِّيَاسَةِ و"فِي سَاعٍ" (fī-sāc) عوض "في ساعة" فكأنهم اعتبروها صيغاً قصيرة إلى جانب صيغ مطولة بالفتحة ... الخ (و. مارسي نفس المرجع).

ولئن كان سقوط الحركات الطويلة القديمة امراً شاذاً قل ما يكون لأسباب صوتية فإن تقصيرها كثير بالعكس في اللهجات المغربية : فكما تنزع الى إسقاط الحركات القصيرة في المقاطع المنغلقة (وسنرى ذلك فيما بعد) فكذلك تنزع الى تقصير الحركات الطويلة القديمة ويقع هذا التقصير خاصة :

أ) في آخر الكلمات مطلقاً نحو قولهم : "انسٌ" (nsā) في "انسي" اي "نسي"

ب) في جوار بعض الحروف كوقوعها آخرها قبل العين او الحاء

نحو قولهم في كثير من اللهجات الحضرية "صَبَع" (šba^c) و"ذَرَع" (dra^c) و"كِرَع" (kra^c) و"جِنَح" (ġnaḥ) في "صَبَاع" (sbā^c) (اي اصبع) و"ذَرَاع" (drā^c) (اي ذراع) و"كِرَاع" (krā^c) (اي كراع) و"جِنَاح" (ġnāḥ) (اي جناح) ومن ثم قالوا "صَبْعِي" (šöb^ci) و"ذِرْعِي" (der^ci) و"كِرْعِي" (ker^ci) و"جِنِح" (ġenḥo) في "صَبَاعِي" (šbā^ci) و"ذَرَاعِي" (drā^ci) و"كِرَاعِي" (krā^ci) و"جِنَاح" (ġnāḥo) (اي جناحه) .

ج) واحيانا إذا وقعت اول عنصر من عنصري الحركات المزدوجة نحو قولهم "كَيِّن" (kāin) دون كَيِّن (kāin) عادة

د) واحيانا إذا وقعت في مقطع منغلق نحو قولهم "انْقُلِّك" (nqöllek) عوض "نَقُولُك" (nqöllek) (اي أقول لك) .

هـ) وإذا وقعت كلمة تحتوي على حركة طويلة اخرى : نزعت الحركة الطويلة التي لا تقع عليها النبرة الى القصر نحو قولهم "كَنُون" (kәнün) و"فِرَان" (firān) و"مُخُود" (muḥūd) في "كَانُون" (kәнün) و"فِيرَان" (firān) و"مُوخُود" (muḥūd) (اي كانون وهو المجرمة وفيران وماخوذ) .

واخيرا فإنه يبدو ان مدى الحركات الطويلة القديمة كثيرا ما يكون متعلقا بطول بقية الكلمة الواقعة بعدها : فكلما كانت الحركة الطويلة اقرب من نهاية الكلمة كانت اطول : انظر فيما يتعلق بهذه القواعد ما جاء عند م. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 134-138، اذ ان هذه القواعد لا تنطبق على هذه اللهجة فقط بل وايضا على كثير من لهجات المغرب العربي الأخرى .

ج) الاجراس

يجتهد الخط العبري في رسم جميع الأجراس الحركية بدقة تشبه دقة كتابتنا الصوتية وبخلاف ذلك فإن الرسم العربي رسم وظائفه اي انه

لا يراعي فيه الا المقابلات الجرسية التي تميز بين الصيغ النحوية او الالفاظ .
ولذلك اكتفوا بثلاثة اجراس اساسية من الحركات الطويلة اي "سا" و"سي" و"سو".

الا ان النحاة العرب قد شعروا شعورا كاملا بأن هذه الاجراس انما هي اجراس وظائفية وان في النطق بكل منها فَوَيَّرَقَاتٌ صوتية .

وقد اهتموا إلى ثلاثة انواع من هذه التغييرات في اجراس الحركات هي : الإمالة والتفخيم وتختصان بالفتحة الطويلة "سا" من جهة والإشمام ويختص بالكسرة الطويلة "سي" من جهة اخرى ويقول النحاة العرب ان الامالة هي جنوح بالألف إلى صوت الياء (وبالفتحة إلى صوت الكسرة). ونقول اليوم في اصطلاحاتنا الصوتية إن الامالة هي نطق الفتحة (ـَـ) نطقا اماميا فيقترب مخرجها من مخرج الـ " e " في الفرنسية بل وحتى الـ " ا " .

وينبغي الرجوع في ما يتعلق بهذه المسألة الهامة إلى : سيويه II ، ص 279-294 ، والزحشري - ابن يعيث : IX ، ص 53-66 والداني : "التيسير" ص 46-53 و م. ت. غرونرت (M. Th.Grünert) الامالة اي "الأوملوط" (1) في العربية في "تقرير جلسات اكااديمية فينة" - قسم الفيلولوجيا والتاريخ LXXXI ، ص 447-542 .

«Die Imāla, der Umlaut in Arabischen», in SbWA Phil. hist. Klasse
ي. كراباسك (J. Karabacek) "في معرفة الأوملوط" (اي الامالة) في العربية «Zur Kenntnis des Umlautes in Arabischen» in Mitteil a. d. Samml
ص : 9-62 d. Pap. Erz. Rainer . V. 62-9 . وبارت (J. Barth) وأ. فيشر (A. Fischer) الـ " e " في السامية الاصلية («Ursemitische») الصادر في مجلة جمعية الاستشراق الألمانية (ZDMG) LIX ص 633-671

— وشر. سَراو (Chr. Sarauw) : انتسام في الألسن الداريجة

(I) الأوملوط (der Umlaut) لفظة المانية تطلق على الحركات الممالاة في الامانية - المترجم .

في العربية القديمة في "مجلة الدراسات الأشورية"
Die altarabische Dialektspaltung in ZA. XXI ص 31-49

— وك. فولرس : لغة الشعب "Volkssprache" K. Vollers, ص 15-18

— ح. ماتسون : لسان بيروت العربي الدارج العلمي ص 65-72
Dialecte arabe vulgaire de Beyrouth - H. Mattsson

— و. ماتسون : فصل "إمالة" في دائرة المعارف الإسلامية II ،
Encyclopédie de l'Islam - art. «Imala» - E. Mattsson. 502. ص

— وأ. شاده : علم الاصوات عند سيويه ص 35-45.
Sibawaihis Lautlehre A. Schaade

— وبروكلمان : المختصر ...، ص 141-142 Brockelmann Grundriss

— وبرافمان : مواد... ص 34-35 (35-34) Bravmann - Materialien p.

— ونولدكه (برغشتراسر-براتزل) تاريخ القرآن: III ص 36-41 و197
— 198: Noldeke (Bergstrasser - Pretzl), Geschichte des Korans, III,

— وأ. برتزل : علم التجويد في اسلاميكا VI ص 318-326
O. Pretzl, « Die Wissenschaft der Koranlesung » - Isiamica VI,

ويميز النحاة العرب بين الإمالة الشديدة او "المحضة" اي إمالة
تبلغ الـ "e" (وهي حركة امامية نصف منغلقة) بل وحتى الـ "ا" (اي
الكسرة) وبين "إمالة بين بين" او "المتوسطة" يكون الصوت فيها
بين الفتحة (a) والكسرة (i) اي (i) في المرجح.

ولهم نظريات في اسباب الامالة فهم يعتبرونها ظاهرة مقيدة :
فالذي ينحو بالألف نحو الكسرة عندهم هو وجود ياء اصلية في الكلمة
او وجود ياء او كسرة في المقطع المجاور للألف. وعرض سيويه
لهذه المسألة عرض مبين : فقد زعم ان الألف تمال اولاً اذا كان في
المقطع الموالي لها كسرة نحو "عابِد" و"عالم" و"مساجِد" و"مفاتيح"

و"عذافر" (تقال في الجمل القوي) و"هابيل" وثانياً - إذا كان في المقطع السابق لها كسرة نحو "عماد" و"كلاب" و"سربال" (وهو القميص او الدرع) و"شمالال" (وهي الناقة السريعة) - وأخيراً إذا كان في اصل الكلمة ياء من ذلك نطقهم بالامالة في ماضي الأفعال ناقصة اليائية نحو "بكى" و"رمى" و"مشى" كذلك في الأسماء المقصورة التي تنتهي بألف مقصورة اصلها ياء نحو "حلبى" و"معزى" وكذلك في ماضي الأجوف اليائي نحو "باد" (اي اضمحل) و"فأل" (اي ضعف) و"ناب" (اي ضربه على نابه) ... الخ .

ولنا ان نتردد في قبول هذا التفسير إذ هو لا يطابق الأمثلة الواردة في لغة التخاطب وإذ ان تطبيقهم له على كثير من الحالات الخاصة كان اقرب إلى البراعة منه إلى إرضاء العقل والدليل على ذلك انهم اضطروا في تفسير إمالة "غزاً" و"صفاً" و"دعاً" وهي افعال ناقصة واوية إلى الركون إلى صيغة المبني المجهول نحو "غزى" أو إلى صيغ المزيد نحو "اغزى" (بالف مقصورة اصلها ياء) وذلك لأن في هذه الصيغ ياء وكذلك اضطروا في تفسير إمالة "مات" واصله مَوَتَ بالواو إلى الالتجاء إلى صيغة المتكلم في الماضي وهي "مِتُّ" وذلك لاحتواء هذه الصيغة على كسرة. ومن ذلك يظهر ما في مثل هذه التفسيرات من تكلف ولما لم يمكنهم الالتجاء إلى هذا النوع من التفسير في بعض الحالات الأخرى نحو حالة إمالة كلمة "الحجاج" فقد اضطروا إلى الاكتفاء بقولهم ان امالة الحجاج راجع إلى استعمال اكثر العرب (انظر سيويه II : 285) وهو افضل.

وليس معنى ذلك ان السبب الذي ذكروه للامالة باطل محض (فهناك لغات تصير فيها الفتحة إلى فتحة ممالاة إمالة خفيفة (e) او شديدة (e) وذلك بتأثير كسرة (i) موجودة في مقطع مجاور من ذلك عملية "الأوملوط" في اللغات الجرمانية مثلاً).

الا ان هذا التفسير لا ينطبق على حالة اللغة العربية فيجب اعتبار الامالة ظاهرة مطلقة تصيب جميع الفتحات الطويلة (على انه يمكن التمييز في هذا الصدد بين الفتحات الطويلة الواقعة داخل الكلمة والفتحات الطويلة الواقعة آخرها) ما لم يطرأ عليها مانع من موانع الامالة .

ولئن لم يوفق النحاة العرب في تفسيرهم لاسباب الامالة فإننا بالعكس نوافقهم تمام الموافقة في ضبطهم لموانع الامالة اي الحروف التي إذا جاورت الألف منعت امالتها وهي الحروف السبعة المستعلية الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والخاء والغين وكذلك الحرفان المفخمان في بعض مواقعهما اي الراء واللام. ومن الملاحظ ان الحاء والعين لم يذكرنا عادة في قائمة موانع الامالة .

ولا يبطل مفعول هذه الحروف في منع الإمالة إلا القياس فقد جاء في تعليم سيبويه وجوب قراءة "فاعد" و"غائب" و"خامد" و"صاعد" و"طائف" و"ضامن" و"ظالم" (١١ ص 285) وكذلك "راشد" و"الله" بدون إمالة .

إلا ان سيبويه يقول (١١ ، ص 281) بأنه يجب قراءة "خاف" بالامالة (رغم وجود الخاء) وذلك لأن في صيغة "خفت" كسرة وكذلك "طاب" (للكسرة في طبت) و"سار" (للكسرة في سرت) وفي ذلك ما فيه من الغرابة إذ لا يطابق النطق الحالي البتة .

ولئن كانت الإمالة ظاهرة قديمة (إذ هي تظهر في نقل اسماء الأعلام العربية بأحرف اللغة اليونانية : انظر بروكلمان : المختصر : ١ ، ص 141) فهي ليست عامة مطلقا فمنذ النصوص الأولى نجد بعض الفوارق بين اللهجات في هذا المضمار. فلم يتفق القراء البتة على الحالات التي تجب إمالة الألف فيها .

فإذا وقعت الألف وسط الكلمة رأينا حمزة يقرأ بإمالتها إمالة شديدة وذلك في الأفعال الماضية التي عينها حرف علة نحو "جاء" و"شاء" و"زاد" و"ران" (ومعناها استولى على) و"خاف" و"طاب" و"خاب" و"حاق" (اي احاط ب) و"ضاق" و"راغ" .

واما الكسائي وعاصم (وهما من الكوفة) فلا يميلان إلا قوله "بل ران" واما ابن عامر (وهو من دمشق) فلا يميل الا "جاء" و"شاء" الخ... (انظر الداني : "التيسير" ص 50-51) وسنرى بعد هذا الفروق في قراءاتهم الألف إذا وقعت آخر الكلمة .

ويذهب فولرس (Vollers) إلى ان الإمالة كانت شديدة بصفة خاصة في لهجات شرقي الجزيرة العربية وإلى أنها كانت اخف بكثير في لهجات الحجاز.

وفي اللهجات العربية الحديثة حالات عديدة تمال فيها الفتحة الطويلة داخل الكلمات إلا ان إمالتها إمالة شديدة جدا اي نطقها كالكسرة ظاهرة نادرة على انا نجد هذه الإمالة الشديدة جدا بواحة سخنة شرقي مدينة تدمر نحو قولهم "حَيْتَسِبْ" (hīceb) في حاجب "وتَسْمَيْبْ" (cīb) في كَعَاب (جمع كعب) و"شَيْرِبْ" (šīreb) في "شَارِبْ" الخ... وقد تكون هذه الإمالة الشديدة جدا قد وجدت أيضا في لهجة غرناطة كما يدل على ذلك رسم بيدرو دي ألكالّا (Pedro de Alcalá) نحو رسمه "لِسِينْ" (licín) في لسان و"بَيْبْ" (bíb) في باب و"مَفَيْتِحْ" (mafétih) في مفاتيح و"سَلَيْلِيمْ" (salílim) في "سلاييم" ... الخ .

وبخلاف ذلك فإن إمالة الفتحة الطويلة الى حد نطقها كالـ " e " (اي فتحة ممالاة إمالة شديدة ولكن دون بلوغ حد الكسرة) منتشرة انتشارا كبيرا فتمتد في الشرق على منطقة تضم اكثر لبنان (انظر برقشتراسر "الاطلس اللغوي"... الخريطة رقم 6) وجبل الدروز وكذلك نجد الإمالة بواحة تدمر واما بشمال افريقيا فتمال الألف إمالة تبلغ حد الـ " e " بجهة عنابة وقد يطرا على الفتحات الطويلة القديمة (ā) التي اميلت فاصبحت "e" طويلة أي (ē) في بعض الجهات عملية "الانفلاق" فتصبح حركة مزدوجة أي كسرة متبوعة بفتحة ممالاة إمالة شديدة (ie) وذلك اذا كانت النبرة واقعة عليها وذلك قولهم بجزيرة مالطة "تَمِينْ" (tmien) (اي ثمانية) ولكنهم يقولون "تَمِينِينْ" (tmenin) (ثمانين) وكذلك قولهم "تَلَيْتْ" (tliet) (ثلاثة) ولكن "تَلَيْتِينْ" (tletin) (ثلاثين) .

واما الإمالة الضعيفة اي (e) فكثيرة جدا الى درجة ان البحث عن اللهجات التي لا تقع فيها هذه الإمالة البتة أولى من البحث عن اللهجات التي تقع فيها.

وجود هذا النوع من الامالة آخر الكلمات اكثر من وجودها وسطا وقد كانت تلك هي الحال منذ العربية الفصحى : فحمزة والكسائي (وكلاهما من قراء الكوفة) كانا يميلان جميع الفتحات الطويلة الآخرة التي ترسم بواسطة الألف المقصورة والواردة في الأسماء والأفعال في القرآن (باستثناء الحروف) بل ومن المحتمل ان هذا الرسم (اي الألف المقصورة) كان يستعمل للدلالة على الإمالة اذ ان الفتحات الطويلة الآخرة المرسومة بواسطة الألف المملودة كانت قلما تسمع مع الفتحات الطويلة الآخرة المرسومة بواسطة الالف المقصورة ويذكر سيوييه (II ، ص 284) ان بعض القراء كانوا يقرأون بامالة الفتحة الطويلة الواردة في آخر الجملة قوله "يضرِبها" و"منها" و"منا" و"بنا" وانهم كانوا يقرأون بدون امالة الفتحات الطويلة في نفس تلك الكلمات اذا وردت داخل الجملة نحو "يضرِبها" و"منا" و"منها" و"بنا" .

وتكاثر الإمالة في آخر الكلمات واضح بصفة خاصة في اللهجات الحديثة فاذا قابلنا بين الخريطة رقم 6 والخريطة رقم 8 من "الاطلس اللغوي" لبرفشتراسر اوضح لنا ان انتشار الامالة بسوريا في آخر الكلمات اعظم بكثير من انتشارها بها في وسط الكلمات : مثال ذلك انهم يقولون في لهجات حوران "بِنْسِي" (bense) (اي ينسى) فيميلون فتحة السين ويقولون "بِنْسَاهِي" (bensä-he) (ينساها) فلا يميلون ذلك .

واما بالمغرب العربي فان امالة الفتحة الطويلة تميز بين بعض اللهجات مثل لهجات طرابلس والساحل التونسي وجنوب سكيكدة وصحراء الجزائر ففي مقاطعة مدينة الجزائر مثلا نرى اصحاب لهجات التل ينطقون بفتحة طويلة خالصة او بشيء من الغنة الخيشومية احيانا نحو قولهم "سَمَا" (sma) (سماء) و"قُفا" (gfa) (قفا) و"نَسَا" (nsa) (نسي) ... الخ بينما نرى اصحاب اللهجات الصحراوية يميلون الفتحة الطويلة في كل ذلك نحو قولهم بالامالة : "سَمِي" (smä) و"قُفِي" (gfä) و"نَسِي" (nsä) الخ وقد يطرأ في بعض الاحيان على الفتحات الطويلة القديمة اذا وقعت آخرا واميلت امالة شديدة (اي اصبحت " e ") مثلما يطرأ عليها اذا وقعت وسطا من "انفلاق" ولا يكون ذلك الا اذا وقعت النبرة على تلك الفتحات من ذلك قولهم في بعض

لهجات البدو التونسيين (وهي اللهجات التي سميتها (« mes «parlers E»)
 ”مِيِي“ (mí‘ā) (اي ماء) و”مَشِيِي يِي“ (mšī‘ā) (أي مشي) و”نَسِيِي يِي“ (nsī‘ā)
 (اي نسي) و”جِرِيِي يِي“ (žrī‘ā) (اي جرى) ... الخ.

وإذا وقع قبل ذلك حرف من الحروف المفخمة منع تلك الظاهرة
 الصوتية من ان تحدث بالطبع نحو قولهم ”مَضَى“ (mḍā) (مَضَى)
 ولا يحدث هذا ”الانفلاق“ الا تحت النبرة ولذلك قالوا (بدون انفلاق)
 ”سِمِيِي“ (sāmmā) (لأن النبرة على المقطع الاول) .

وكثيرا ما تطرأ الامالة ايضا على الفتححة السابقة لتاء التانيث (هـ) ونحن
 ندرس هذه الحركة في هذا السياق وان كانت قصيرة وذلك لأنها كثيرا
 ما تطول وتعتبر طويلة .

فاما في العربية القديمة فان تاء التانيث (هـ) كانت تصير الى (هـ)
 عند الوقف ويقول الكسائي انها تمال دائما في ذلك الوضع ويذهب اكثر
 القراء الاخرين الى ان الامالة لا تحدث اذ ذلك الا اذا كانت علامة
 التانيث مسبوقة بحرف من الحروف التالية : الكاف او الهاء او الراء
 او الهمزة وبشرط ان يكون هذا الحرف مسبوقا بكسرة .

واما في الالسن الدارجة العصرية فان علامة التانيث في الكلمات
 المؤنثة غير المضافة تكون بصورة الوقف اي : (هـ) او مجرد فتحة
 متبوعة بهاء خفيفة بل بهاء كثيرا ما لا تسمع وذلك حتى داخل الجملة
 ويطرأ عندئذ على الحركة تطويل تعويضي فتدخلها الإمالة كما تدخل
 الفتحات الطويلة الآخرة بل وتكون الإمالة اشد منها في الفتحات
 الطويلة الآخرة .

من ذلك ان علامة التانيث بسوريا وفلسطين والعراق تصير الى فتحة
 مماله اماله شديدة (e -) ما لم يسبقها حرف من حروف التفعيم .

وفي حين ان اماله الفتحات الطويلة القديمة اماله شديدة (اي
 نطقها) (e -) اكثر انتشارا وان اماله الفتحات الطويلة في وسط الكلمات
 قليلة نسييا .

واما بالمغرب فنجد في بعض الأماكن وفي نفس الظروف الصوتية امالة خفيفة للفتحة التي قبل تاء التانيث (اي الأة- او ة-) كفي البلاد التونسية مثلا وفي لهجات الصحراء الجزائرية .

ويقول نحاة العربية القديمة ان تفخيم الالف هو نطق بعض الفتحات الطويلة كـ الـ ة (اي " eu " في الفرنسية) وكثيرا ما ترسم هذه الفتحات الطويلة بواسطة الواو من ذلك بالخصوص كلمة "صلاة" و"ركاة" و"حياة" فكانت تنطق "صلوة" و"زكوة" و"حيوة" (salōt , zakōt) (hayōt) انظر سيوييه : II ، ص 452 ، والزمخشري - ابن يعيش X ، 125 و 127 .

وهذا النطق هو عكس الإمالة يعتبره النحاة خاصة دارجة فسيوييه يقول انه من لغة الحجاز وقد تحدث نفس هذه الظاهرة بصفة مقيدة اي بعد الحروف المفخمة : انظر فيما يتعلق بهذه المسألة : برفامان "مواد" ... ص 35-38 .

ويكثر في الالسن الدارجة العربية دخول جرس خلفي على الفتحة الطويلة القديمة فتصير الى ā وذلك اذا كانت بجوار الحروف المفخمة فقد لاحظ و.مارسي عند "اولاد ابراهيم" بمدينة صيدا انهم يقولون "رأس" (rās) و"خطي" (ḥiṭā) (اي حَطًا) و"صَام" (ṣām) و"عَاظ" (ḡāḏ) (اي أَعَاظ) ... الخ ص 37. كل ذلك بفتحة طويلة خلفية تميل الى الواو وقد اثبت بنفسني في الشرق بمدينة تدمر وجود امثلة مماثلة: انظر "لسان تدمر العربي الدارج" I ، ص 76 .

الا ان هذه الظاهرة هي ظاهرة مقيدة تقييدا شديدا وكثيرة الوجود نوعا ما وبخلاف ذلك فان انتقال جميع الفتحات الطويلة القديمة الى فتحات طويلة ذات جرس خلفي امر نادر الوقوع يظهر في لهجات الفلاحين بالمطة وكذلك في شمال لبنان ويرجع ذلك فيما يرجع الى تاثير الطبقات اللغوية السفلى بتلك الجهات : فمن المعلوم ان الفتحات الطويلة القديمة والتي تقع عليها النبرة تصير في العبرية وفي اللغة الفينيقية الى حركات خلفية نصف منغلقة طويلة (ē) والى ضمات طويلة (ā) .

وذلك يفسر في الراجح الأمثلة الموجودة في لغة فلاحي جزيرة مالطة ومن المعلوم كذلك ان الفتحات الطويلة القديمة تنزع في اللغة الارامية "الغربية" القديمة في اللغة السريانية اليقوبية (syriaque Jacobite) وفي اللهجة الآرامية العصرية بالمعلولة (Maṣūṭā) الى الانقلاب فتحات طويلة خلفية (ā) او حركات طويلة خلفية ونصف منغلقة (ō) : وذلك ما يفسر فيما يبدو نطقهم "لَسَان" (Isān) و"شَاف" (šāf) بفتحة طويلة خلفية ونجد هذا النطق في وادي قديشة (بشمال لبنان) مثلاً .

ويطلق النحاة العرب لفظ "اشمام" (1) على نزعة الكسرة الطويلة احياناً الى الاقتراب من جرس الضمة الطويلة ويذكرون في هذا السياق امثلة مستقاة من الأجوف المبني للمجهول نحو "قِيل" و"بَيْع" و"سَيْق" ... الخ.

وقد يكون اعتلال جرس الكسرة الطويلة (ā) وانقلابها " ō " او " u " راجعاً الى تذكرهم الصيغة العادية التي يكون عليها الفعل المبني للمجهول نحو قِيلَ وهي صيغة تحتوي على ضمة في مقطعها الأول أو الى تأثير حرف مجاور مفخم او لهوي أو من وسط الحلق انظر فيما يتعلق بهذه المسألة : هول : النحو العربي ص 1476-1484 . وبرافمان : مواد ص 38-39 ، وبرتزل : "قراءة القرآن" ص 299-300 .

وقد وجدت عندهم فيما يظهر نزعة تتمثل في اعلال جرس ضمة طويلة قديمة بتأثير كسرة موجودة في مقطع مجاور. وقد ذكروا في ذلك

(I) « اشمام » لفظ معناه اعادة حرف أو حركة « رائحة » - أي في الفرنسية « لون » (teinte) - حرف آخر أو حركة أخرى ولذا فان هذا اللفظ يستعمل استعمالات أخرى علاوة على الاستعمال الذي نتحدث عنه أعلاه . فابن يعيش مثلاً (x ، ص 127) يتحدث عن « اشمام » الصاد رائحة الزاى : انظر بریتزل « علم التجويد » ص 299 - 300 .

امثلة نحو(ابنُ أمّ) و(مَدْعُور) و(ابنُ بُور): انظر هول "النحو العربي" ص 1723-1724 وبرافمان مواء ص 39 .

واما فيما يتعلق بالألسن الدارجة العصرية فينبغي الإشارة الى انتقال الكسرة الطويلة والضمّة الطويلة القديمة او المتولدة عن تخفيف (الحركتين المزدوجتين "سَيّ" و"سَرّ") الى حركة امامية نصف منغلقة طويلة (ē) وحركة خلفية نصف منغلقة (õ) ذلك اذا كانتا بجوار الحروف المفخمة واللهوية وحروف وسط الحلق ويقبل هذا الانتقال في لهجات المغرب العربي. ويقول و. مارسي في "اولاد ابراهيم" ص 39-41 مدقفا ان هذا الانتقال يحدث قبل الحروف المفخمة واللهوية وبعدها ولكنه لا يحدث الا بعد حروف وسط الحلق وذلك قولهم "صُوف" (šõf) و"طُول" (tõl) و"مَسْلُوخ" (meslõh) و"قَلُوب" (glõb) و"عُود" (cõd) و"يَحُول" (ihõl) واصلها في الفصحى يَحُول و"صَقَان" (şëgãn) واصلها في الفصحى سيقان و"رِصَان" (rëşãn) واصلها صيغة وهمية "رِيسَان" اي رؤوس و"حِيلَه" (hëla) واصلها في الفصحى "حيلة" و"عَدَان" (cëdãn) اي عيدان جمع "عود" ... الخ .

وهناك امثلة من هذا القبيل في اكثر لهجات المغرب العربي: انظر: اشتمه (Stumme) في قصص واشعار مدينة "طرابلس الغرب" ص 214، وم. كوهين "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 118-128 ... الخ واما بالشرق فالحالة في هذا الصدد اقل وضوحا فلئن صح ما اثبتته ماتسون (Mattsson) في "العربية العامية ببيروت" ص 73 وبرقشتراسر (Bergstrasser) في لسان دمشق الدارج ص 28 من ان للكسرة الطويلة وللضمّة الطويلة بجوار الحروف المفخمة جرسا خاصا فان انتقال هاتين الحركتين الى الحركة الامامية نصف المنغلقة الطويلة (ē) والحركة الخلفية نصف المنغلقة الطويلة (õ) نادر: انظر بروكلمان "المختصر" ا ، ص 196

واما في بعض لهجات الحضر بجنوب المغرب العربي مثل لهجات "المسيرة" و"الطرارة" بالأرياف المحيطة بمدينة ندرومة او لهجة يهود فاس فان الضمة الطويلة القديمة اذا جاءت في مقطع وسطي اصبح

لها جرس خاص يرسم : (ة) وهو جرس وسط بين (eu) في الفرنسية وبين (ü) (وهي الـ u في الفرنسية)

ويذكر برونو (L. Brunot) في تعليقات على لهجة يهود فاس العربية («Notes sur le parler arabe des Juifs de Fès») في مجلة هسبيريس (Hespéris) 1936 - ص 13، يذكر امثلة تدل على ذلك نحو يَوْمٌ (yōm) و"لِهُودٌ" (lihōd) و"دَوْلَةٌ" (dōla) ومعناه القطيع.. الخ ويبدو ان جوار الحروف المفخمة يمنع هذا الاعتلال في الجرس

د) القيمة الوظيفية

ان كثيرا من الحركات التي هي طويلة من حيث علم الأصوات ليست كذلك من حيث علم وظائف الأصوات من ذلك ان كثيرا من الفتحاح الطويلة صوتيا يعتبرها الناطقون ممثلة لـ "و" أو "ي" نحو "مَات" ففي شعورهم الباطني يمثل هذا الفعل صيغة مَوْت (قارن بلفظة مَوْت) وكذلك "بَاضَتْ" يمثل في شعورهم بِيَضَتْ (قارن بلفظة بِيَض) واذا قارنا بين عدة افعال ماضية على وزن "كتب" تحتم علينا القيام بتحليل من ذلك القبيل وكذلك "بَاب" يمثل في شعورهم "بَوْب" (قارن بالجمع "ابواب") و"نَاب" يمثل في شعورهم "نَيْب" (قارن بالجمع "انياب").

ويبدو ان الفتحة الطويلة تمثل في تحليلهم النفساني - و-او-ى - وهو اقل من الاول من ذلك انه يبدو ان "ينام" تمثل عندهم صيغة "يَنوَم" (قارن بلفظتي نَوْم ونوَام) وذلك لان مقارنة تلك الصيغة بقولهم يَلْبَس مثلا او بصيغ المصارع الاخرى التي من نفس الوزن تحتم عليهم هذا التحليل .

ومن باب اولي واحرى ان الكسرة والضمة الطويلتين صوتيا لا تعتبران دائما من ناحية علم وظائف الاصوات ممثلتين لدرجة الكسرة والضمة الطويلة فشعورهم بهاتين الحركتين الطويلتين كانها تمثل كسرة وياء (يِي) او ضمة وواو (وُو) او ياء وكسرة (يِي) او واو وضمة (وُو)

كثير نوعا ما. من ذلك انه يبدو انهم يشعرون في تحليلهم بان كَيْسٌ°
 (kī̄s) تمثل كَيْسٌ° (kiys) (قارن بالجمع اكياس) وبان سَوْقُ
 (sūq) تمثل سَوْقُ° (suwq) (قارن بالجمع اسواق) ويبدو
 من جهة اخرى انهم يشعرون بان ”يَمَوْتُ“ تمثل عندهم ”يَمَوْتُ“
 وبان ”تَبَيُّضُ“ تمثل ”تَبَيُّضُ“ : ومقارنة هاتين الصيغتين بصيغ المضارع
 التي على وزن ”يَكْتُبُ“ و”يَكْسِرُ“ تحتم طبعا القيام بتحليل من هذا النوع.

وهذه التحاليل الوظائفية صحيحة ايضا بالنسبة الى اللهجات العربية
 العصرية.

(III) الحركات المزدوجة

كان في السامية حركتان مزدوجتان وكان اول عنصر من عنصريهما
 قصيرا وهما ”سَي°“ و”سَو°“ وقد بقيت هاتان الحركتان المزدوجتان في
 العربية القديمة وترسمان حسب مبادئ الخطوط الالامية بواسطة
 الياء والواو مسبوقتين بفتحة وليس في العربية القديمة الا عدد قليل من
 امثلة اعتلال الحركات المزدوجة : نذكر من ذلك انه يبدو ان الحركة
 المزدوجة (سَي°) اذا كانت في آخر الحروف صارت الى مجرد فتحة طويلة
 نحو ”الى“ (اصله الي°) و”على“ (اصله علي°) وتظهر الحركة المزدوجة
 القديمة من جديد في حالة اضافة الحرف الى الضمائر نحو ”عليك°“
 الا ان بروكلمان يذهب في ”المختصر“ 1 ، ص 190 الى انه يجب
 الانطلاق في هذه المسألة من صيغ تنتهي بفتحة اي ”الي°“ و”علي°“
 وذلك حملا على قولهم ”فَوْق°“ و”تَحْت°“ ويرى اذن ان ما حدث
 هو مجرد سقوط الياء بين حركتين وبخلاف ذلك فان مثال ”لَسْتُ°“
 الى جانب ”ليس“ يدل على ان ما وقع هو حقيقة انتقال الحركة المزدوجة
 (سَي°) الى مجرد فتحة .

وقليلا ما تسلم الحركات المزدوجة القديمة في الالسن العربية
 الدارجة .

واما بالشرق فنجدها سالمة بلبنان (انظر برقشتريسر "الاطلس اللغوي" - الخريطة عدد 11) ويذكر فغالي في "كفر عبيدة" ص 83، امثلة نحو قولهم "بَيْتٌ" (bayt) "وَلَيْلِهِ" (layle) و"مَوْنَنَا" (mawna) و"لَوْنٌ" (lawn) ... الخ .

واما بالمغرب العربي فان بقاء الحركات المزدوجة القديمة سالمة سلامة تامة غير مقيدة امر نادر ان لم نقل غير موجود. ولكن وبخلاف ذلك فان هذه الحركات المزدوجة تثبت بعد حروف وسط الحلق اي الحاء والعين نحو قولهم "عَيْنٌ" (ʿayn) و"عَيْبٌ" (ʿayb) و"عَوْرًا" (ʿawra) و"حَيْثٌ" (ḥayt) و"حَوْلًا" (ḥawla) (اي حولاء) الخ...

انظر بالخصوص و. مارسي "اولاد ابراهيم" ص 35 ويلاحظ م. كوهين في "لهجة يهود مدينة الجزائر" ص 119، ان الضمات والكسرات الطويلة القديمة اذا وقعت بعد العين صارت الى "و" و"ي" (au-ai) بحيث لا يمكن التمييز بين "عَوْدٌ" (ʿawd) (من عَوْدٌ اي حِصَانٌ ويبن عَوْدٌ (ʿawd) (من عَوْدٌ (ʿūd) اي خشب). واخيرا ينبغي الاشارة الى ان بعض الحركات المزدوجة قد تصاغ من جديد وتثبت وذلك لاسباب صرفية : من ذلك ما اثبتته و. مارسي بتلمسان ص 36-37 من انهم يقولون : "قَهْوَتْسِي" (qahhautʿi) (من قَهْوَه (qahwa) في حالة عدم الاضافة) وكذلك قولهم "مَشِيْتْسِكْ" (meššitʿsek) (اي مَشِيْتْكْ (mešytek) (من مَشِيَه في حالة عدم الاضافة) وذلك قياساً على "بَقَرْتْسِي" (baggartʿi) (اي بقرتي) وكذلك صيغة "يُوُصَلْ" (yeuṣol) قياساً على عدد عديد من صيغ المضارع التي من نوع يَكْتَسِبُ (yektʿeb) والدليل على ذلك صيغة الجمع يُوُوصَلُ (yeuwoslo) قياساً على يَكْتَسِبُ (yekketʿbu) .

ويكثر جدا بقاء الحركات المزدوجة بقاء جزئيا فقط اي ان العنصر الاول منها هو الفتحة يقترب من العنصر الثاني على سبيل التقريب فاذا كان قبل الياء صار حركة امامية نصف منغلقة اي (e) واذا كان قبل الواو صار حركة خلفية نصف منغلقة اي (o) ينزع العنصر الثاني

الى الانقلاب قصيرا للغاية بينما يطول العنصر الاول تطويلا تعويضا
فتصير "سي" الى (èʎ) و"سو" الى (oʷ) وذلك ما يحدث في بعض
لهجات البدو بشمال الجزيرة العربية (انظر كانتينو : "دراسات في بعض
لهجات البدو" : ا ، ص 47 و II ، ص 151-152)

ونجد ذلك ايضا في لهجات البدو الصحراويين بشمال افريقيا من ذلك
قولهم "بيضا" (beida) و"طفيل" (fʷeɪl) اي طفل صغير و"كليت"
(kleɪt) اي اكلت و"موت" (moʊt) اي موت و"نوم" (noʊm)
اي نوم و"لون" (leʊn) اي لون : انظر أ. دينا (A. Dhina) :
تعليقات في صوتيات لهجة الأرباع وصرها ص. 317 Notes sur la
phonétique et la Morphologie du parler des Arbâc
لهجات الانجاد "hauts-plateaux" وهران : انظر و. مارسي :
"اولاد ابراهيم" ص 32-36 .

وهناك ظاهرة اكثر وقوعا من ذلك وهي تخفيف الحركتين المزدوجتين
"سي" و"سو" الى حركة امامية طويلة : من ذلك قولهم "بيت" (bēɪ)
وليل (lāɪ) و"يوم" (yōm) و"لون" (lōn) ... الخ وهذا
العلاج للحركات المزدوجة مطرد او يكاد بالشرق ونحن نجده كذلك
بشمال افريقيا ونجد في اكثر اللهجات التي لا تبقى فيها الحركات
المزدوجة الا بصفة جزئية بعض الصيغ المحدودة الى حركة امامية نصف
منغلقة طويلة اي (ē) والى حركة خلفية نصف منغلقة طويلة اي (ō)
وتظهر هذه الصيغ الى جانب الحركات المزدوجة ذات العنصر الثاني القصير
للاية اي ēʎ و oʷ وقد اثبت ذلك في لهجات البدو بشمال الجزيرة
العربية (انظر كانتينو : نفس المرجع) ونجده كذلك في لهجات البدو
بشمال افريقيا وذلك بالانجاد العليا بمنطقة وهران : انظر و. مارسي
"اولاد ابراهيم" ص 32 و 40 و 41 فقد اثبت و. مارسي هناك قولهم "كبيش"
(kʰubēʃ) اي كيش صغير و"بيت" (bēɪt) و"مشيت" (msēɪt)
وكذلك اثبت قولهم "فوف" (fōg) و"يوم" (yōm) و"شوك"
(šōk) عوض فوف (fōʷg) ويوم (yōʷm) وشوك (šōʷk)
وهي الصيغ العادية التي نتظرها منهم .

وقد التقط "دينا" (نفس المرجع) امثلة مماثلة لذلك في لهجة من لهجات صحراء الجزائر.
وقد يذهبون في تخفيف الحركتين المزدوجتين "سي" و "سو" و "سو" الى ابعد من ذلك .

فكثيرا ما تصير هاتان الحركتان المزدوجتان الى مجرد كسرة طويلة (ā) وضمة طويلة (tā) وذلك بشمال افريقيا في لهجات الحضر وفي لهجات البدو التلييين فتستويان هكذا في الحركتين الطويلتين الاصيلتين اللتين لهما نفس الجرس من ذلك قولهم "ليل" (līl) في "ليل" و "بيت" (bīt) في "بيت" و "زيت" (zīt) في "زيت" وقولهم "يوم" (yūm) في "يوم" و "لون" (lūn) في "لون" و "شوك" (šūk) في "شوك" الخ.

ويوجد هذا التخفيف في جميع لهجات الحضر بالمغرب العربي من تونس العاصمة الى الساحل الاطلنطي بالمغرب الاقصى وذلك في لهجات البدو الذين تاثروا بالحضر.

وقد تعتل الحركتان المتولدتان عن الحركتين المزدوجتين القديمتين بدورهما فيدخلهما ظاهرة "الانفلاق" وهو ما يحدث خاصة بشأن الحركة الامامية نصف المنغلقة الطويلة (ē) والحركة الخلفية نصف المنغلقة الطويلة (o) فتتفلق الاولى اي (ē) وهي المتولدة عن "سي" فتصير "سي" (ye) وذلك في بعض اللهجات العراقية (انظر فيسباخ Weissbach) مجلة الجمعية الاستشراقية LVIII ص 934 Z D M G وانظر كذلك بروكلمان : 1 ص 191).

وقد اثبت بنفسه برمادي (Rumādi) صيغا كهذه "بيات" (byēt) اي "بيت" و "ليال" (lyēl) اي "ليل" و "زيان" (zyēn) اي "زين" (اي جميل) و "بياض" (byēd) اي "بيض" و "ديان" (dyēn) اي "دين".
واما في لهجات البدو بالجنوب التونسي فان الحركة الامامية نصف المنغلقة الطويلة اي (ē) المتولدة عن "سي" تتفلق الى "سي" (iā) (مثلها في ذلك مثل اختها المتولدة عن الفتحة الطويلة انظر اعلاه ص 161) وكذلك تتفلق الحركة الخلفية نصف المنغلقة الطويلة المتولدة عن (سو) فتصير (- uā) وذلك اذا وقعتا في مقطع آخر منبر من

ذلك قولهم: "يَوْمٌ" (yuq̄m) في "يَوْمٌ" على أنهم يقولون "يَوْمِينَ" (yūmiān) اي "يَوْمَيْنِ" و"يَوْمِي" (yōmi) اي "يَوْمِي" وكذلك قولهم "لَيْلٌ" (līl) اي لَيْلٌ على أنهم يقولون الى جانب ذلك "لَيْلَتَيْنِ" (līlītān) اي "لَيْلَتَيْنِ" و"لَيْلِهِ" (lēlāh) اي "لَيْلَةٍ": انظر و. مارسي "حامة قابس": معجم الالفاظ.

وقد تكون بصفة ثانوية في الالسن الدارجة العربية عدد ما من الحركات المزدوجة يكون العنصر الاول فيها طويلا اي من نوع "آي" (āi) و"آو" (āu) فيذكر و. مارسي من لهجة "اولاد ابراهيم بمدينة صيدا" ص 34-35، قولهم "قَائِدَهُ" (qāidāh) اي قائده "وَزَوَائِلِي" (zwāili) اي "ذَوَائِي" و"جَائِي" (žei) اي صيغة اسم الفاعل من جَاءَ يَجِيءُ و"مَائِدَهُ" (mēida) اي "مائدة" الخ. وكذلك يذكر و. مارسي قولهم "بِقَاو" (bqāu) اي "بِقَاو" و"جِرَاو" (žrāu) جمع جَرَو (وهو بالفصحى جراء واجر والجمع اجرية) و"جَاو" (žāu) اي "جاؤوا الخ. وقد ينزع هذا العنصر الاول الطويل الى القصر احيانا فلفظة حائط في الفصحى يوافقها بتلمسان قولهم "حَيْطٌ" (hait) وبطرابلس الغرب وتونس العاصمة قولهم "حَيْطٌ" (hēt) بكسرة تمثل في الحقيقة حركة امامية نصف منغلقة طويلة اي (ē) وكذلك نجد بتلمسان كلمة "بِنِّي" (bennai) الى جانب "بِنَّاي" (bennāi) اي بِنَاءٌ وكلمة "يَقْرَو" (yeqrau) الى جانب "يَقْرَاو" (yeqrāu) اي "يَقْرُونَ" وكلمة "شَكَايْرِي" (škairi) عوض "شَكَايْرِي" (škāiri) اي "أَكْيَاسِي": انظر و. مارسي تلمسان" ص 36 .

ان الحركات المزدوجة هي من الناحية الصوتية حركات طويلة يتحور جرسها اثناء النطق بها. وبخلاف ذلك فانه يبدو انه ليس للحركات المزدوجة في العربية اي وجود خاص من الناحية الوظيفية فيظهر أنهم يحللونها دائما هكذا: حركة + نصف حركة تقوم مقام حرف.

فاذا اخذنا لفظة كَ "بَيْتٌ" او "مَشَيْتٌ" راننا أن مجموعة (سَ) فيها تقوم تماما مقام مجموعة "سَ" في قولهم "بَرَق" او مجموعة

“تَل” في قولهم “قَتَلت” وكذلك مجموعة “و” في قولهم “لَوَز”
او “عَزَوَت” توافق تماما مجموعة “ل” في قولهم “كَلَب” او “ب”
في قولهم “طَلَبت” .

ولا يمكن العثور على حركات مزدوجة حقيقة الا في حالات نادرة
جدا مثل تناوب حركة طويلة وحركة مزدوجة في علامة المثني آن - يَن

وكذلك الامر في اللغات العربية : فالحركات المزدوجة بها سواء
الكاملة او المخففة وسواء اكان عنصرها الاول قصيرا او طويلا تمثل في
شعورهم اللغوي كذلك مجموعات تتركب من : حركة + نصف حركة
تقوم مقام حرف وكذلك يحللون بدون شك علامة التانيث اي “ن”
(ēyn) او “ين” (ēn) نفس ذلك التحليل حملا على بقية الحركات
المزدوجة .

(IV) الحركات القصيرة

كان في السامية كما سبق ان ذكرناه اعلاه ص 147 - ثلاث
حركات قصيرة : الضمة والفتحة والكسرة.

وقد احتفظت العربية القديمة بنظام الحركات القصيرة هذه كما
احتفظت بنظام الحركات الطويلة السامي احتفاظا ملحوظا. وسندرس
الآن رسم هذه الحركات القصيرة وكميتها واجراسها وقيمتها الوظيفية.

1 - الرسم :

لم يكن في الخط العربي في اول عهده في القرن الاول للهجرة اية
طريقة لرسم الحركات القصيرة ولم يكن يرسم فيه رسما مناسبيا الا
حركتان طويلتان هما الضمة الطويلة والكسرة الطويلة (واما الفتحة الطويلة
فلم تكن ترسم الا في آخر الكلمات)

ولم يهتموا برسم الحركات القصيرة الا في القرن الثامن المسيحي

عندما ارادوا ضبط قراءة القرآن واثباتها اثباتا نهائيا فاقترضوا علامات رسم الحركات القصيرة من الآراميين كما فعلوا ذلك بالنسبة الى نظام خطهم نفسه.

وكان الآراميون يستعملون في رسم الحركات القصيرة طريقتين مختلفتين : فتارة كانوا يستعملون في داخل الكلمة الواو والياء (وهي طريقة اليهود الآراميين (Judéo-Araméens) او حتى الهمزة والعين (وهي طريقة المانديين (Mandéens) فيرسمون بواسطتها الحركات القصيرة منها والطويلة. ويبدو ان العرب لم يتخذوا هذه الطريقة في رسم الحركات القصيرة الا في كلمة واحدة وهي اسم الاشارة "اولى" فقد رسموا الضمة على قصرها في هذه الكلمة بواسطة الواو (انظر اعلاه ص 151) وفعلا فقد كان لهذه الطريقة عائق كبير ذلك انها كانت تضطرهم الى تحوير رسم الكلمات باقحام هذه الحروف ذات القيمة الحركية فيها. فكان من العسير اذن تطبيق هذه الطريقة على كتب مقدسة كانوا يعتبرون منذ البداية نص حروفها نصا مقدسا فيحرمون على انفسهم إضافة أية زائدة اليها فلا اليهود استعملوا هذه الطريقة في التوراة ولا المسلمون استعملوها في القرآن. ولذلك فقد آثروا الطريقة الثانية التي كانت تمثل في وضع علامات صغيرة لرسم الحركات اما فوق نص الحروف او تحته وقد رأينا اعلاه ص : 150 انهم قد استعملوا هذه الطريقة في البداية لرسم الفتحة الطويلة داخل الكلمات وقد اتخذوها ايضا لرسم الحركات القصيرة : فاستعملوا اولا النقط ثم الخطوط الصغيرة ثم آل بهم الامر في النهاية الى اتخاذ النظام الحالي المتركب من ثلاث علامات خاصة برسم ثلاثة اجراس وظائفية ويبدو انهم اخذوا هذه العلامات من الخط السرياني اليعقوبي (المسيحي) فقد تكون علامة الفتحة وهي (ـَ) مأخوذة عن (ـِ) وعلامة الكسرة (ـِ) عن (ـِ) وعلامة الضمة وهي (ـُ) عن (ـُ)

ورغم ما في هذا النظام من وضوح وسهولة فقد قل استعماله في ما عدا القرآن اللهم الا اذا ارادوا ضبط كلمة من الكلمات. فبقيت الكتابة العربية كأنها ضرب من الاختزال يجب فهمه اولا كي تسنى قراءته. وذلك عيب من اكبر عيوب الخط العربي.

علينا ان ننظر تحت هذا العنوان في مسالتين متباينتين مسألة تطويل بعض الحركات القصيرة ومسألة تحقيق الحركات القصيرة او سقوطها اذا وقعت في مواقع معينة .

فاما تطويل بعض الحركات القصيرة في الاصل فيظهر بالخصوص في الالسن الدارجة العربية الحديثة (1) وتأثير القياس الصرفي او المعجمي في هذا التطويل اكبر من تأثير الاصوات فيه. وبالخصوص فقليلا ما يكون تأثير نبرة الكلمة في هذا السياق مفروغا منه وان اعتمدوا عليه كثيرا في تفسير هذا التطويل (انظر بروكلمان : المختصر : ا ، ص 91-93 وو. مارسى "اولاد ابراهيم" ص 41 و69-73).

ويمكن اعزاء التطويلات التي نشاهدها الى الاسباب التالية :

(أ) الحمل على صيغ اخرى من نفس المادة : من ذلك انهم يقولون في اكثر لهجاتهم : "زيد" (zīd) (اي زدّ) و"قُول" (qāu) (اي قُل) وذلك حملا على قولهم في الجمع "زَيْد" (zīdu) و"قُول" (qāu) اي "زيدوا" و"قولوا" .

(ب) حاجتهم الى جعل بعض الكلمات ثلاثية وقد كانت ثنائية في الاصل : كذلك تفسر قولهم بمدينة صيدا "جِيهَة" (žīha) اي جِهَة) و"دِيهَة" (dīya) (اي دية) و"رِيهَة" (rīya) (اي رية) و"لُوغَة" (lōga) (اي لغة) و"كُورَة" (kōra) (اي كُره) : فالحركة الطويلة في كل ذلك تمثل في شعورهم اللغوي حرفا اصليا معتلا هو عين الكلمة. ومن ذلك ايضا قولهم "كُول" (kū) (اي كُ) و"خُود" (hūd) (اي خُذ) .

(ج) اضطرارهم الى اثبات حركة قصيرة كانت تؤول الى السقوط لو

(I) على أن النحاة العرب قد اشاروا احيانا الى تطويل يطرأ على الحركات القصيرة وكانوا يسمونه « اشباعا » : انظر سيبويه : II ، ص 324 .

لم يطيلوها وذلك لوقوعها قصيرة في مقطع منفتح وكان يؤدي سقوطها ذلك اما الى جعل الصيغة ثنائية بعد ان كانت ثلاثية واما الى طمس معالمها الصرفية او الى جعلها عسيرة على النطق.

من ذلك تطويل اهل المغرب العربي في الاكثر الحركة القصيرة الواقعة في مقطع منفتح بعد همزة في الكلمات المهموزة الواو وذلك تحاشيا لجعل الكلمة ثنائية بسقوط الهمزة والحركة المذكورة وكذلك نفس الصيغ الآتية : "آنا" (āna) (اى أَنَا) و "آسم" (āsem) (وفضيحه راسم واصله : سِم) و "آمس" (āmes) و "أهل" (āhal) (اى أَهْل). ويرجع انفتاح المقطع في الامثلة الثلاثة الاخيرة الى اقحام حركة فاصلة بين الحرفين الآخرین وأما الصيغ التي من نوع قول البدو الرحل بالبلاد التونسية "جَابَاتَه" (jābātāh) (اى جَاءَتْ بِهِ) او قولهم في قسم كبير من شمال افريقيا "ضُرْبَاتَه" (dōrbāto) او "ضُرْبَاتَه" (dōrbātāh) (اى ضُرِبَتْهُ) ففيها فضل المحافظة محافظة تكاد تكون كاملة على هيئة الصيغة المجردة اى بدون ضمائر وهي هنا "جَابَتْ" (jābāt) و "ضُرِبَتْ" (dōrbāt) وكذلك الضمائر المنفصلة ذات الفتحة الزائدة لتكثير الكلمة وهي : "هُوْ" (hūwa) و "هِي" (hiya) و "هُومَا" (hūma) (ووافقها في الفصحى "هُو" و "هِي" و "هُم") تكون حركتها الاولى طويلة وجوبا وذلك لانها لو بقيت قصيرة لسقطت ولاصحت العلاقة بين هذه الضمائر المطولة وبين صيغ الضمائر المخففة اى "هُ" و "ه" و "هُم" غير واضحة وكذلك الامر في صيغة "هُم" فكثيرا ما تطول حركتها فتصبح "هُوم" (hūm) وذلك بتاثير صيغة "هُومَا" (hūma) واخيرا فان قولهم بمصر "تَسْلِيِيَه" (tasliya) (اى تسلية) و "تَسْوِيِيَه" (taswiya) (اى تسويه) يرجع تطويل الكسرة فيه اولا الى انه لو سقطت الكسرة لادى ذلك الى ظهور مجموعتين عسيرتين على النطق لانعدام حركة فاصلة منها "س ل ي" و "س و ي" وثانيا الى كثرة الصيغ التي تنتهي بـ "يِيَه" في اللغة .

د) الرغبة في المحافظة قدر المستطاع على سلامة بعض الكلمات الفصحى التي فيها حركات قصيرة واقعة في مقطع منفتح : من ذلك قولهم "نَابِي" (nābi) (وفضيحه نَبِي) و "مَأْكَ" (mālek) (وفضيحه مَلِك) و "حِيزِب" (hezeb) (وفضيحه حِزْب) ومن ذلك بلا شك

قولهم ايضا : "عَاصِرٌ" (cāṣor) (وفصيحة عصر اي الصلاة) و"مَاصِرٌ"
 (māṣor) (وفصيحة مَصْرٌ - مَصْرٌ) و"عَادِلٌ" (ādel) (وفصيحة
 عدل وهو عون القاضي) و"عَاهُدٌ" (āhōd) (وفصيحة عهد) الخ

ولعله يجب ايضا ان تفسر بنفس الكيفية صيغ الجمع التي من نوع
 "قُوْتَالَه" (qūtāla) (وفصيحة قتلاء) و"فُوْقَاهَه" (fūqāhā)
 (وفصيحة فقهاء) و"عُوْلَامَه" (cōlāma) (وفصيحة علماء) بل وحتى
 صيغة "رُوْفَائِه" (rūfāga) (اي رفاق) : انظر و. مارسي "اولاد
 اسراهم" ص 134-135 .

ان مسالة ثبوت الحركات القصيرة اذا وقعت مواقع معينة او
 سقوطها مسالة جد متشعبة فالامثلة مختلفة من لهجة الى لهجة ولسنا
 واثقين دائما من امكان تاويل هذه الامثلة تاويلا صحيحا.

أ) اذا وقعت الحركات القصيرة في مقطع منغلق (1) اثبتت عادة
 في اكثر اللهجات : مثال ذلك ثبوت الحركتين في قولهم "مِنْجِلٌ"
 (menǧel) (وفصيحة مِنْجَلٌ) و"فُنْفُدٌ" (gonfod) (وفصيحة
 قنفذ) ويكاد يكون ثبوتها هناك مطردا في جميع اللهجات اللهم الا
 بالطبع اذا صار المقطع مفتوحا اما بدخول زائدة خلفية على الكلمة
 او باقحام حركة فاصلة فيها (انظر ما سيأتي في هذا فيما بعد)

الا ان الحركات القصيرة بشمال افريقيا وبالاخص بالمغرب الاقصى
 تصير بسهولة قصيرة للغاية وذلك اذا وقعت في مقطع منغلق وخاصة اذا
 لم تقع عليها النبرة : ويرجع ذلك فيما يظهر الى سرعة نطقهم الكبيرة
 في هذه اللهجات. وقد تسقط تماما وذلك اذا وقعت في مقطع منغلق وبين
 حرفين يكوّنان مجموعة يسيرة على النطق يسرا يجعل احدهما كانه
 يجذب الآخر اليه من ذلك كلمة "حَنَكٌ" فقد تصير "حَنَكٌ" (ḥank)
 وكلمة "قَلَمٌ" فقد تصير "قَلَمٌ" (qālm) (اي بفتحة بين الفتحة والضمة نصف
 المنغلقه اي : ā) وليس نجد بالشرق امثلة من هذا القبيل الا لماما.

(I) انظر فيما يتعلق بتحديد هذه الاصطلاحات عدى «مقطع منغلق» و«مقطع
 مفتوح» ما سيأتي في ذلك في فصل الكلام عن «المقطع والنبرة» .

ب) لقد سقطت الحركات القصيرة من آخر الكلمات منذ عهد قديم جدا. فمنذ العربية الفصحى القديمة كانوا يسقطون هذه الحركات القصيرة عند الوقف اى بعبارة اخرى عند كل قسم من اقسام الجملة (انظر ما بعد. هذا في فصل "المقطع والنبرة") وكذلك تسقط الحركات القصيرة اذا ابتدأت الكلمة الموالية بحرف من شأنه الادغام في الحرف الاخير من الكلمة السابقة (ويسمى ذلك الادغام الاكبر) نحو "بَيْتَ طَائِفَةَ" (قرآن : IV ، 83) فكثيرا ما كانوا يقرؤون ذلك هكذا : "بَيْطَائِفَةَ" اى باسقاط حركة التاء. ولم تسقط الحركات القصيرة الاخرة في اللسان الدارجة العربية الحديثة عند الوقف فقط بل وايضا في داخل الجملة. ومن العسير الجزم بان هذا الاسقاط قد طرأ على الحركات القصيرة الثلاث في آن واحد فمن الممكن ان تكون الفتحة قد ثبتت زمنا اطول من اختيها الكسرة والضمة.

ج) واذا وقعت الحركات القصيرة في مقطع منفتح وسط الكلمة كانت الامور اشد تعقدا فلا تسقط الحركات القصيرة في هذا الموقع من العربية الفصحى القديمة الا على سبيل الحذف اى اذا وقعت بين حرفين قابلين للادغام في حالة الادغام الكبير نحو "مَسَسْ" - "مَسْ" و "رَادِدْ" - "رَادْ" الخ. على انه يبدو ان الكسرة السامية القديمة قد سقطت من وسط بعض الكلمات مثل "ا) بن" (قارن بقولهم في العبرية : "بِن" (ben) و "ا) شَم" (قارن بقولهم في العبرية : "شَم" (šem) وكذلك اسم العدد "ا) ثنان" (قارن بقولهم في الآكادية : "شينا" (šinā) (1).

واما في اللسان الدارجة العربية الحديثة فنجد بالعكس كثيرا من الامثلة التي سقطت فيها الحركات القصيرة الواقعة في مقطع منفتح : الا ان هيئة الامثلة في هذا الصدد تختلف من لهجة الى اخرى اختلافا كبيرا. فلنلاحظ اولا ان حظ الحركات القصيرة الثلاث من التعرض الى السقوط ليس واحدا : فكثيرا ما تكون الفتحة اشد ثباتا من الكسرة والضمة. وقد يكون ذلك ناتجا عن ان "الفتحة القصيرة او الطويلة اطول من الكسرة

(I) وعلاوة على ذلك فان النحاة العرب قد تفتنوا الى وجود حركات قصيرة مصغرة سموها « اختلاما » : انظر ما بعد هنا .

والضمة القصيرتين او الطويلتين“ (انظر أ. مابِّي (A. Meillet) في فصله
 ”في كمية الحركات المنغلقة“ الصادر بـ ”مذكرات الجمعية اللغوية بباريس“
 XV ص 265-268 in MSL - XV p. 268-265
 وقد استشهد بذلك ”فغالي“ في ”كفر عبيده“: ص 120 Féghali - Kfar abida

فمن الممكن اذن ان تقسم اللهجات الحديثة الى طائفتين كبيرتين :
 اولاً - اللهجات غير الفارقة (non différentiels) التي تعالج فيها
 الحركات القصيرة الثلاث الفتححة والكسرة والضمة اذا وقعت في مقطع
 منفتح علاجاً واحداً - وثانياً : اللهجات الفارقة (différentiels)
 اي التي تسقط فيها الكسرة القصيرة والضمة القصيرة اذا وقعتا في مقطع
 منفتح بينما تنزع الفتححة الى الثبوت اذا وقعت نفس ذلك الموقع. ويمكن
 ان نميز داخل كل واحدة من هاتين الطائفتين الكبيرتين بين اقسام فرعية
 وذلك بحسب دور ”نبرة الكلمة“ او دور ”تابع المقاطع القصيرة“ وسننظر
 الآن في بعض الامثلة :

فيبدو ان اللهجات غير الفارقة قليلة بالشرق واللهجة الوحيدة التي
 وصفت وصفاً جيداً هي لهجة كفر عبيده (بلبنان) وتسقط الحركات
 القصيرة فيها اذا وقعت في مقطع منفتح الا اذا وقعت عليها نبرة الكلمة
 فتثبت وذلك قولهم ”سَلَامٌ“ (slām) (من سَلَامٌ في الفصحى) و”لِسَانٌ“
 (lsān) (من لِسَانٌ في الفصحى) و”غُرَابٌ“ (ġrāb) (من غُرَابٌ
 في الفصحى) وَلَكِنهُمْ يَقُولُونَ ”أَلْمُ“ (ʿālem) (اي قلم في الفصحى)
 و”حَرْفٌ“ (ḥerāf) (وهو حَرْفٌ في الفصحى) و”كُتِّبَ“ (kótab)
 (اي كتب في الفصحى) فتثبت الحركة القصيرة في المقطع المنفتح الاول
 لوقوعها تحت النبرة .

وبالعكس فان اللهجات الفارقة كثيرة مختلفة الانواع بالشرق وتثبت
 الفتححة في نوع من هذه الانواع وهو كثير الانتشار في لهجات الحضر
 ولهجات كبار المدن كبيت المقدس ودمشق وبيروت وحلب وذلك اذا
 جاءت في مقطع منفتح منبر او غير منبر اي في مقطع قبل النبرة او
 بعدها. من ذلك قولهم : ”مَبَارِدٌ“ (mabāred) (اي جمع مِبْرَد)
 و”مَكْتَبَةٌ“ (māktābe) (اي مكتبة) .

وإذا تتابع مقطعان منفتحان في كل واحد منهما فتحة ثبنا ثبوتاً كاملاً نحو قولهم : "بَدَنُ" (badano) (اي بدنه) و"بَلَدُ" (baladi) (اي بلدي) و"بَصَلَهُ" (baṣale) (اي بَصَلَهُ) و"بَكَرَهُ" (bakara) (اي بَكَرَهُ) ويعتبرون علامة التانيث وهي الفتحة او الفتحة الممالة امالة شديدة اي (e) طويلاً) ومنه ايضاً قولهم : "بَقَارَةٌ" (baqārat) (اي بَقَرَاتٌ) و"خَشَابَةٌ" (hašābat) (اي خشبات) الخ.

وبخلاف ذلك اذا تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة سقطت فتحة المقطع الثالث وخفت فتحة المقطع الثاني تخفيفاً شديداً نحو : "رَقَبَةٌ" (raqēbtu) (من رَقَبَةٌ + هـ) و"خَشْبَتَيْنِ" (hašōbtēn) (من خشبتين). ومن جهة اخرى فان الفتحة القصيرة التي في علامة التانيث تسقط عادة اذا وقعت في مقطع منفتح بخلاف الفتحات الاخرى نحو قولهم : "رُكْبَتِي" (rökōbti) في "رُكْبَتِي".

وبخلاف ذلك فان الكسرة والضمة لا تثبتان في المقاطع المنفتحة الا اذا وقعت عليهما النبرة فان لم تكونا كذلك سقطتا نحو قولهم بالاثبات "رُكْبٌ" (rúkab) (اي "ركب" جمع ركبة) ولكنهم يسقطون الضمة في نحو "بَيْوتٌ" (byūt) اي "بيوت" وكذلك قولهم بالاثبات "لِحَاً" (leḥa) اي لحي جمع لحية) وبالاسقاط "كِلَابٌ" (klāb) (اي كلاب).

وهناك انواع عديدة اخرى من هذه اللهجات. فالكسرة والضمة الواقعتان في المقاطع المنفتحة تسقطان من لهجات الفلاحين بحوران بالمملكة الأردنية ويقسم من فلسطين وذلك حتى اذا كانتا في الظاهر منبرتين سابقا: وذلك قولهم "رُكْبٌ" (rkab) (اي جمع ركبة) و"لِحَاً" (lḥa) (او لِحِي) (lḥe) بامالة الفتحة امالة شديدة) وهو جمع لحية.

وبخلاف ذلك فان الفتحة تثبت عادة في المقاطع المنفتحة المهم الا اذا تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة فاذا كان ذلك سقطت حركة المقطع الثاني (لا المقطع الثالث كما كانت الحال اعلاه) نحو "رَقَبَتٌ" (raqbato) (اي رقبته) و"خَشْبَتَيْنِ" (hašbatēn) (اي خشبتين).

وبخلاف ذلك فان فلاحى مدينة تدمر يشتون جميع الفتحات في حالة تتابع ثلاثة مقاطع منفتحة يضم كل واحد منها فتحة نحو قولهم "رَقَبْتَه" (raqabate^h) (بامالة فتحة التاء امالة شديدة) وقولهم "خَشَبْتَيْن" (ḥaṣabatēn) بكسر التاء كسرا ينطبق كالفتحة الممالة امالة شديدة. وذلك رغم ان الحالة هناك فيما عدا هذه النقطة مماثلة للحالة بلهجات حوران. وتسقط الكسرة والضمة عادة من المقاطع المنفتحة في لهجات البلو الرحل بشمال الجزيرة العربية وذلك حتى اذا كان المقطع فيما يظهر قد وقعت عليه النبرة سابقا ولكن هذه اللهجات لا تقبل الا مقطعا منفتحا واحدا فيه فتحة : فاذا تتابعت عدة مقاطع منفتحة في كل واحد منها فتحة ثبت المقطع الثاني فقط وسقطت سائر المقاطع الاخرى نحو قولهم : "جَمَل" (ḡamal) (اى جَمَلٌ) ولكن "جَمَلِي" (ḡmōli) (اى جَمَلِي) وقولهم "رَقَبْتِي" (rgobti) (اى رقبتي) و"خَشَبْتَيْن" (ḥṣōbtēn) (اى خشبتين) ... الخ انظر كاتينو "دراسات في بعض لهجات البلو الرحل" ا ، ص 52-65 و ب ، ص 40-50 .

وبخلاف ذلك فان الباحثين لم يشيروا الى حد الآن الى وجود اية لهجة فارقة بالمغرب العربي : فعلاج جميع الحركات القصيرة الواقعة في المقاطع المنفتحة واحد في جميع اللهجات التي وصفت الى الآن. وتحفظ لهجة من هذه اللهجات وهي المالطية بالحركات القصيرة المنبرة الواقعة بمقطع منفتح نحو قولهم : "قَمَر" (qamar) و"طُرُق" (tōroq) وقولهم "فِدِد" (fided) (اى فِضْض في الفصحى ومعناه قطع من فضة) .

واما اللهجات الحالية بشمال افريقيا فتتزع الى اسقاط جميع الحركات القصيرة في الاصل اذا وقعت في مقاطع منفتحة نحو قولهم "فَرَس" (fras) (وفصيحة فَرَس) و"مَنَافِخ" (mnāfah) (وفصيحة مَنَافِخ) و"جُدُد" (ždud) (وفصيحة "جُدُد") و"قُلُوب" (qlōb) (وفصيحة "قُلُوب") و"خِدَام" (hyām) (وفصيحة "خِيم") و"كَلَاب" (klāb) (وفصيحة "كَلَاب") ... الخ. ويظهر ان لهذه الامثلة المذكورة في اماكن مختلفة من كتاب "أشتمه" نحو العربية التونسية

ما يوافقها في جميع لهجات المغرب العربي. ومن العسير ان نربط هذه الظاهرة عندهم بسرعة نطقهم المفرطة في هذه اللهجات ونلمس هذه السرعة عند الحضريين منهم اكثر مما نلمسها عند البدو الرحل فهل وقع اسقاط الحركات القصيرة داخل الكلمة منذ عهد قديم بالمغرب العربي؟ ان كثيرا من المعطيات تخول لنا ان نشك في ذلك اولها ثبوت عدد كبير من الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع مفتوحة في لهجة غرناطة العربية التي وصفها "بيدرو دي الكالا" (Pedro de Alcala) في اوائل القرن الرابع عشر المسيحي وثانيتها ثبوت تلك الحركات في نصوص مستقاة من لهجة المغرب الاقصى وهي نصوص اقرب عهدا من لهجة غرناطة المذكورة (انظر ج. س. كولين) وثالثتها في النهاية ثبوت عدد كبير من الحركات القصيرة الى يومنا هذا في صورة حركات قصيرة للغاية وذلك في لهجات البدو الرحل بصحراء ولاية الجزائر وخاصة عند اولاد نايل والارباع والشعامة: فقد سمعت عندهم صيغا مثل "لسان" (l^esān) باختلاس كسرة اللام و"كتب" (k^eteb) (اي كتب) تنطق كسرة الكاف مختلسة سمعت ذلك عند أناس اميين تماما استعملتهم كمخبوين : قارن ذلك بما جاء عند أ. "دينا": "تعليقات في صوتيات لهجة الارباع وصرفها" ص 317-318، ولذلك فان سقوط الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع مفتوحة في اكثر لهجات المغرب العربي لا يرجع تاريخها في الأرجح الا الى قرنين او ثلاثة قرون.

3 - الأجراس

ان اجراس الحركات القصيرة التي لها علامات في الخط العربي هي الاجراس الاساسية الثلاثة فحسب كما هو الشأن بالنسبة الى الحركات الطويلة : وهذه الاجراس الاساسية الثلاثة هي الفتحة والكسرة والضممة وهي في الحقيقة اجراس وظائفية تستعمل للتمييز بين الصيغ النحوية او المعجمية الا ان النحاة العرب قد لاحظوا انه يدخل على هذه الاجراس الوظائفية الثلاثة فريقات مختلفة عند الانجاز الصوتي : وقد ذكروا من ذلك امالة الفتحة اي امالتهم الفتحة نحو الكسرة ونطقهم بها اذن ك (ö) والفتح الشديد اي الذي ينزع الى الضم اي نطقهم به ك (ö) وقد اعتبروه نطقا مستهجنا اعجميا انظر : برافمان "مواد..." ص 34 و 36.

واخيرا فان النحاة العرب قد ذكروا عدة حالات تقرب فيها الحركات بعضها من بعض واشهر حالات هذا النوع من التقريب هو ادغام ضمير الغائب المتصل : "هـ" وجمعه "هم" : فاذا وقع هذان الضميران بعد كلمة تنتهي بكسرة او بكسرة طويلة او بفتحة متبوعة بياء ساكنة اى بـ"ي" صارت ضمتهما كسرة نحو قولهم : في "رجله" و"قاضيهم" و"عليهم" ... الخ. وقد فسروا عادة صبغتي فعل المدح وفعل الذم الغريبتين وهما "نعم" ("نعم - نعيم") و"بيس" ("بيس - بيئس") بواسطة هذا النوع من التقريب وكذلك نفس اعراب كلمة "امرؤ" "امرئ" "امرأ" بتقريب الحركة الاصلية في الكلمة من حركة الاعراب. وكذلك نفس ايضا كلمة "ابنمن" "ابنمين" "ابنمنن" (انظر بروكلمان : المختصر : 1 ، ص 180-181 حيث نجد امثلة اخرى لتقريب الحركات وكثيرا ايضا ما تؤثر الحروف المجاورة على اجراس الحركات نذكر من ذلك مثالين فقط :

— اذا كانت عين الفعل او لامه حرفا من حروف وسط الحلق او اقصاه كانت عين المضارع مفتوحة وذلك بتاثير حروف الحلق المذكورة نحو قولهم "يفتح" و"يفعل" ... الخ.

— هناك بعض الكلمات في لغات سامية غير العربية حركتها الاصلية كسرة قديمة او فتحة قديمة ويوافقها في العربية كلمات حركتها الاصلية ضمة وذلك لتاثير حرف شفوي يقع بعد تلك الحركة من ذلك كلمة "ام" (اذ يوافقها في العبرانية "ام" (em) وفي الآرامية "امآ" (emmā) وكلمة "لب" (اذ يوافقها في العبرانية "لب" (leb) وفي السريانية "لبآ" (lebbā) وكلمة "ظفر" (اذ يوافقها في السريانية "ظفبرا" : (teprā) الخ... انظر فيما يتعلق بتاثير الحروف المجاورة (على الحركات) بروكلمان : "نفس المرجع" ص 194-203.

واما الالسن الدارجة العربية الحديثة فانه يبدو عند اول وهلة ان الاجراس الحركية فيها متعددة ومتنوعة وقد ميز علماء اللهجات الفرنسيون من بين تلك الاجراس عددا عديدا (ويرجع هذا في الراجع الى تاثير لغتنا الفرنسية وهي لغة زاخرة بالاجراس الحركية الى حد بعيد) انظر و. مارسي

في "نصوص طانجة العربية" تعليق عدد 17 وفي "نصوص تكرونة العربية" تعليق عدد 20 .

ولا شك في ان هذه التمييزات الدقيقة صحيحة من الناحية الصوتية الا ان الامر ليس كذلك البتة من الناحية الوظيفية فقد لاحظ و. مارسي: ("تكرونة ص XLXII") ان "التونسيين يقسمون حركاتهم تقسيما مختصرا وهو الفتحة والضمة والكسرة وهم متفقون عادة على هذا التقسيم" وفعلا فان الناطقين بالعربية في اكبر قسم من العالم العربي لا يميزون الآن كما لم يميزوا فيما مضى - الا بين ثلاثة اجراس وظيفية فيما يتعلق بالحركات القصيرة. ومن شان هذه الاجراس ان يختلف انجازها الصوتي باختلاف انواع الاصوات المجاورة. بل ويمكن للمرء ان يتساءل فيما يتعلق بالجزائر والمغرب الاقصى هل ان اهل هذين القطرين لم يقصروا الاجراس الوظيفية على جرسين فقط اذ ان الكسرة قد اضمحلت عندهم.

ويتعلق الانجاز الصوتي لهذه الاجراس الاساسية الثلاثة بنوع الحروف المجاورة وباجراس حركات المقاطع المجاورة ولن نفصل القول في جزئيات هذه الظواهر الصوتية من تقريب وتباين وهي جزئيات تختلف من لهجة الى اخرى ونكتفي بذكر الخطوط الاساسية في هذه المسألة.

أ) ان حرفي وسط الحلق وهما الحاء والعين - وكذلك احيانا حرفا اللهاة وهما الخاء والغين - ينحوان باجراس الحركات المجاورة نحو الفتحة .

ب) ان الحروف المفخمة وحيانا الحروف اللهوية وهي الخاء والغين والقاف تؤخر مخرج الحركات المجاورة فتصير هذه الحركات الى (d) و (o) و (u) اي فتحة خلفية وحركة خلفية نصف مغلقة وحركة خلفية مغلقة .

ج) ان الحروف الشفوية وخاصة الباء والميم تصير الحركات المجاورة مستديرة وتقربها من الضمة.

(د) ويكثر نوعا ما العشور على نوع من "انسجام الحركات" اي ان الحركات التابعة لكلمة واحدة تنزع نحو اجراس متقاربة .

ارجع فيما يتعلق بكل هذه المسائل الى بروكلمان "المختصر" ١ ، ص 145 و 181-183 و 194-203 ... الخ ويلخص بروكلمان تلخيصا لا باس به مجموع المسائل المعروفة بهذا الصدد .

(٧) الحركات القصيرة للغاية

والحركات المحدثه

لا يمكن الفصل بين دراسة "الحركات المحدثه" (اي الحركات التي لم توجد في السامية والتي ظهرت في العربية في بعض المواقع من الكلمات او ايضا الحركات التي لم توجد في العربية القديمة والتي ظهرت في اللهجات الحديثه) وبين دراسة الحركات القصيرة للغاية وذلك لان الحركات المحدثه كادت تكون دائما في اول الأمر حركات قصيرة للغاية .

وسندرس الحركات المحدثه والحركات القصيرة للغاية في المواقع الاربعة التالية : في اول الكلمة (اي عادة قبل مجموعة متركبة من حرفين) وفي وسط الكلمة (اي عادة بين عناصر مجموعة متركبة من ثلاثة حروف) وفي المقطع الآخر من الكلمة اي بين الحرفين الاخرين من الكلمة. وفي آخر الكلمة مطلقا اي بين كلمتين متتابعتين. ففي اول الكلمة مطلقا لا تقبل العربية القديمة وجود مجموعة متركبة من حرفين فاذا ابتدأت الكلمة بحرفين متاليين نشأت قبلهما حركة اعتماد وذلك ما يحدث في الفعل اي في صيغة المخاطب من الامر الفعل المجرد نحو "اَكْتَبْ" و"اَفْعَلْ" وفي ماضي "اَنْفَعَلْ" وامره ومصدره نحو "اَنْقَتَلْ" "اَنْقَتَلْ" و"اَنْقَتَالَ" وكذلك ايضا في صيغة "اَفْتَعَلْ" نحو "اَفْتَتَلْ" و"اَفْتَتَلْ" و"اَفْتَتَالَ" وصيغة "اَفْعَالَ" نحو "اَفْتَالَ" و"اَفْتَالَ" و"اَفْتَالَ" ... الخ.

وكذلك تنشأ حركة الاعتماد المذكورة في عدد ما من الاسماء التي سقطت حركتها الاصلية (انظر صفحة 177) فصار في اولها حرفان متتاليان نحو "ابن" و"ابنم" و"ابنة" و"اسم" و"است" و"امرؤ" و"امرأة".

وتنشأ كذلك في اسم العدد "اثنان" نحو "اثنان" و"اثنان" (1) ومما ينبغي ملاحظته ان جرس حركة الاعتماد يكاد يكون دائما كسرة ولا يكون ضمة الا في اول صيغ الامر من الفعل المجرد اذا كانت عينه مضمومة (وذلك راجع في الراجع الى "الانسجام بين الحركات").

وتسقط حركة الاعتماد طبعاً اذا لم تكن الكلمة في اول الكلام مطلقاً وسبقها كلمة اخرى وخاصة اذا انتهت الكلمة السابقة بحركة (وسنرى بعد هذا ما يحدث اذا انتهت هذه الكلمة بحرف).

واما من ناحية الرسم فانهم يكتبون حركة الاعتماد بواسطة علامة الالف وثبتت هذه الالف حتى داخل الجملة الا انه يرسم فوقها اذا كانت كذلك علامة خاصة تدعى "الوَصلَة" عوض علامة الحركة.

واما في الالسن الدارجة العربية الحديثة فان المجموعات ذات الحرفين قد تعددت في اول الكلمات وذلك من جراء سقوط كثير من الحركات القصيرة.

فاذا كان انغلاق حرفي^٥ تلك المجموعات متناقصاً (اي اذا كان الحرف الاول شديداً والثاني رخواً أو مائعاً مثلاً) ثبت الحرفان عادة لان الالسن الدارجة العربية خلافاً للعربية الفصحى تقبل وجود مجموعات ثنائية ذات حرفين بشرط ان يكون نطقها يسيراً. واما اذا كان نطقها عسيراً (اي اذا كان انغلاق الحرف الاول منها مساوياً لانغلاق الحرف الثاني او كان انغلاقهما متزايداً فان حركة الاعتماد تنزع اذ ذاك الى الظهور قبل تلك

(I) ان حركة « ال » التعريف ليست حركة اعتماد وذلك رغم انها تعالج في داخل الجملة علاج حركات الاعتماد ويبدو أن اداة التعريف كانت دائماً « هل » و « ال » ثم انها خففت فصارت « ال » .

المجموعات وذلك ان لم تدخل حركة فصل بين عنصريها) (اي بين الحرف الاول والحرف الثاني من تلك المجموعات) من ذلك اننا كثيرا ما نسمعهم يقولون "احمّار" (ḥmār) وكذلك "حمار" (ḥmār) و"كبار" (ökbār) (اي كسبار) وكذلك "كبار" (kubār) . وامثلة حركات الاعتماد كثيرة جدا في جميع اللهجات : واذا اردت دليلا على هذه الكثرة فيما يتعلق بلهجة الجزائر مثلا فارجع الى الامثلة التي التقطها و. مارسي في كتابه "لهجة اولاد ابراهيم" ص 64-65. ولا تظهر حركة الاعتماد طبعا اذا انتهت الكلمة السابقة بحركة من ذلك انهم يقولون "ارصاص" (örsās) اي رصاص ولكنهم يقولون "باع رصاص" (bāʿurṣās) اي باعوا رصاصا .

وقد تصير بعض الحركات التي كانت حركات اعتماد في الماضي قد تصير في احساسهم اللغوي حركات اصلية في الكلمة فني كثير من اللهجات الشرقية نرى كلمتي "ابن" و"اسم" القديمتين قد آلتا الى "ابن" (ʔebʔn) و"اسم" (ʔesʔm) اي انهما صارتا ثلاثيتين بان الحقت باولهما همزة وبان أصبحت حركة الاعتماد القديمة حركة اصلية .

واما في داخل الكلمة فان حركات الفصل تبرز خاضة بين العنصرين الاولين من مجموعة ذات ثلاثة احرف.

ويكاد ذلك لا يحدث الا في الالسن الدارجة الحديثة لا متناع وجود مثل تلك المجموعات في العربية القديمة ولانّها تولد عن سقوط الحركات القصيرة الواقعة في المقاطع المنفتحة (1) ومثال ذلك انه اذا كانت كلمة من الكلمات على الصيغة التالية :

(حرف + حركة + حرف + حرف + حركة + حرف + حركة طويلة)

(I) لقد عرف النحاة العرب وجود الحركات القصيرة للغاية في داخل الكلمات فهي عندهم حركات قصيرة في الاصل طرأ عليها « الاختلاس » ويذكر سيبويه (II ص 234 مثالين لذلك هما : « يضربها » (yadribuha) أي اختلاس ضمة الباء . و « من مأمك » (min maʔmanika) أي باختلاس كسرة النون .

صارت اولاً على الصيغة الآتية (حرف + حركة + حرف + حرف + حرف + حرف + حركة طويلة) وذلك من جراء سقوط الحركة التصيرة الواقعة في مقطع منفتح. ثم انه اذا كانت المجموعة الجديدة المترتبة من ثلاثة احرف عسيرة على النطق برزت حركة فصل قصيرة للغاية في اول الامر - ولكن باحتمال مألها الى حركة قصيرة عادية - ويكون مكان بروزها بين الحرفين الاولين من المجموعة ذات الثلاثة احرف المذكورة وينتهي بنا المطاف الى الصيغة التالية : (حرف + حركة + حرف + حركة + حرف + حرف + حركة + حرف + حركة طويلة) (1) مثال ذلك ان صيغة "ندرسو" (اي ندرس الحنطة) تصير اولاً "ندرسو" (nedrsu) ثم "ندرس" (ned^ersu) وكذلك صيغة "مسلمين" تصير "مسلمين" (moslmin) ثم "مسلمين" (mos^olmin)

وقد تحدث هذه الظاهرة في جميع اللهجات العربية الغربية منها او الشرقية وقد سماها اول من لاحظها من الاختصاصيين في لهجات المغرب "Aufsprengen" (اوقشبرانتقن) بالالمانية (اي تقفيز) و "ressaut" (رسو) بالفرنسية (اي قفز) انظر اشمه "نحو العربية التونسية" ص 5 وو. مارسي "اللسان الدارج العربي بتلمسان" ص 51 و 52 .

وقد لا تحدث هذه الظاهرة اذا كانت المجموعة المترتبة من ثلاثة احرف يسيرة على النطق وخاصة اذا كان العنصر الاول منها حرفاً مائعاً نحو قولهم "نلبس" (nelbsu) اي نلبس وقولهم "منجلي" (mengli) اي منجلي. الا ان ثمة بعض اللهجات يكون فيها هذا "القمز" مطرداً في جميع المواقع فنجد فيها صيغاً مثل "نلبس" (nel^ebsu) و "نلبس" (nlebsu) و "لبس" (llebsu) .

(I) وهذه الصيغة هي بنفسها ليست قارة فاذا كانت حركة الفصل حركة قصيرة عادية صارت الحركة الاولى موجودة في مقطع منفتح فلا يخلو أمرها من اثنتين اما أن تسقط نحو قولهم « مسلمين » (msölmīn) و « ندرس » (ndersu) واما ان يبرز تشديد ثانوي فينغلق به المقطع وتثبت الحركة وذلك نحو قولهم : « مسلمين » (mössölmīn) و « ندرس » (neddersu) .

واما اقتحام حركة فصل بين الحرفين الآخرين من الكلمة في المقطع الآخر منها فظاهرة قديمة في اللغة وفعلا فان حركات الاعراب في العربية الفصحى تسقط عند الوقف حتى اذا كانت متبوعة بالتونين (ما عدا في حالة النصب حيث نصير $\bar{ا}$ الى $\bar{آ}$: انظر ما بعد هذا) .

واذا انتهت الكلمة عندئذ بحرفين حصل تناقض بينها وبين مبدا من مبادي علم الاصوات في العربية وهو عدم قبول هذه اللغة وجود حرفين غير متبوعين بحركة : ولذا تبرز حركة فصل بين ذينك الحرفين وتكون اما من جنس جرس حركة الاعراب التي سقطت او من جنس الحركة الاصلية في الكلمة فكلمة "بَكْرٌ" (اي الفتي من الابل) تصير "بَكْرٌ" عند الوقف واذا كانت مكسورة اي "بَكِرٌ" آلت الى "بَكِرٌ" وكذلك "ضَرَبَتْهُ" و"مِنَهُ"... الخ تصيران الى "ضَرَبَتْهُ" و"مِنَهُ" عند الوقف. وخلافا لذلك فان كلمة مثل "عَدْلٌ" (اي مُسَاوٍ وَشِيءٌ) تصير الى "عَدْلٌ" عند الوقف اي ان جرس حركة الفصل فيها من جنس جرس الحركة الاصلية في الكلمة

ويسمى النوع الاول من حركات الفصل هذه "نقلا" اي اذا كان جرس الحركة الجديدة متعلقا بجرس حركة الاعراب التي سقطت ويسمى النوع الثاني منها "اتباعا" اي اذا كان جرس حركة الفصل متعلقا بجرس الحركة الاصلية في الكلمة ارجع فيما يخص ذينك النوعين الى سيوبه ص 309 و313 والى ابن يعيش : IX ، ص 70-73 وقد آل بهم الامر طبعاً الى استعمال صيغ الوقف داخل الجملة فتنافست هذه الصيغ والصيغ العادية فتولد عن ذلك عدد كبير من الصيغ المزدوجة مثل "مَهَلٌ" و"مَهَلٌ" (اي هدوء وبطء) و"شَعَرٌ" و"شَعْرٌ" (اي ما ينسبت على الراس) و"هَدَمٌ" و"هَدَمٌ" (وهو الدم الذي لم يُثَاثِرْ له) وكذلك "غَلَبٌ" (مصدر غلب) و"هَرَبٌ" (مصدر هرب) و"طَلَبٌ" (مصدر طَلَب) الى جانب "غَلَبٌ" و"هَرَبٌ" و"طَلَبٌ" وكذلك "أذُنٌ" و"أذُنٌ" و"عُصْنٌ" و"عُصْنٌ" وقد يجوز تفسير عدد لا باس به من المزدوجات التي من نوع "قَتَلٌ" و"قَتَلٌ" او "قُتِلُ" و"قُتِلُ" بنفس تلك الكيفية انظر بوركلمان : "المختصر" : 1 ، ص 209-210 .

واما في اللهجات الحديثة فان اقحام حركة فصل بين العنصرين الموجودين في مجموعة آخرة ذات حرفين كثير جدا لا سيما وان مثل هذه المجموعات قد تعددت في اللغة من جراء سقوط الحركات الآخرة ولا تثبت هذه المجموعات الا متى كان النطق بها يسيرا اي اذا كان انفتاح عناصرها انفتاحا متناقصا كما هي الحال في المجموعات التي تبتدىء بحرف مائع او خيشومي او احيانا بحرف النون وهكذا فان "كَنْب" و "سَرْج" و "نَمَس" و "بِنْت" و "كَبَش" تثبت فيها عادة المجموعة الآخرة ذات الحرفين وتسلم. ولكن اذا لم يكن الامر كذلك (اي اذا كانت المجموعة المذكورة عسيرة على النطق) فانهم يقحمون عادة حركة فصل مثال ذلك قولهم في اللهجات الشرقية "جسر" (geser) وفصيحة "جسر" و "بَطْن" (batʔn) وفصيحة "بَطْن" و "أذن" (ʔöðn) وفصيحة "أذن" الخ.

وتكون حركة الفصل في لهجات المغرب العربي في العادة حركة قصيرة عادية فتصير الحركة الأصلية واقعة في مقطع منفتح وتصبح عرضة للسقوط مثال ذلك :

"قَبْرُ" ← "قَبَرُ" ← "قَبِرُ"
"رَجُلُ" ← "رَجِلُ" ← "رَجِلُ"
"كَحْلُ" ← "كَحْلُ" ← "كَحْلُ"

وقد سموا هذه الظاهرة " Umspringen " (او مشيرتَقَن) بالالمانية اي طفرة و sursaut (سُرْسُو) بالفرنسية اي رجفة واهتزازة : انظر اشمه : "نحو العربية التونسية" ص 5 وو. مارسى "اللسان العربي الدارج بتلمسان" ص 47، وتمثل هذه الظاهرة في اساسها في كون كلمة صيغتها (حرف + حركة + حرف + حرف) تؤول اولا الى : (حرف + حركة + حرف + حركة + حرف) ثم في النهاية الى (حرف + حرف + حركة + حرف) فينبغي اذن عدم الخلط بين ظاهرة "الاهتزاز" هذه وبين ظواهر اخرى مثل انتقال كلمة "فَرَس" الى "فَيْرَس" اذ ان المرحلة الاولى من ظاهرة "الاهتزاز" معدومة من المثال الاخير.

واما الحركات الآخرة في الكلمة فان سقوطها سقوفا تاما لم يكن دائما مطردا في اللغة القديمة فقد تفتن النحاة العرب الى جانب السقوط

التام - ويسمى تسكيننا - الى وجود كينيات مختلفة في تقليل النطق بهذه الحركات وردها الى حركات قصيرة للغاية. من ذلك ما سموه "رَوْمًا" و"إشْمَامًا" وهو قصر النطق بالحركة الى مجرد "نية" وأشمامها "رائحة" عابرة : انظر فيما يتعلق بهذا سيوييه : II ، ص 308-309 والزَمْخَشْرِي ابن يعيش : IX ، ص 66-70 وشاده : "علم الاصوات عند سيوييه" ص 58-60 والى برافمان : "مواد" ... ص 82-90 .

وإذا تابع لفظان ينتهي اولهما بحرف وابتديء ثانيهما بحرفين (مسبوقين في الرسم بوصلة) تحتم ظهور حركة فاصلة طبعاً فاذا كان اللفظ الاول ينتهي في الاصل بحركة قد سقطت فانها تظهر من جديد وذلك ما يحدث في ضمائر المخاطبين والغائبين اي : "انتم" و"كم" و"هم" و"هم" وقد كانت في الاصل : "انتم" و"كم" و"هم" و"هم" و"هم" : قارن بضمائر اللغة الحبشية الموافقة لها وهي "انتمو" (antamū) و" - كمو" (kamū) و" - همو" (hōmū) ومثال ذلك قولهم : "انتم الكاذبون" و"لعنهم الله" الخ. وكذلك ترجع الضمة في آخر الكلمة "مذ" وهي صيغة مقتضة "لمنذ" وذلك اذا وقعت قبل كلمة تبتديء بحرفين. واذا لم يكن في آخر اللفظ الاول حركة قط تحتم ظهور حركة فصل بينه وبين اللفظ الثاني المبتديء بحرفين ويكون جرس هذه الحركة عادة من جنس الكسرة وتكتسب في الرسم في آخر الكلمة الاولى نحو قولهم "قامت الجارية" الا ان هذه الحركة قد تكون ضمة اذا كان في اللفظ الثاني ضمة اصلية نحو قولهم و"قالت اخرج" (قرآن : XII ، 31) غير ان قراءة "قالت اخرج" جائزة ايضاً وهي الموجودة في اكثر طبقات القرآن. وقد تكون حركة الفصل هذه فتحة اذا كان الحرف الاول "مين" وكان الثاني معرفاً نحو قولهم "من الجنة" (قرآن XIV ، C ، 6) بل وقد تكون فتحة كذلك في بعض الأحيان حتى اذا كان اللفظ الاول حرفاً آخر غير "مين" نحو قوله "الف - لام ميم الله لا الاله الا هو" (قرآن : III ، 1) انظر هول : "نحو اللغة العربية الفصحى" : IV ص 1024-1039 .

Howel: A Grammar of the classical Arabic Language.

(VI) المقطع والنبرة والايقاع

(I) المقطع

1 - عموميات صوتية

ان اصدار جملة من الجمل او لفظا من الالفاظ هو عبارة عن اصدار سلسلة متتابعة من الاصوات يتطلب النطق بها القيام بطائفة من عمليات الانفتاح والانغلاق في جهاز التصويت وان الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت (سواء اكان الغلق كاملا او جزئيا) هي التي تمثل المقطع. ويتبدى المقطع بصوت واحد او عدة اصوات فاتحة او متفجرة "explosifs" ذات انفتاح متزايد ويمر بمقدار اعلا من الانفتاح تمثله عادة حركة من الحركات وينتهي بصوت او عدة اصوات غالقة او حاجزة للهواء (implosifs) ذات انفتاح متناقص مثال ذلك "تُرْك" (trac) او "پِرْت" (pert) وهما مقطعان تمثل فيهما حرفا "تُر" (tr) او حرف "پ" (p) العنصر الفاتح البادى لهما وتمثل فيهما حرف "ك" (c) او حرفا "رْت" (rt) العنصر الغالق المنهي لهما .

ويمكن التمييز بين عدة انواع من المقاطع واول ما يجب تاكيد القول فيه هي المقابلة بين المقاطع المنفتحة والمقاطع المنغلقة وهي مقابلة لها اهمية خاصة فالمقطع المنفتح هو الذي ينتهي بحركة (طويلة او قصيرة) مثال ذلك في الفرنسية كلمة "روپيو" (repu) (ومعناها شعبان) فمقطعاها مقطعان منفتحان .

والمقطع المنغلق هو الذي ينتهي بحرف او حرفين (واذا انتهى بحرفين سمي احيانا مقطعا مزدوج الانغلاق) مثال ذلك اسم العلم "فكتور" (victor) في الفرنسية فمقطعاها مقطعان منغلقتان .

وتنقسم المقاطع من حيث المدى الى مقاطع قصيرة ومقاطع طويلة:

فالمقطع القصير هو الذي ينتهي بحركة قصيرة (واذن فكل مقطع قصير يكون مفتوحا وجوبا) مثال ذلك "قَتَلَ" في العربية متركبة من ثلاثة مقاطع قصيرة .

والمقطع الطويل هو الذي ينتهي بحركة طويلة او بحرف (واذن فكل مقطع منغلق يكون طويلا وُجُوبًا) مثال ذلك ان المقطع الثاني وهو "تَلْ" والمقطع الثالث وهو "تَا" في قولهم في العربية "قَتَلْنَا" مقطعان طويلان .

(2) المقطع في العربية القديمة

لن نخوض في مسألة المقطع في اللغة السامية وذلك لانه يبدو ان الحالة التي كانت عليها المقاطع في السامية قد بقيت هي هي في العربية القديمة : فسنتكفي اذن بوصف حالة المقاطع في العربية القديمة وصفا وجيزا .

(أ) - يتبدى المقطع في العربية القديمة بحرف واحد مطلقا واذن فان المجموعة ذات الحرفين اذا كانت في داخل الكلمة تقاسم حرفيها مقطعان متتاليان فينبغي تقطيع كلمة "قَطْرَةٌ" مثلا على النحو التالي : "قَطْ - رَ - تَنْ" ولذلك ايضا امتنع وجود مجموعات ذات حرفين في اول الكلمة : ووجب ان تسبقها حركة اعتماد في وسط الجملة وتربط هذه الحركة وكذلك الحرف الاول من المجموعة ذات الحرفين بالحرف الآخر من الكلمة السابقة فقولهم : "قَامَتِ الْجَارِيَةُ" يقطع هكذا "قا - مة - تِل - جا - ر - ية - تة" . واذا كانت حركة الاعتماد هذه في اول الكلام سبقتها همزة قطع فيقال "الْجَارِيَةُ" لا "الجارية" .

(ب) ينتهي المقطع في العربية القديمة اما بحركة (في حالة المقطع المنفتح) او بحرف واحد (في حالة المقطع المنغلق) ولذلك انعدمت من العربية المقاطع ذات الانغلاق المزدوج وكذلك المجموعات المترتبة من اكثر من حرفين في داخل الكلمة وكذلك ايضا المجموعات ذات الحرفين في آخر الكلمة : واذا ظهرت مجموعات من هذا الصنف الاخير من جراء الوقف وجب اتمام حركة فصل بين الحرفين .

(ج) نجد في العربية القديمة مقاطع قصيرة ومقاطع طويلة. ويجتنب في الغالب وجود حركة طويلة في مقطع منغلق .

(3) المقطع في الالسن الدارجة الحديثة :

لقد حوِّروا في الالسن الدارجة الحديثة هذا التركيب المقطعي تحويرا كبيرا .

ففي اول الكلمة بالخصوص يجوز بدء المقطع بمجموعة من الحروف نحو "كَتَبَ" (ktāb) اي كَتَبَ و"قَصَرَ" (qṣar) اي قَصَرَ. ولا يضطرون الى حركة الاعتماد الا عند التلفظ بالمجموعات الحرفية الاشق على النطق.

ومن ناحية اخرى يجوز في المقطع اذا وقع اولا ان يتبدى بحركة نحو قولهم "أخَتْ" (uht) وقولهم "أخرى" (oħra) اي "أخرى" و"أرض" (arḍ) اي "أرض" ... الخ. الا انه من المحتمل أن الناطقين بالعربية ما زالوا يشعرون في هذه الحال بوجود همزة اولى وان اصبحت لا تسمع لانهم يعتبرون هذه الكلمات ثلاثية واذا وقع المقطع داخل الكلمة امتنع بدؤه بمجموعة ذات حرفين فيما يبدو والراجع في كلمة مثل "منجلي" (menġli) اي منجلي ان يكون تقطيعها هكذا : منجل - لي (menġ-li)

- وفعلا فانه يجوز في المقطع حتى اذا وقع آخر ان ينتهي بمجموعة ذات حرفين نحو قولهم : "كَبَش" (kābš) اي "كَبَش" و"قَلْب" (ġālb) اي "قَلْب" ولا يضطرون الى اقحام حركة فصل بين الحرفين الا في المجموعات الاشق على النطق وكذلك كثرت عندهم المجموعات ذات الحرفين في آخر المقاطع الواقعة داخل الكلمة وفي هذه الحال تثبت هذه المجموعات وتسلم كما في "منجل - لي" (menġ-li) او تقحم حركة فصل قصيرة للغاية بين العنصرين الحرفيين من المجموعة نحو قولهم "ندر - س" (ned^{er}-su) اي "ندرُسُ الحِنطَة" وما دامت هذه الحركة قصيرة للغاية لم تكون مقطعا زائدا ولكنها متى اصبحت حركة قصيرة عادية غيرت تركيب الكلمة المقطعي راسا على عقب

وتولدت من ذلك صيغ مثل " نُدْ - دِرْ - سٌ " (ned-der-su)
او " نُدْرُسٌ " (nder-su) (أنظر أعلاه) ومهما يكن من امر فان
المقاطع ذات الانغلاق المزدوج والمجموعات ذات الثلاثة احرف قد
اصبحت امرا جاريا في الالسن الدارجة .

- لقد اصبحت نسبة المقاطع الطويلة اكثر بكثير في الالسن الدارجة
الحديثة منها في اللغة القديمة وذلك من جراء سقوط عدد كثير او قليل
من الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة وذهاب عدد كبير من
المقاطع القصيرة . بل وقد اضمحلت المقاطع القصيرة من لهجات المغرب
العربي اضمحلالا تاما فلم يبق الا المقاطع الطويلة وحدها او بالاحرى
مقاطع لها نفس المدى على ان المقاطع ذات الانغلاق المزدوج والمقاطع المنغلقة
ذات الحركة الطويلة تدخل شيئا من التنوع على المدى المقطعي الذي
صار على وتيرة واحدة وذلك لانها اطول بقليل من سائر المقاطع الطويلة .

(II) النبرة

1 - عموميات صوتية

ينبغي تحديد النبرة على النحو التالي : النبرة هي اشباع مقطع من
المقاطع بان تقوي اما ارتفاعه الموسيقي او شدته او مداه او عدة عناصر
من هذه العناصر في نفس الوقت وذلك بالنسبة الى نفس العناصر في المقاطع
المجاورة .

ويجدر العناية بالتمييز بين نبرة الكلمة ونبرة الجملة

2 - النبرة في العربية القديمة

اذا صدقنا ما جاء في اكثر الكتب التي صنفها الاوروييون في النحو
العربي امكننا القول بان مكان نبرة الكلمة في العربية الفصحى معروف
وان كانت حقيقة هذه النبرة مجهولة ونجدهم عادة قد وضعوا القاعدة
التالية في هذا السياق : تقع النبرة على اول مقطع طويل من الكلمة ابتداء

من آخرها واذا خلت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الاول منها ثم ان النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الآخرة وذلك نحو "يقاتلوا" و"قاتل" "ولم يقاتلوا" (النبرة على "قا")

الا ان هذه القاعدة لا تعتمد في الحقيقة على اية رواية قديمة فلم يذكرها النحاة العرب الذين وصفوا لغتهم بدقة بلغت ما بلغت ولا مصنفو كتب التجويد الذين خاضوا في ادق دقائق القراءة القرآنية.

ويبدو حسب ما بينه مآياراً لأمبار (Mayer-Lambert) في "المجلة الاسيوية" 1897 ص: 413-402 : Journal Asiatique ان المستشرقين "ركرشتين" (Kirsten) و"اربانويوس" (Erpenius) قد استلهما تلك القاعدة من سماعهما للمثقفين المصريين في اوائل القرن السابع عشر .

وتلعب نبرة الكلمة في اللغات الهندو - اوربية القديمة دورا تميزيا: فقد تميز هذه النبرة بين الصيغ النحوية او بين الكلمات وذلك بحسب مكان وقوعها منها او بحسب جنسها ولذلك عالج النحاة الهنود واليونانيون واللاتينيون مسألة نبرة الكلمة الموسيقية ومكانها وخلافاً لذلك لم نر في العربية ان نبرة الكلمة قد لعبت البتة دورا تميزيا يذكر ولذلك سكت النحاة العرب عنها .

3 - النبرة في الالسن الدارجة الحديثة

لقد بالغوا في القول باهمية دور نبرة الكلمة في الالسن الدارجة الحديثة مبالغة مفرطة فاعتبروا نبرة الكلمة "المحرك الاول" (deus ex machina) في جميع التحويرات التي طرات على التركيب المقطعي وفي الواقع فان نبرة الكلمة ضعيفة في اكثر الالسن الدارجة العربية وليس لدينا برهان قاطع البتة على ان موقعها من الكلمة موقع قار فالانسان يشعر بوجود نبرة جملة اكثر مما يشعر بوجود نبرة كلمة واللهاجات الوحيدة التي نبرة الكلمة فيها نبرة قوية مكونة من خليط من الارتفاع الموسيقي ومن الشدة - اي شبيهة في نهاية الامر بالنبرة الايطالية - هي فيما اعرف لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية.

ويبدو ان التركيب المقطعي يتطور في هذه الالسن لمؤثرات لا تمت الى نبرة الكلمة بصلة : فحذف جميع الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع منفتحة من لهجات المغرب العربي مثلا راجع فيما يظهر الى سرعة نطقهم في هذه اللهجات.

وكذلك يبدو ان اهل اللهجات الشرقية يجتنبون انواعا معينة من تتابع المقاطع القصيرة وكذلك يمكن اعزاء عدد كبير من تضعيف الحروف وتطويل الحركات لا الى النبرة بل الى اسباب صرفية : كحاجتهم الى المحافظة قدر المستطاع على سلامة صيغة نموذجية او رغبتهم في اجتناب تحوير كلمة اخذوها عن اللغة الفصحى القديمة تحويرا مفرطا.

على انه ينبغي الاشارة الى انه قد يكون لنبرة الكلمة تاثير في اجراس الحركات الطويلة : مثال ذلك ان الفتحات الطويلة القديمة (ā) تمال امالة شديدة في لهجات البدو الرحل بالبلاد التونسية وتنفلق فتصير (i ā) وذلك اذا وقعت عليها النبرة واذا كانت غير منبرة فان الامالة تكون بخلاف ذلك إمالة ضعيفة نحو قولهم "نسي" (nsi) اي "نسي" بامالة الفتحة الطويلة بعد السين امالة شديدة وظهور فتحة مختلصة بعد الياء) و"ينس" (yénsā) بامالة الفتحة الطويلة القديمة بعد السين امالة خفيفة .

وتنفلق الحركات المزدوجة القديمة في نفس هذه اللهجات فتصير "سي" الى "سي" (i ā) (اي بفتحة مختلصة بعد الكسرة) وتصير "سو" الى "سو" (u ā) (اي بفتحة مختلصة بعد الضمة) وذلك بشرط ان تكون منبرة وان تقع في المقطع الاخر من الكلمة واما اذا وقعت في المقاطع التي من وسط الكلمة وكانت هذه المقاطع منبرة فانها تخفف فتصير "سي" الى "سا" (ē) (اي فتحة طويلة مماله امالة شديدة) وتصير "سو" الى "سو" (o) (اي ضمة طويلة نصف منغلقة).

واما اذا وقعت في مقاطع غير منبرة فان تخفيفها يكون على النحو التالي : فاما "سي" فتصير الى مجرد كسرة طويلة "سي" (ā) واما "سو" فالى مجرد ضمة طويلة (ā)

ولا تطراً الامالة الشديدة والانفلاق في المالطية الا على الفتحات الطويلة القديمة المنبرة واما غير المنبرة منها فلا يطراً عليها الانفلاق نحو قولهم : "هلّيل" (halliel) اي سَارِقٌ وجمعه "هلّلين" (hallelin) وقولهم : "قَتِيلِنَا" (qtilna) اي قتلنا و"قتلنيهم" (qtilniehom) اي قتلناهم وقولهم : "بِدْ" (béda) اي بدأ و"قِي" (gie) اي جاء .

(III) الايقاع

1 - تعريفه

يمكن تعريف الايقاع هكذا : الايقاع هو تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه فيمكن اذن التحصيل على الايقاع بواسطة وسائل جد مختلفة ففي البيت الشعري الكلاسيكي الاسكندري في اللغة الفرنسية (Alexandrin) يتكون الايقاع فقط من "القطع" (césure) وهو ارتفاع الصوت عند المقطع السادس من البيت ومن القافية وهي تكرير نفس المقطع الثاني عشر في عدد من الايات وتنزل الصوت عند ذلك المقطع انظر ج. لوت (G. Lote) "اصول البيت الشعري في الفرنسية" ص 195 : (Les origines du vers français) ونجد في بعض اللغات الاخرى نوعا آخر من الايقاع في المنظوم يعتمد على مقابلات بين مقاطع منبرة ومقاطع غير منبرة في لغات اخرى ايضا بالخصوص في اللغات الهندو - اوربية القديمة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية يكون ايقاع الكلام المنظوم عندهم معتمدا على مقابلات بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة ويسى "ايقاع كمية".

وليس هذا الايقاع في الحقيقة مقصورا على المنظوم فحسب بل وقد يدخل المشور ايضا وذلك متى حاول صاحبه فيه الوصول الى نوع من انسجام الكلام (مثل الفقرات المسجعة عند سيسيرون) .

2 - الايقاع في العربية القديمة

كان الايقاع فيها "ايقاع كمية" شبيهاً بالايقاع في اللغة السنسكريتية الفيدية (اي لغة الفداس وهي الكتب المقدسة الهندية) بالايقاع في الشعر الغنائي عند اليونان. ويعتمد الايقاع في العربية القديمة على مقابلات بين مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة تحتوي ايضاً على قافية في اواخر الابيات (انظر ر. برانشفيق : R. Brunschwig : "النظم العربي الكلاسيكي" في "المجلة الافريقية" : 1937 ص 325-344) La versification arabe classique in Revue Africaine 1937 p. 325 - 344

3 - الايقاع في الالسن الدارجة العربية الحديثة

لقد اعتل ايقاع الكمية فيها اعتلالاً شديداً وذلك لذهاب عدد كبير من المقاطع القصيرة (الناتج عن سقوط كثير من الحركات القصيرة الواقعة في مقاطع مفتوحة) بل وقد اضمحل ايقاع الكمية من لهجات المغرب العربي وذلك لاضمحلال المقاطع القصيرة اضمحلالاً صار مدى جميع المقاطع معه مدى متماثلاً. ويبحث الآن اصحاب هذه اللهجات على نوع آخر من الايقاع كما وقع ذلك في اللغات الرومانية اثر اضمحلال الايقاع الكمي اللاتيني منها.

4 - الوقف في العربية القديمة وفي الالسن الدارجة

يقع المقطع الاخير من المصراع او من البيت في الشعر ومن الجملة او من جزء منها في النثر في موقع خاص يدعى "الوقف" ولا ينتهي المقطع عند الوقف الا بحرف او بحركة طويلة ولذلك فان الحركات القصيرة الآخرة تسقط (او تطول في الاندر) وكذلك تسقط نون التثنية (وهي نون كانت ضعيفة نوعاً ما فيما نعتقد) وتسقط الحركة السابقة لها ان كانت ضمة او كسرة وتطول ان كانت فتحة وكذلك تسقط من الفعل نون التوكيد الخفيفة وتطول الفتحة التي قبلها وكذلك تبدل تاء التانيث هاء (ة - هـ) وتسقط علامة الاعراب منها وامثلة ذلك كله قولهم عند الوقف "الدار" في "الدار" و"من الدار" في "من الدار" و"دار" في "دار" و"من دار" في "من دار" و"رايت داراً" في "رايت داراً" و"تكتباً" في "تكتبن" و"الناقة" في "الناقة". واذا اضطرهم تطبيق

قواعد الوقف الى انهاء الكلمة بمجموعة من الحروف جاز اتمام حركة فصل بين هذه الحروف (انظر اعلاه ص 188). ويجوز كذلك تخفيف الحركات القصيرة الآخرة تخفيفاً فقط عوض اسقاطها اسقاطاً تاماً ويسمى النحاة العرب ذلك التخفيف "رَوِّمًا" او "أَشْمَامًا" (انظر اعلاه ص 190).

ويجوز في النهاية تضييف الحرف الآخر من الكلمة عند الوقف نحو قولهم "خالد" في "خالد" و"سَبَسَبًا" في "سَبَسَبًا": (ارجع فيما يتعلق بالوقف وأثره في الكلام الى سيويه: II، ص 306-316 والى الزمخشري - ابن يعيش: IX، ص 66-90 والى "شاده": ص 55-63 والى "برافمان" "مواد" ... ص 82-90).

ويلحقون هاء يسمونها "هَاءَ السَّكْتِ" ببعض الحركات الطويلة الآخرة وبالحرركات القصيرة غير حرركات الاعراب والتي لو سقطت لادى ذلك الى طمس معالم الكلمة وانكار الناس لها. وذلك نحو قولهم "وَأَعَجَبَاهُ" و"لَمْ يَغْزُهُ" (اي لم يغز) و"رَهْ" (الامر من راي) و"تَهْ" (الامر من أتى) انظر سيويه II، ص 302-304 والزمخشري - ابن يعيش: IX، ص 45-48 واخيراً ينبغي الإشارة الى ان ضمير المخاطبة "ك" يصير "كش" عند بني تميم و"كس" عند بني بكر. ويطلقون على هذه الظاهرة اسم الكشكشة والكسكسة وهو الاسم الذي اطلقوه كذلك على ابدال نفس ذلك الضمير "ش" و"س" انظر الزمخشري - ابن يعيش IX، ص 48-49.

قائمة المصادر والمراجع

1 - المؤلفون العرب

ان اكثر الكتب التي خلفها لنا النحاة العرب تحتوي على فقرات خاصة بعلم الاصوات الا ان عدد الذين درسوا هذا القسم من النحو دراسة مفصلة ومنظمة اربعة فيما اعلم وهم :

أ) سيويوه (نهاية القرن الثاني للهجرة) "الكتاب" II ، ص 279-481 طبعه ديرنبورغ (Dérenbourg)

ب) شرح ابن يعيش (553-643 هجرى) لمفصل الزمخشري (467-538 هجرى) وخاصة IX ، ص 53-158 و X ، ص 2-155 من طبعة القاهرة .

ج) شرح الراضي (المتوفى في 684 او 686 هجرى) لشافية ابن الحاجب (570-646 هـ.) وخاصة ص 114-265 من طبعة القاهرة .

د) شرح الجسّر ردي (المتوفى في 746 هجرى) لشافية ابن الحاجب ايضا. ولما يطبع هذا الكتاب فيما اعلم ولكنك تجد فقرات هامة منه في كتاب هول "نحو اللغة العربية الفصحى" : المطبوع في الله اباد (1883-1911) وخاصة في : IV ، ص 736-1850 .

وكتاب هُوْل هذا هو مجموعة ضخمة من نصوص انتخابها المؤلف من اكثر من مائة نحوي عربي ويحتوي في الصفحات المذكورة اعلاه على تلخيص نظرية النحاة العرب في علم الاصوات وهو تلخيص جيد جدا.

والى جانب النحاة يجب ذكر مؤلفي كتب التجويد التي حفظت لنا الى يومنا هذا اهم ما في نظرية النحاة القدامى الصوتية التقليدية. ومن احسن هذه الكتب كتاب التيسير للداني (371-444 هـ.) وقد طبعه ونشره أ. برينزل سنة 1930 الا ان اصغر الكتيبات في هذا الموضوع واقربها عهدا تحتوي على عدة تحديدات صحيحة وتلخيصات مناسبة في هذا الميدان.

2 - المؤلفون الاوروبيون الذين درسوا اصوات العربية القديمة

تحتوي الكتب المفصلة في نحو العربية الفصحى مثل كتاب سيلفَا سترُدي سَاسِي (Silvestre de Sacy) وكتاب كسباري (Caspari) وكتاب "رايْت" (Wright) وكتاب سوسين (Socin) ... الخ تحتوي قلنا على بعض الافكار الاولية في علم الاصوات العربي الا ان علم الاصوات العربي هذا لم يصر الى موضوع بحوث مفردة خاصة به، الا ابتداء من منتصف القرن الاخير، ونذكر من هذه البحوث بالخصوص :

— غ. أ. فالين : "في اصوات العربية ووصفها" مجلة جمعية الاستشراق الالمانية : 1855 ص 1-69 و 1858 ص 599-665
"G.A. Wallin" uber die Laute des Arabischen und ihre Bezeichnung", in Z.D.M.G., 1355, 1167, 1853, p 599 — 665.

— أ. بروكه "مساهمة في علم اصوات اللغة العربية" : تقريرات جلسات اكااديمية العلوم بِفِينَة. قسم اللغة والتاريخ : XXXIV ، (1860)
E. Brucke, "Beitrag zur Lautlehre der arabischen Sprache", S. ber. d. k. Akad. d. Wiss. z. Wien, Phil. hist. kl. XXXIV. (1860)

— ر. لبيوس : "في اصوات اللغة العربية وكتابتها بالاحرف اللاتينية" مقالات اكااديمية برلين. قسم فقه اللغة والتاريخ (1861).
R. Lepsius: "Uber die Arabischen Sprachlaute und deren Umschrift", Abhand. d. Berlin. Akad. Phil-Hist. Kl. 1861.

— ج. ب. فينيغ : "قواعد النبرة في الالفاظ العربية". اونيونتي : 1870.
J.B. Wenig: "Regulae de tono vocum arabicarum, oeniponte 1870.

— م. غرونيرت : "الامالة" او "الاولموط" في العربية" : تقريرات جلسات اكااديمية العلوم بمدينة فينه، قسم اللغة والتاريخ : L XXXI (1876) ص 447-491

M. Grunert: "Die Imâla, der Umlaut im Arabischen", S. ber. d. K. Akad d. Wiss. Z. Wien, Phil. Hist. Kl. LXXXI. (1876), p. 447/491.

- ك. فولارس : "نظام الاصوات العربية" في "تقارير مؤتمر المستشرقين التاسع" : الجزء الثاني، ص. 130—154، لندن 1893.
- K. Vollers: "The system of arabic sounds", in Actes du IX^e Congrès des Orientalistes, II. p. 130/154, Londres 1893.
- ميار لمبار : "النبرة في العربية" : في : "المجلة الاسيوية"، 1897، ص. 402—413.
- Mayer Lambert: "De l'accent en arabe" in "Journal Asiatique", 1897, p. 402/413.
- غ. كمبفماير : "بحوث في النبرة في اللغة العربية" : اعلانات ندوة البحوث الخاصة باللغات الشرقية : (برلين 1908) ص. 1—59.
- G. Kampffmeyer : "Untersuchung über den Ton im Arabischen" Mitt. d. Seminars f. Orient, Sprachen, XI. (Berlin 1908) p. 1/59.
- أ. شاده : "علم الاصوات عند سيويه"، ليدن — 1911.
- A. Schaade : "Sibawaihi's Lautlehre", Leiden, 1911.
- م. برفمان : "مواد وبحوث في النظريات الصوتية عند العرب"، غوتنغن، 1934.
- M. Bravmann: Materialien und Untersuchungen Zu den Phonetischen Lehren der Araber, Gottingen 1934.
- أ. بريتل : "علم التجويد" مجلة "اسلاميكنا" VI. (1933—1934) ص. 1—47، و 230—246، و 290—331.
- O. Pretzl : "Die Wissenschaft der Koranlesung" in Islamica, VI. (1933—1934) p. 1/47, 230/246, 290/331.
- و.ه.ت. غارديير : "نظرية علماء الاصوات العرب في الحروف والحركات" في مجلة "العالم الاسلامي" XXV (1935) ص. 242—257.
- W.H.T. Gairdner: "The arab Phoneticians on the consonants and vowels", in Moslem World. XXV. (1935) p. 242—257.
- ويشير كتاب آ. فولارس "لغة الشعب ولغة الكتابة بالجزيرة العربية قديما" الصادر بستراسبورغ سنة 1906 (K. Vollers, Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien, Strasbourg 1906)

الى عدد كبير من كيفيات النطق القديم والتي من اجل دارج. وتدرس الكتب الآتية : صوتيات اللغة القديمة وصوتيات اللسان الدارجة الحديثة معا :

* أ. ماتسون : "دراسات وظيفية في اللسان العربي العامي بيروت".
أَوْ بَسَّالَهُ — 1911

E. Mattsson, "Etudes phonologiques sur le dialecte arabe vulgaire de Beyrouth, Upsala 1911.

* ه.ت. غاردنير : "صوتيات العربية" اكسفورد 1925
W.H.T. Gairdner, the phonetics of Arabic, Oxford 1925.

واخيرا فان مؤلف ك. بروكلمان : "المختصر في مقارنة انحاء اللغات السامية" الصادر ببرلين 1908—1913

C. Brockelmann, Grundriss des vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Berlin 1908 — 1913

يتعرض في باب الصوتيات السامية (اي في الجزء 1 ، ص 41—282) الى جميع الامور الهامة في صوتيات العربية الفصحى والدارجة .

3- المؤلفون الاوروبيون الذين درسوا صوتيات اللسان العربية الدارجة الحديثة: اننا نجد في اكثر المؤلفات الواصفة للسان الدارجة اشارات الى صوتيات اللهجة الموصوفة ولن نذكر هنا الا المؤلفات التي نجد فيها دراسة صوتية مفصلة تفصيلا كافيا :

أ) المؤلفات الخاصة بالمغرب العربي :

* ه. اشتمه : "نحو العربية التونسية". لبيزغ 1896 — ص 1—6
و"قصص واشعار من مدينة طرابلس بشمال افريقيا — لبيزغ 1898
ص 197—227

H. Stumme, Grammatik des tunisischen Arabisch, Leipzig 1896, p. 1—6 —
Marchen und Gedichte aus der Stadt Tripolis in Nordafrika, Leipzig 1898,
p. 197 — 227.

* و. مارسي : "اللسان العربي الدارج بتلمسان - باريس 1902 -
ص 13-60 و"اللسان العربي الدارج عند اولاد ابراهيم بصيدا" - باريس
1908 ص 5-75 .

W. Marçais, Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, Paris 1902, p. 13-60
Le dialecte arabe des Ulad Brahim de Saida, Paris 1908, p. 5 - 75

* م. كوهين : "لهجة يهود مدينة الجزائر العربية" - باريس
1912 - ص 17-173

M. Cohen, Le parler arabe des Juifs d'Alger, Paris 1912, p. 17 - 173.

* أ. فيشر : صوتيات العربية بالمغرب الأقصى - ليزينغ 1917 -
"ونبرة الكلمة في عربية المغرب الاقص" في اعلانات ندوة البحوث
الخاصة باللغات الشرقية II (برلين 1899) ص 275-286 .

A. Fischer, Zur Lautlehre des Marokkanisch - Arabischen, Leipzig, 1917
Zum Wortton in Marokkanischen, Mitteil. d. Seminars f. orient.
Sprach. II. (Berlin 1899) p. 275 - 286.

* أ. شتغفر : "مساهمة في صوتيات اللغة الاسبانية - العربية"
مدريد 1932

A. Steiger, Contribucion a la fonética del hipano - arabe, Madrid 1932

ب) المؤلفات الخاصة بالشرق العربي

* و. اسيتا باي، "نحو اللسان العربي العامي الدارج بمصر" ليزينغ
1880 ص 1-68

W. Spita Bey, Grammatik des arabischen Vulgardialektes von Aegypten,
Leipzig, 1880, p. 1 - 68.

* غ. برغشتريسر : "في اللسان العربي الدراج بدمشق" هانوفر 1924
- ص 4-50 - وجامع الخرائط اللغوي لسوريا وفلسطين في "مجلة
الجمعية الالمانية الفلسطينية" XXXVIII (1915)

G. Bergstrasser, Zum arabischen Dialekt von Damascus, Hannover, 1924,
p. 4 - 50 Sprachatlas von Syrien und Palastina, in Z.D.P.V.,
XXXVIII. (1915), carte 1 - 12.

* سيادة م. ت. فغالي : لهجة كفر عبيدة - باريس 1919 ص 1-132
Mgr. M.T. Feghali, Le Parler de Kfar Abida, Paris 1919, p. 1 — 132

* ج. كانتينو : - "لهجة تدمر العربية" بيروت 1934 ص 31-107
و"دراسات في بعض لهجات البد والرحل العرب بالشرق" ، ص 12-70
و II ص 12-56.

و"لهجات حوران العربية - باريس 1940-1942 ص 78-192

والخرائط رقم 6 الى رقم 30

J. Cantineau : Le dialecte arabe de Palmyre, Beyrouth, 1934, p. 31 — 107
Etudes sur quelques parlers de nomades arabes d'Orient,
I, p. 12 — 70; II, p. 12 — 56.
Les parlers arabes du Horan, Paris 1940 — 1942, p. 78 — 192
et cartes 6 — 30.

معجم الالفاظ الاصطلاحية

لقد اثبتنا في هذا المعجم جميع الالفاظ والعبارات الاصطلاحية الواردة في الكتاب المترجم مع ما يقابلها في الأصل الفرنسي ورتبناها ترتيب الأبجدية الفرنسية .

وجميع الفاظ هذا المعجم لها علاقة قريبة أو بعيدة بعلم اللغات عامة وبعلم الاصوات خاصة الا النزر القليل منها مفردات لا صلة لها بهذين العلمين مباشرة اشرنا اليها بان وضعنا نجمة صغيرة بحذائها على النحو التالي : * *Anche Battante* : لسان متحرك

ومصادر التراجم المقترحة في المعجم متنوعة : منها الالفاظ الموجودة بعد في نصوص النحاة العرب القدامى المتعلقة بمخارج الحروف والادغام والامالة والابدال ... وخاصة نصوص سيويه والزمخشري وابن يعيش . وقد استعملنا هذه الالفاظ قدر المستطاع ونبهنا اليها بوضعها بين قوسين هكذا : (تقريب) : *Accommodation*

ومنها ما وجدناه عند كانتينو نفسه في اول كتابه عند حديثه عن جهاز التصويت ووصف نظرية النحاة العرب فيه ولم نعثر عليه شخصيا في كتبهم . وقد دللنا على هذه الالفاظ بأن رسمنا بعدها حرف (ك) اي كانتينو على النحو التالي :

طبق راس القصة (ك) : *Epiglotte*

ومنها الالفاظ المعروفة المتداولة عندنا اليوم بدون ان نعرف لها اصلا يذكر او ان نجد لها حتما في النصوص القديمة وقد اثبتناها في المعجم عارية من كل إشارة خاصة نحو :

العربية الفصحى : *Arabe Classique*

ومنها في النهاية ما هو راجع الى مجهودنا الخاص سواء اتفق صدفة مع تراجم موضوعة بعد لم نطلع عليها او كان ضربا من الانشاء لأول مرة وقد وضعنا علامة على هذه الالفاظ كتابتها بالاحرف الغليظة هكذا :

حركة مزدوجة : *Diphthongue*

والمترجم يرحب بجميع الملاحظات التي يقدمها له القراء ومستعملو هذا الكتاب بخصوص جميع ما اقترحه من تراجم في هذا المعجم .

A

Abrégé.....	مقتضب
Abréviation	اقتصاب
Accent	نبرة
Accentué	منبر
Accomodation	(تقريب)
Adstrat	طبقة لغوية مجاورة
Affrication	الجمع بين الشدة والرخاوة
Affriquée	شديد ورخو
Akkadien (langue)	الأكادية (اللغة)
Allongement	تطويل
Allongement compensatoire	تطويل تعويضي
Altération	تغيير (اعتلال)
Alternance	تناوب
Alternance consonantique	تناوب حرفي
Alternance vocalique	تناوب حركي
Alvéolaire	مقارزي
* Anche (Battante)	* لسان (متحرك)
Antérieure (voyelle)	امامية (حركة)
Aperture	انفتاح
Aperture croissante	انفتاح متزايد
Aperture décroissante.....	انفتاح متناقص
Apicale	طرفي (ذولقي - أسلي)
Appareil	جهاز
Appareil phonatoire	جهاز التصويت
Arabe.....	العربية
Arabe ancien	العربية القديمة
Arabe classique	العربية الفصحى
Arabe dialectal	العربية الدارجة

Arabe littéral	العربية الفصحى
Arabe moderne	العربية الحديثة المصرية
Arabe vulgaire.....	العربية العامية
Arrière d' (voyelle),	خلفية (حركة)
Arrondie (voyelle)	مستديرة (حركة)
* Arrondissement	* دائرة *
Articulation	تفصيل النطق
Aspirée	نَفْسِي - (هَاوِ)
Assimilation	(ادغام) - تجانس
Assimilation partielle	(تقريب) ادغام
Assimilation progressive	ادغام تَقْدِمِي
Assimilation régressive	ادغام رَجْعِي
Assimilation à distance	تجانس المنفصلين
Assimilation de deux Consommes identiques	(ادغام المتماثلين)
Assimilation de deux consommes proches (points et modes d'articulation proches)	(ادغام المتقاربين) (أى حرفين مخرجاها وصفاتها متقاربة)
Assimilation de deux consommes si- milaires(mêmes points d'articulation, et modes d'articulation différents).	(ادغام المتجانسين) (أى حرفين مخرجاها واحد وصفاتها متباينة)
Assyrien (langue).....	الآشورية (اللغة)
Assyro — babylonien (langue)	الآشورية البابلية (اللغة)
Atone (syllabe)	غير مُنْبَرٍ (مقطع)
Avant (d') (voyelle)	أمامية (حركة)

B

Babylonien (langue)	البابلية (اللغة)
Battant	متحرك
Bilabiale	(من بين الشفتين)

Bouche	فم
Brève (voyelle, syllabe).....	قصير (حركة - مقطع)
Buccal	فموى

C

Cananéen (langue)	الكنعانية (اللغة)
Canine (s)	ناب (أنياب)
Cavité buccale	(غار الفم)
Césure	قطع
Chuintante (consonne).....	مُشاشاً (حرف)
Chuintement	شاشاة
Classes de localisation	اصناف المواضع
Combinatoire	تَعَامَلِي
* Commune	* دائرة بلدية
*Commune mixte	* دائرة مختلطة
*Commune de plein exercice	* دائرة ذات التصرف الفرنسى البحت
Compensatoire.....	تعويضى
Complexe	مركب
Complexe consonantique	مركب حَرْفي
Complexe vocalique	مركب حَرْفي
Conditionné	(مُقَيَّد)
Consonantique	حَرْفي
Consonantisme.....	نظام الحروف او حرفية
Consonne (s)	حرف (حروف)
Continue (consonne)	(زماني) (حرف)
Cordes vocales	اوتار صوتية
Croissant	متزايد

D

Décroissant	متناقص
Degrés d'aperture	درجات الانفتاح

Dent (s)	سن (أسنان)
Dentale (consonne)	اسناني (حرف)
* Département	* مقاطعة
Dialecte	لسان دارج
Dialectal	دارج
Dialectologie	الأسنانية
Dialectologue	عالم في الأسنانية
Diphthongue	حركة مزدوجة
Dissimilation	تباين
Disjonction	(فصل)
Distinctif	تمييزي
Dorsale (consonne)	ظهري (حرف)
Doublets	صيغ مزدوجة
Duo	زوج - مجموعة ثنائية
Durative (consonne)	(زمني) (حرف)
Durée	مدى

E

Emission (de sons)	اصدار (الأصوات)
.....	(تقخيم) أو (اطباق أو استعلاء أو تسمين أو
Emphase	تغليظ)
.....	(مفخم) أو (مطبق أو مستعمل أو مسمن أو
Emphatique.....	مغلظ)
.....	غير مفخم أو (مرقق أو مستفل أو منخفض أو
Emphatique (non)	منفتح)
Elargissement	(تكثير)
Epiglotte	طبق رأس القصبة (كـ)
Etrée (voyelle)	منفرجة (حركة)

F

Fait (s)	مثال (امثلة) مسألة (مسائل) امر (امور)
Fermant (phonème)	غالق (صوت)

Fermée (voyelle)	منغلقة (حركة)
Fermeture	انغلاق
Fermeture décroissante	انغلاق متناقص
Fermeture croissante	انغلاق متزايد
Fosses nasales	خياشيم (جمع خيشوم)
Fracture	انفلاق
Fricative	(بين الشدة والرخاوة) - دَعَكِي
Friction	دَعَكٌ

G

Gémination	(تضييف - مضاعفة - تشديد)
Géminée (consonne)	(مضعف - مضاعف - مشدد) (حرف)
Gencive (s)	(لينة) (لثات)
Généralités	عموميات
Germaniques (langues)	جرمانية (لغات)
Gingivale (consonne)	(لثوي) (حرف)
Glossaire	معجم الالفاظ
Glotte	راس القصبة (ك)
Graphie	رسم

H

Hébreu (langue)	العبرانية (اللغة)
Hauteur (musicale)	ارتفاع (موسيقى)

I

Implosif (phonème)	حاجز للهواء (صوت)
Incisive (s)	(ثنية) (ثنيتان - ثنايا)
Incisives inférieures	(ثنايا سفلى)
Incisives supérieures	(ثنايا العليا)
Inconditionné	(مطلق)
Informateur	مُغِير
Inflexion	(إمالة)

Inscription (s)	مرقوم (موقوفات)
Intensité	شدة
Interdentale (consonne)	من بين الاسنان (حرف)

J

Jacobite (langue)	اليعقوبية (اللغة)
-------------------------	---------------------

L

Labiale (consonne)	شفوى (حرف)
Labio — dentale (consonne)	شفوى - اسناني (حرف)
Langue	لغة
Langue (s) romanes	لغات رومانية
Langue (organe)	لسان (الاسنان)
Larynx	(حلق) - حنجرة (ك)
Laryngale (consonne)	حلقى (حرف)
Latérale (consonne)	(انحرافي) - جانبي (حرف)
Lèvre (s)	شفة (شفتان - شفاه)
Linguiste (s)	لغوى (لغويون)
Linguistique (nom)	علم اللغات
Linguistique générale	علم اللغات العام
Linguistique (adj.)	لغوى
Liquide (consonne)	مائع (حرف)
Localisation (s)	موضع (مواضع)
Longue (voyelle)	طويلة (حركة)
Luette	(لهأة) - طلاطة

M

Mâchoire	فك - لطئي
* Mandéens	* المانديون
Médiane (voyelle)	وسطية (حركة)
Médio — palatal	وسط - حنكي

Metathèse	(قلب) - تبادل
Moabite (langue)	المزابية (اللغة)
Mode (s) d'articulation	(صفة) (صفات) الحروف
Molaire (s)	(ضرس) (أضراس)
Mouillée (consonne)	مَلِيَّيْنُ (حرف)
Mouillure	تَلِيَّيْنُ
Momentanée (consonne)	(حرف) (آنى)

N

Nasal	خيشومى
Nasalité	(غَنَّة)
Nasalisation	اِنْمَانُ
Nasaliser (une consonne)	اِنْمَنُ (الحرف)
* Nuance	* فَوَيَّرِقُ

O

Occlusif	(شديد)
Occlusion	(شدة) - غلق
Oesophage	بلعوم - مرى
Ouverte (voyelle).....	منفتحة (حركة)
Ouvrant (phonème)	فاتح (صوت)

P

Palais	(حنك)
Palatale (consonne).....	حنكى (حرف)
Palatalisation	تقديم مخرج الحرف فى الحنك
Palataliser	قدم مخرج الحرف فى الحنك
Parler (s).....	لهجة (لهجات)
Particule (s).....	حرف (حروف)
Pause	(وَقْفُ)
Pharynx	(ادنى الحلق)
Pharyngal	ادنى حلقى

Pharyngal.....	أدنى حلقى
Phénicien (langue).....	الفينيقية (اللغة)
Phénomène.....	ظاهرة
Phénomène combinatoire.....	ظاهرة تعاملية
Philologie.....	فقه اللغة - فيلولوجيا
Philologue.....	عالم فى فقه اللغة
Phonatoire.....	تصويتى
Phonème.....	صوت (صَوْتَم ؟)
Phonéticien.....	عالم أصوات
Phonétique (adj.).....	صوتى
Phonétique (nom).....	علم الاصوات - صوتيات
Phonétique combinatoire.....	تعامل الاصوات
Phonique.....	صوتى
Phonologie.....	علم وظائف الاصوات
Phonologique.....	وظائفى
Phonologie.....	عالم فى وظائف الاصوات
Point (d'articulation).....	(مخرج) و (مقطع - موضع - ممتد)
Position (phonique).....	موقع (صوتى)
Postérieure (voyelle).....	خلفية (حركة)
Post-palatal.....	اقصى - حنكى
Préfixe.....	زائدة امامية
Prémolaire (s).....	(ضاحك) (ضواحك)
Prépalatal.....	أدنى - حنكى (رنطى)
Progressive (assimilation).....	تقلبى (ادغام)
Prolongation.....	تطويل - (مد)
Prosthétique (voyelle).....	(حركة) اعتماد
Poumon (s).....	رئة (رنتان)

Q

Quantité.....	كَيْتَة
Quantitatif.....	كَيْتِي

R

Réduction (des diphtongues)	حد (الحركات المزدوجة)
Regressive (assimilation)	رجعى (ادغام)
* Résonateur	* مُدَوِّ
* Restitution	* إرجاع
Romanes (langues)	رُومِيَّة (لغات)
Rythme	إيقاع
Rythme quantitatif	إيقاع كمي
Rythme de quantité	إيقاع كمية

S

Sémitique (langue)	السامية (اللغة)
Sémitique (adj.)	سامي
Semi-voyelle	نصف = حركة
Sifflante (consonne)	صفيري - (حرف صفير)
Sifflement	(صَفِيرٌ)
Son	(صوت)
Sonante (consonne)	مُصَوِّت (حرف)
Sonore (consonne)	(مجهور) (حرف)
Sonore (sens général)	مُدَوِّ
Sonorisation	إِنْجِهَارٌ
Sonorité	(جَهْرٌ)
Souffle	(نَفَسٌ)
Sourde (consonne)	(مهموس) (حرف)
Sourdité	(هَمَسٌ)
Spirante (consonne)	(رِشَوٌ) (حرف)
Spirantisation	ارتغاء
Spirantisme	(رَخَاوَةٌ)
Sprachatlas	اطلس لغوى
Structure	تركيب

Structure syllabique	تركيب مقطعي
Substrat	طبقة لغوية سفلى
Suffixe	زائدة خلفية
Superstrat	طبقة لغوية عليا
Syllabe	مقطع
Syllabe fermée	مقطع منغلق
Syllabe ouverte	مقطع منفتح
Syllabique	مقطعي

T

Tenue	زمن النطق
Timbre (s)	(جرس) (اجراس)
Trachée-artère	قصبة الرئة (ك)
Triade (s)	ثالوث (نواليث)
* Tuyaux sonores.....	* انابيب مدوية

U

Uvulaire	(الهوي)
----------------	-----------

V

Variante	عوض
Variante combinatoire	عوض تعامل
Vélaire (consonne)	(لهوى) - غشائي (حرف)
Vibrante (consonne)	مكرو - (حرف تكرير)
Vibrer	نز
Vibration	تزيز
Vocal	صوتي
Vocalisme	نظام الحركات او حركية
Voile (du palais)	غشاء (المنك)
Voyelle (s)	حركة (حركات)
Voyelle antérieure.....	حركة امامية

Voyelle d'arrière	حركة خلفية
Voyelle arrondie	حركة مستديرة
Voyelle d'avant	حركة أمامية
Voyelle brève	حركة قصيرة
Voyelle de disjonction	حركة فصل أو فاصلة
Voyelle étirée	حركة منفرجة
Voyelle fermée	حركة منغلقة
Voyelle longue	حركة طويلة
Voyelle médiane	حركة وسطية
Voyelle ouverte	حركة مفتوحة
Voyelle Postérieure	حركة خلفية
Voyelle semi-fermée	حركة نصف - منغلقة
Voyelle semi-ouverte	حركة نصف مفتوحة
Voyelle ultra brève	حركة قصيرة للغاية (مختلصة)
Voyelle ultra-longue	حركة طويلة للغاية

المفهرس

الارقام المذكورة اسفله هي ارقام الصفحات

7	تصدير
9	صورة كتابة الحروف العربية بالحروف اللاتينية ..
11	مقدمة
11	عرض تاريخي
14	الطرق والنتائج ادارة البحوث المقبلة
16	تخطيط الكتاب
17	I (عموميات
22	II (نظام الحروف
22	I — عموميات
22	I (عموميات صوتية
26	2 (نظام الحروف فى اللغة السامية
28	3 (نظام الحروف فى العربية القديمة
40	4 (انظمة الحروف فى مختلف الالسن العربية الداىجة
42	II — الحروف الشفوية
49	III — الحروف الاسنانية
49	I (الحروف الشديدة القموية
60	2 (النون الحيشومية
63	3 (الحروف الرخوة التى من بين الاسنان ...
72	4 (حروف الصفير الرخوة
74	IV — الحروف المائعة

74 (I) حرف الزاء المكررة
78 (2) اللام الانحرافية
84 (3) الضاد الانحرافية
88 V — الحروف الادنى حنكية
88 (I) الجيم الشديدة ذات الزائدة الرخوة
97 (2) الشين المشأشأة
100 (3) الياء نصف الحركة
100VI — الحروف الاقصى حنكية
101 (I) الكاف الشديدة الاقصى حنكية المهموسة
106 (2) القاف الشديدة اللهوية المفخمة
113VII — الحروف الرخوة اللهوية
116VIII — الحروف الرخوة التي من وسط الحلق
119IX — الهاء الرخوة الحلقية
121 X — الحرف الشديد الاقصى حلقى
137XI — انصاف الحركات
143 (III) نظام الحركات
143 I — عموميات
143 (I) عموميات صوتية
147 (2) نظام الحركات فى السامية
147 (3) نظام الحركات فى العربية القديمة
149 (4) أنظمة الحركات فى مختلف الالسن الدارجة العربية
150 II — الحركات الطويلة
150 (أ) الرسم
151 (ب) الكمية
155 (ج) الاجراس
166 (د) القيمة الوظائفية

167	III —	الحركات المزدوجة
172	IV —	الحركات القصيرة
172	(I	الرسم
174	(2	الكمية
181	(3	الاجراس
184	V. —	الحركات القصيرة للغاية والحركات المحدثة ...
191	VI. —	المقطع والنبرة والايقاع
191	I —	المقطع
191	(I	عموميات صوتية
192	(2	المقطع في العربية القديمة
193	(3	المقطع في الالسن الدارجة الحديثة
194	II. —	النبرة
194	(I	عموميات صوتية
194	(2	النبرة في العربية القديمة
195	(3	النبرة في الالسن الدارجة الحديثة
197	III. —	الايقاع
197	(I	تعريفه
197	(2	الايقاع في العربية القديمة
198	(3	الايقاع في الالسن الدارجة العربية الحديثة
198	(4	الوقف في العربية القديمة وفي الالسن الدارجة
200		قائمة المصادر والمراجع
200	(I	المؤلفون العرب
	(2	المؤلفون الاوروبيون الذين درسوا اصوات
201		العربية القديمة
	(3	المؤلفون الاوروبيون الذين درسوا صوتيات
203		الالسن العربية الدارجة الحديثة
206		معجم الألفاظ الاصطلاحية
218		الفهرس

اصلاح خطأ

الصواب	الخطأ	الصفحة والسطر
الاطلس	لا طلس	22 — 12
كَيْفِيَّة	كفية	8 — 19
في العربية	في العربيأ	18 — 22
صفات الحروف: بعد أن	صفات الحروف. بعدأن	3 — 25
فِيضًا هي	فيضًا هي	5 — 25
أعلى	أعلا	5 — 32
والطاء (د)	والطاء (د)	17 — 32
تؤدّي	تودي	15 — 35
ارتعاشات	ارتعشات	14 — 38
(بتشديد الدال)	(بتشديد الدال)	14 — 39
اختلط	ختاَط	16 — 41
بناتٌ مَحْر	بنات محر	4 — 44
”أُنْ” و ”إِنْ”	”أن” و ”إن”	26 — 44
رِضًا حِكَا	رِضًا حِكَا	11 — 56
دج (d ğ)	ددج (d g)	26 — 59
عوض	عوض	5 — 69
Tani	Tani	24 — 70
fēlg→fēlg	fēlg→fēlg	1 — 71
(i - e - ä)	(i - e - a)	8 — 77
بِرْد	برد	20 — 77
بِسَوَاتٍ	بِسَوَاتٍ	15 — 80
(embareh)	(embareh)	10 — 82
دل2 المفخمة	دل2 المفخمة	9 — 85
(دل)	”دل”	19 — 87
(gis ^{v-v})	(gis)	22 — 95
ġ	g	27 — 95
däššar	däššar	10 — 96
ž u ž	ž u ž	13 — 96
c a ž u ž	c a ž u ž	14 — 96
ž ä ž ž a	ž a ž ž a	14 — 96
على	على على	15 — 105
cānācer	canacer	8 — 110
zācyē	zacye	9 — 110

الإلا	الإلا	14 - 110
أَدْخَلُ	أدحل	7 - 118
irōh ^c andna	iroh ^c andna	16 - 118
gla ^c ha	gla ^c ha	7 - 121
صدمةٌ حَرَكَتِيَّةٌ	صدمة حركة	24 - 123
Nöldeke	Nöldeke	14 - 125
(neue Beiträge)	(neue Beiträge)	15 - 125
الْكَمَّةُ	الْكَمَّةُ	19 - 127
البزِّي	البزِّي	26 - 132
“أزانب” (öḥba ^c) و”أزانب”	“أزانب” (öḥba ^c) و”أزانب”	5 - 134
”أصابع” (aṣābe ^c)	”أصابع” و”aṣābe ^c ”	5 - 134
š ā w e	s ā w e	6 - 141
yarbū ^c a	yarbu ^c ā	1 - 142
ḡarbū ^c	ḡarbu ^c	2 - 142
ö	ö	27 و 25 - 144
الْبَسِيطَةُ	النَسِيطَةُ	4 - 146
ẽ - ö - e - ā	ẽ - ö - e - ā	19 - 146
كانوا	كانو	22 - 148
تغييرات	تغييرات	14 - 149
تغييرات	تغييرات	15 - 143
كذلك	كذلك	11 - 153
Islamica	Isiamica	15 - 153
زكاة	ركاة	6 - 163
الانقلاب	الآنقلاب	4 - 164
”صَيْفَانُ”	”صقان”	2 - 165
المضارع	المضارع	20 - 166
مهموزة الفاء	مهموزة الواو	5 - 175
Weissbach	weissbach	20 - 170
”س وى”	”س وى”	25 - 175
ḡābat	ḡābat	6 - 179
الوظائفية	الوظائفية	12 - 183
”هل” و”أل”	”هل” و”ال”	26 - 185
غُصْنٌ وِغُصْنٌ	غصن وِغصن	25 - 188
أعلى	أعلا	9 - 191
لأدى	لادى	11 - 199
يمثل	تمثل	10 و 9 - 191

طبعة "الرفسان" (الطبعة الأولى) في سنة 1987م

